www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# كتاب
# الأربعين في أصول الدين
## في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق

تأليف
الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي

[illegible] مخرجة الآيات والأحاديث

حققه وعلق عليه
عبد الله عبد الحميد عرواني

راجعه الشيخ الدكتور
محمد بشير الشقفة

بسم الله الرحمن الرحيم

# الاربعين فى اصول الدين

كاتب:

ابى حامد محمد بن محمد بن محمد غزالى

نشرت فى الطباعة:

دارلكتب العلمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
الاربعین فی اصول الدین ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
المقدّمة ----- ۱۴
القسم الأول فی جمل العلوم و أصولها و هی عشرة ----- ۱۴
الأصل الأوّل فی الذات ----- ۱۴
الأصل الثانی فی التقدیس ----- ۱۴
الأصل الثالث فی القدرة ----- ۱۵
الأصل الرابع فی العلم ----- ۱۵
الأصل الخامس فی الإرادة ----- ۱۵
الأصل السادس فی السمع و البصر ----- ۱۸
الأصل السابع فی الکلام ----- ۱۸
الأصل الثامن فی الأفعال ----- ۱۹
الأصل التاسع فی الیوم الآخر ----- ۱۹
الأصل العاشر فی النبوة ----- ۲۰
خاتمة فی التنبیه علی الکتب التی تطلب فیها حقیقة هذه العقیدة ----- ۲۰
القسم الثانی فی الأعمال الظاهرة و هی عشرة أصول. ----- ۲۱
الأصل الأول فی الصلاة ----- ۲۱
الأصل الثانی فی الزکاة و الصدقة ----- ۲۲
المحافظة فی زکاة و الصدقة علی خمسة أمور ----- ۲۲
الأصل الثالث فی الصیام ----- ۲۳
الأصل الرابع فی الحج ----- ۲۴
أما الآداب فسبعة ----- ۲۴

الأصل الخامس فی قراءة القرآن ----- ۲۵
أما الآداب الظاهرة فثلاثة ----- ۲۵
و أما الأسرار الباطنة فخمسة ----- ۲۵
الأصل السادس: ذکر اللّه عز و جل فی کل حال ----- ۲۷
الأصل السابع فی طلب الحلال ----- ۳۰
فصل اعلم أن طیب المطعم له خاصیة عظیمة فی تصفیة القلب ----- ۳۰
فصل إیاک أن تشدد علی نفسک فتقول: أموال الدنیا کلها حرام ----- ۳۲
الأصل الثامن فی القیام بحقوق المسلمین و حسن الصحبة معهم ----- ۳۳
فصل من أصول الدین فی أمر الصحبة اتخاذ الإخوان فی اللّه عز و جل ----- ۳۳
الأصل التاسع فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر ----- ۳۴
فصل کل من شاهد منکرا و لم ینکره و سکت عنه، فهو شریک فیه ----- ۳۴
فصل عمدة الحسبة شیئان ----- ۳۴
الأصل العاشر فی اتّباع السنة ----- ۳۵
فصل السبب المرغّب فی الاتباع فی هذه الأفعال ----- ۳۵
فصل التحریض کله الذی ذکر إنما هو فی العادات ----- ۳۷
خاتمة فی ترتیب الأوراد و تنعطف علی الأمور العشرة ----- ۳۷
القسم الثالث فی تزکیة القلب عن الأخلاق المذمومة ----- ۳۸
اشاره ----- ۳۸
الأصل الأول شره الطعام ----- ۳۸
اشاره ----- ۳۸
فصل السر فی تعظیم الجوع و مناسبته لطریق الآخرة ----- ۳۹
فصل کیفیة ترک عادة الشبع و الإکثار ----- ۳۹
الأصل الثانی شره الکلام ----- ۴۰
اشاره ----- ۴۰

فصل أن للسان عشرين آفة ----- ۴۰
فصل تفصيل هذه الآفات ----- ۴۱
اشاره ----- ۴۱
[الآفة] الأولى الكذب ----- ۴۱
اشاره ----- ۴۱
فصل الكذب حرام فى كل شىء، إلا لضرورة ----- ۴۱
الآفة الثانية الغيبة ----- ۴۲
اشاره ----- ۴۲
فصل يرخص فى الغيبة فى ستة مواضع ----- ۴۳
فصل علاج النفس فى كفّها عن الغيبة ----- ۴۳
الآفة الثالثة المراء و المجادلة ----- ۴۳
الآفة الرابعة المزاح ----- ۴۴
الآفة الخامسة المدح ----- ۴۴
فصل حق على الممدوح أن يتأمل فى خطر الخاتمة ----- ۴۴
الأصل الثالث فى الغضب ----- ۴۵
اشاره ----- ۴۵
فصل عليک فى صفة الغضب وظيفتان ----- ۴۵
الأصل الرابع فى الحسد ----- ۴۵
اشاره ----- ۴۵
فصل الحسد من الأمراض العظيمة للقلب ----- ۴۶
فصل لعلّ نفسک لا تطاوعک على التسوية بين عدوک و صديقک ----- ۴۶
الأصل الخامس فى البخل و حب المال ----- ۴۷
اشاره ----- ۴۷
فصل أصل البخل حب المال ----- ۴۷

فصل أن المال لیس مذموما من کل وجه ---- ۴۷
فصل فی معرفة مقدار الکفایة ---- ۴۸
فصل فی ان الذی ذکرت تقریب یمکن الزیادة علیه و النقصان منه ---- ۴۸
فصل فی معرفة حدّ البخل ---- ۴۹
فصل فی معرفة علاج البخل ---- ۴۹
الأصل السادس الرعونة و حب الجاه ---- ۴۹
فصل حقیقة الجاه هی ملک القلوب لتتسخر لذی الجاه علی حسب مراده ---- ۴۹
فصل‌لم کان طلب الرفعة مذموما ---- ۵۰
فصل فی ان طریق علاج حب الجاه هو قمع هذا الحب ---- ۵۱
فصل من البواعث علی طلب الجاه حب المدح ---- ۵۱
الأصل السابع حب الدنیا ---- ۵۱
اشاره ---- ۵۲
فصل فی ان هذه الدنیا المذمومة هی بعینها مزرعة الآخرة ---- ۵۲
فصل فی ان من عرف نفسه، و عرف ربه عرف وجه عداوة الدنیا للآخرة ---- ۵۲
فصل فی أن من ظن أنه یلابس الدنیا ببدنه و یخلو عنها بقلبه فهو مغرور ---- ۵۳
الأصل الثامن فی الکبر ---- ۵۴
فصل فی حقیقة الکبر أن یری نفسه فوق غیره فی صفات الکمال ---- ۵۴
فصل فی ان العلاج الجملی لقمع رذیلة الکبر أن یعرف الإنسان نفسه ---- ۵۴
فصل فی علاج الکبر علی التفصیل ---- ۵۵
الأصل التاسع العجب ---- ۵۵
فصل فی ان حقیقة العجب استعظام النفس و خصالها ---- ۵۵
فصل العجب جهل محض، فعلاجه العلم المحض ---- ۵۵
فصل من العجائب أن یعجب العاقل بعلمه و عقله ---- ۵۵
الأصل العاشر فی الریاء ---- ۵۶

فصل ----- ۵۶
فصل الریاء علی درجات خبیثة ----- ۵۷
فصل یعظم بما به المراءاة و بقوة قصد الریاء ----- ۵۷
فصل ----- ۵۸
فصل ما أقدر علی انفکاک الریاء الخفیّ ----- ۵۸
فصل فی دفع الأسباب الباعثة علیه و هی ثلاث: حب المدح، و خوف الذم، و الطمع ----- ۵۸
فصل علاج الریا ----- ۵۹
فصل یجوز إظهار الطاعات لأجل اقتداء الناس و ترغیبهم إذا صحت النیة ----- ۵۹
خاتمة فی مجامع الأخلاق و مواقع الغرور فیها ----- ۵۹
فصل طریق إصلاح هذه الأخلاق کلها المجاهدة و الریاضة ----- ۶۰
فصل ----- ۶۱
فصل ----- ۶۱
فصل ----- ۶۲
القسم الرابع فی الأخلاق المحمودة و هی أیضا عشرة أصول ----- ۶۳
الأصل الأول التوبة ----- ۶۳
فصل فی حقیقة التوبة ----- ۶۳
فصل فی وجوب التوبة علی کل احد ----- ۶۳
فصل ----- ۶۳
فصل فی ان علاج التوبة حل عقدة الاصرار ----- ۶۴
فصل ----- ۶۴
فصل ----- ۶۵
الأصل الثانی فی الخوف ----- ۶۵
فصل فی حقیقة الخوف ----- ۶۵
فصل فی علاج الخوف و تحصیله ----- ۶۶

فصل ----- ۶۶
الأصل الثالث فی الزهد ----- ۶۷
اشاره ----- ۶۷
فصل فی ان للزهد فی الدنیا حقیقة و أصل و ثمرة ----- ۶۷
فصل فی ان الزهد علی درجات ----- ۶۸
فصل ----- ۶۹
فصل ----- ۶۹
فصل ----- ۶۹
فصل ----- ۶۹
الأصل الرابع فی الصبر ----- ۷۰
اشاره ----- ۷۰
فصل فی حقیقة الصبر ----- ۷۰
فصل فی درجات الصبر ----- ۷۰
فصل ----- ۷۱
الأصل الخامس الشکر ----- ۷۲
اشاره ----- ۷۲
فصل فی مقام الشکر ----- ۷۲
فصل ----- ۷۳
الأصل السادس الإخلاص و الصدق ----- ۷۴
ارکان الاخلاص ----- ۷۴
الرکن الأول النیة ----- ۷۴
اشاره ----- ۷۴
فصل فی حقیقة النیة ----- ۷۴
فصل النیة و العمل بهما تمام العبادة ----- ۷۵

فصل فی فضل النیة ---- ۷۵
فصل فی أن النیة لا تدخل تحت الاختیار ---- ۷۶
الرکن الثانی فی إخلاص النیة: ---- ۷۶
اشاره ---- ۷۷
فصل فی حقیقة الإخلاص ---- ۷۷
فصل ---- ۷۷
الرکن الثالث الصدق ---- ۷۷
الأصل السابع فی التوکّل ---- ۷۸
فصل فی حقیقة التوکل ---- ۷۸
اشاره ---- ۷۸
الرکن الأول: المعرفة ---- ۷۹
فصل التوحید له لبّان و قشران ---- ۷۹
فصل فی حقیقة التوکل ---- ۷۹
فصل لا یکفی الإیمان بتوحید الفعل و الذات ---- ۸۰
الرکن الثانی: حال التوکل ---- ۸۰
اشاره ---- ۸۰
فصل فی درجات التوکل ---- ۸۱
الرکن الثالث فی الأعمال ---- ۸۱
فصل ترک الادخار محمود لمن غلب یقینه ---- ۸۱
الأصل الثامن فی المحب ---- ۸۱
اشاره ---- ۸۱
فصل فی أن أکثر المتکلمین أنکروا محبّة اللّه تعالی ---- ۸۲
فصل فی أن کلّ لذیذ محبوب ---- ۸۲
فصل ما معنی الصور الجمیلة الباطنة؟ ---- ۸۲

فصل المیل إلی المنعم المحسن ---- ۸۳
فصل العارف لا یحب إلا اللّه تعالی ---- ۸۳
فصل اعلم أن لذة العارف فی الدنیا من مطالعة جمال الحضرة الربوبیة ---- ۸۴
فصل لذة النظر إلی وجه اللّه الکریم ---- ۸۵
فصل ---- ۸۵
فصل إنما ضعفت شهوة معرفة اللّه تعالی لزحمة سائر الشهوات ---- ۸۶
فصل فی أن للمحبة علامات کثیرة ---- ۸۶
الأصل التاسع، الرضاء بالقضاء ---- ۸۶
فصل قد أنکر الرضا جماعة ---- ۸۶
فصل کیف أجمع بین الرضا بقضاء اللّه تعالی، و بین بغض أهل الکفر ---- ۸۷
فصل ینبغی أن لا یظن أن معنی الرضا بالقضاء ترک الدعاء ---- ۸۸
الأصل العاشر، ذکر الموت و حقیقته و أصناف العقوبات الروحانیة ---- ۸۸
فصل فی أن الموت عظیم هائل ---- ۸۸
فصل أصل الغفلة عن الموت طول الأمل ---- ۸۹
فصل أن العارف الکامل المستهتر بذکر اللّه تعالی مستغن عن ذکر الموت ---- ۸۹
فصل حقیقة الموت و ماهیته ---- ۸۹
فصل الروح لا تفنی البتة ---- ۹۰
فصل فی أن معنی الموت زمانة البدن ---- ۹۰
فصل أن الإنسان یعدم بالموت ثم یعاد ---- ۹۱
فصل فی إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنیران و العقارب و الحیات، صحیح ---- ۹۱
فصل فهل یتمثل التنین تمثلا یشاهده مشاهدة تضاهی إدراک البصر ---- ۹۲
فصل فهل یتمثل التنین تمثلا یشاهده مشاهدة تضاهی إدراک البصر ---- ۹۲
فصل فی العذاب الآخرة ---- ۹۲
خاتمة فی مناظرة النفس ---- ۹۶

الفهرس الموضوع الصفحة ----- ۹۷

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۹۸

# الاربعین فی اصول الدین

## اشارة

سرشناسه : غزالی، محمد بن محمد، ق۵۰۵ - ۴۵۰ عنوان و نام پدیدآور : ...الاربعین فی اصول الدین/ ابی حامد محمد بن محمد بن محمد غزالی مشخصات نشر : بیروت : دارالکتب العلمیة ، م۱۹۸۸ = .ق۱۴۰۹ = .۱۳۶۷. مشخصات ظاهری : ص ۱۹۲ وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی موضوع : اخلاق اسلامی -- متون قدیمی تا قرن ۱۴ موضوع : اسلام -- عقاید رده بندی کنگره : BP۲۴۷/۳۵/غ۴الف۴ شماره کتابشناسی ملی : م۸۰-۳۷۷۲۶

## المقدّمة

المقدّمة بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه رب العالمین و الصلاة و السلام علی محمد و آله أجمعین. «أما بعد» و لعلک تقول هذه الآیات التی أوردتها فی القسم الثانی «۱» تشتمل علی أصناف مختلفة من العلوم و الأعمال، فهل یمکن تمییز مقاصدها و شرح جملها علی وجه من التفصیل و التحصیل یمکن التفکر فی کل واحدة منها علی حیالها لیعلم الإنسان تفصیل أبواب السعادة فی العلم و العمل، و یتیسر علیه تحصیل مفاتیحها بالمجاهدة و التفکیر؟ «فأقول» نعم ذلک یمکن، فإنه ینقسم جمل مقاصدها إلی علوم و أعمال، و الأعمال تنقسم إلی ظاهرة و باطنة، و الباطنة تنقسم إلی تزکیة و تحلیة؛ فهی أربعة أقسام: علوم و أعمال ظاهرة، و أخلاق مذمومة تجب التزکیة عنها، و أخلاق محمودة تجب التحلیة بها. و کل قسم یرجع إلی عشرة أصول. و اسم هذا القسم: کتاب الأربعین فی أصول الدین. فمن شاء أن یکتبه مفردا فلیکتب فإنه یشتمل علی زبدة علوم القرآن. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۵

## القسم الأول فی جمل العلوم و أصولها و هی عشرة

### الأصل الأوّل فی الذات

الأصل الأوّل فی الذات: فنقول: الحمد للّه الذی تعرف إلی عباده بکتابه المنزل، علی لسان نبیه المرسل، بأنه فی ذاته واحد لا شریک له، فرد لا مثل له، صمد لا ضد له، متوحد لا ند له؛ و أنه قدیم لا أوّل له، أزلی لا بدایة له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدیّ لا نهایة له، قیوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له؛ لم یزل و لا یزال موصوفا بنعوت الجلال، لا یقضی علیه بالانقضاء و الانفصال، و بتصرم الآماد و انقضاء الآجال؛ بل هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن، و هو بکل شیء علیم.

### الأصل الثانی فی التقدیس

الأصل الثانی فی التقدیس: و أنه لیس بجسم مصور، و لا- جوهر محدود مقدر، و أنه لا یماثل الأجسام لا فی التقدیر و لا فی قبول الانقسام، و أنه لیس بجوهر و لا- تحله الجواهر، و لا- بعرض و لا- تحله الأعراض؛ بل لا- یماثل موجودا، و لا یماثله موجود، و لیس کمثله شیء و لا هو مثل شیء، و أنه لا یحده المقدار، و لا تحویه الأقطار، و لا تحیط به الجهات، و لا تکتنفه السموات، و أنه مستو علی العرش علی الوجه الذی قاله، و بالمعنی الذی أراده، استواء منزّها عن المماسّة و الاستقرار، و التمکن و التحول و الانتقال؛ لا یحمله العرش، بل العرش و حملته محمولون بلطف قدرته، و مقهورون فی قبضته؛ و هو فوق العرش و فوق کل شیء إلی تخوم الثری فوقیة لا تزیده قربا إلی العرش و السماء، بل هو رفیع الدرجات علی العرش، کما أنه رفیع الدرجات علی الثری، و هو مع ذلک قریب من کل موجود، و هو أقرب إلی العبید من حبل الورید، و هو علی کل شیء شهید، إذ لا یماثل قربه قرب الأجسام، کما لا یماثل ذاته

ذات الأجسام؛ و أنه لا يحل فى شىء، و لا يحل فيه شىء؛ الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶ تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يحدّه زمان؛ بل كان قبل أن خلق الزمان و المكان، و هو الآن على ما عليه كان. و أنه باين بصفاته من خلقه ليس فى ذاته سواه، و لا فى سواه ذاته. و أنه مقدس عن التغيير و الانتقال، لا تحله الحوادث، و لا تعتريه العوارض، بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال، و فى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال. و أنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئىّ الذات بالأبصار، نعمة منه و لطفا بالأبرار فى دار القرار، و إتماما للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

## الأصل الثالث فى القدرة

الأصل الثالث فى القدرة: و أنه حىّ قادر جبار قاهر، لا يعتريه قصور و لا عجز، و لا تأخذه سنة و لا نوم، و لا يعارضه فناء و لا موت. و أنه ذو الملك و الملكوت، و العزة و الجبروت، له القدرة و السلطان و القهر، و الخلق و الأمر، و السموات مطويات بيمينه، و الخلائق مقهورون فى قبضته. و أنه المتفرد بالخلق و الاختراع، المتوحد بالإيجاد و الإبداع؛ خلق الخلق و أعمالهم، و قدّر أرزاقهم و آجالهم، لا يشذ عن قبضته مقدور، و لا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته و لا تتناهى معلوماته.

## الأصل الرابع فى العلم

الأصل الرابع فى العلم: و أنه عالم بجميع المعلومات، محيط بما يجرى فى تخوم الأرضين إلى أعلى السموات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض و لا فى السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، فى الليلة الظلماء، و يدرك حركة الذر فى جوّ الهواء، و يعلم السر و أخفى، و يطلع على هواجس الضمائر و حركات الخواطر و خفيات السرائر، بعلم قديم أزلى، لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال، لا يعلم متجدد حاصل فى ذاته بالتحوّل و الانتقال.

## الأصل الخامس فى الإرادة

الأصل الخامس فى الإرادة: و أنه مريد للكائنات، مدبر للحادثات، فلا يجرى فى الملك و الملكوت قليل و لا كثير، و لا صغير و لا كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسر، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان، إلا بقضائه و قدره، و حكمه و مشيئته؛ فما شاء كان، و ما لم يشأ لم يكن. لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر و لا فلتة خاطر؛ بل هو المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، لا رادّ لحكمه، و لا معقب لقضائه، و لا مهرب لعبد عن الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷ معصيته إلا بتوفيقه و رحمته، و لا قوة له على طاعته إلا بمعونته و إرادته. لو اجتمع الإنس و الجن و الملائكة و الشياطين، على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكّنوها دون إرادته و مشيئته عجزوا عن ذلك. و أن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته، لم يزل كذلك موصوفا بها، مريدا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها، فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله، من غير تقدم و لا تأخر، بل وقعت على وفق علمه و إرادته، من غير تبدل و لا تغير. دبّر الأمور بلا ترتيب أفكار، و تربص زمان، فلذلك لا يشغله شأن عن شان. اعلم أن هذا المقام مزلة الأقدام، و لقد زلت فيه أقدام الأكثرين، لأن تمام تحقيقه مستمدّ من تيّار بحر عظيم وراء التوحيد، و هم يطلبونه بالبحث و الجدال؛ و لقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «ما ضلّ قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدال» و يستدلون بآيات القرآن مؤولين و ليسوا من أهل التأويل، و لو نال كل واحد مقام التأويل، لما قال صلى اللّه عليه و سلم داعيا لابن عباس- رضى اللّه عنهما-: «اللهم فقهه فى الدين و علمه التأويل»، و لما قال يعقوب ليوسف- على نبينا و عليهما السلام- «كذلك يجتبيك ربّك و يعلّمك من تأويل الأحاديث». قال صاحب «الكشاف» فى تفسيرها: يعنى معانى كتب اللّه، و سنن الأنبياء- عليهم السلام- و ما غمض و اشتبه على الناس من أغراضها و مقاصدها تفسرها لهم و تشرحها، و تدلهم على مودعات حكمها. و إنما زلت أقدام الأكثرين فى هذا المقام، لأنهم يتبعون الذين يتبعون ما تشابه منه

ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله، و ما يعلم تأويله إلا اللّه و الراسخون فى العلم؛ و هؤلاء ليسوا براسخين فيه، بل هم قاصرون عاجزون؛ فلقصورهم لم يطيقوا ملاحظة كنه هذا الأمر، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمراته بلجام المنع مع سائر القاصرين، فقيل لهم اسكتوا، فما لهذا خلقتم، لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ۲۳] عن أبى هريرة- رضى اللّه عنه- أنه قال: خرج علينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و نحن نتنازع فى القدر، فغضب- عليه السلام- حتى احمرّ وجهه الشريف، فقال: «أ بهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم، حين تنازعوا فى هذا الأمر؛ عزمت عليكم، عزمت عليكم فى هذا الأمر أن لا تنازعوا فيه». و عن أبى جعفر قال: قلت ليونس بن عبيد: مررت بقوم يختصمون فى القدر، فقال: لو همّتهم ذنوبهم ما اختصموا فى القدر، و امتلأ مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور اللّه، و كان زيتهم صافيا حتى يكاد يضىء و لو لم تمسسه نار، فاشتعل نورا على نور، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸ فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها، فأدركوا الأمور كما هى عليه؛ فقيل لهم: تأدبوا بآداب اللّه و اسكتوا، و إذا ذكر القدر فأمسكوا! فلذلك أمسك عمر لما سئل عن القدر، فقال للسائل: بحر عميق لا تلجه؛ و لما كرر السؤال قال: طريق مظلم لا تسلكه؛ و لما كرر ثالثا قال: سر اللّه قد خفى عليك فلا تفتشه. و من أراد معرفة أسرار الملكوت فليلازم بابهم بالمحبة و الإخلاص و الصدق و الإعراض عن عدائهم، و الامتثال بأوامرهم و السعى فيما يرضيهم، و كذلك من أحب معرفة أسرار الربوبية، فليلازم باب اللّه عز و جل بالمحبة، و الإخلاص، و الصدق و التعظيم، و الحياء و الامتثال بالأوامر، و الانتهاء عن المعاصى، و المجاهدة و الإقبال بكنه الهمة، و التعرض لنفحاته لقوله- عليه السلام- «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها» و السعى فيما يرضى و إن لم يطق ذلك فعليه أن يعتقد فى هذا البحث ما عليه أبو حنيفة- رحمه اللّه- و أصحابه، حيث قالوا: إحداث الاستطاعة فى العبد فعل اللّه، و استعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازا. و القدرية أنكروا قضاء اللّه و رأوا الخير و الشر من أنفسهم. أرادوا بذلك تنزيه اللّه عن الظلم و فعل القبيح، و لكنهم ضلوا إذ نسبوا العجز إلى اللّه تعالى فى ضمن ذلك، و لم يدروا. و الجبرية اعتمدوا على القضاء، و رأوا الخير و الشر من اللّه، و لم يروا من أنفسهم فعلا، كما لم يروا من الجمادات؛ أرادوا بذلك تنزيه اللّه تعالى عن العجز فضلّوا، إذ نسبوا الظلم إليه تعالى فى ضمن ذلك؛ و أضلوا سفهاءهم، فكانوا يعصون اللّه و ينسبون إلى اللّه، و يبرءون أنفسهم عن الذم و اللوم كالشيطان حيث قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ [الأعراف: ۱۶]. فالحاصل أن القدرية أثبتوا الاختيار الكلى للعبد فى جميع أفعال العباد، و أنكروا قضاء اللّه تعالى و قدره بالكلية فى الأفعال الاختيارية. و الجبرية نفوا الاختيار بالكلية فى أفعال العباد، و اعتمدوا على القضاء و القدر؛ فينبغى للباحث معهم أن يضربهم، و يمزق ثيابهم و عمائمهم و يخدش وجوههم، و ينتف أشعارهم و شواربهم و لحاهم، و يعتذر بما اعتذر هؤلاء السفهاء فى سائر أفعالهم القبيحة الصادرة منهم. و المعتزلة أضافوا الشر فقط إلى أنفسهم، و أثبتوا لأنفسهم الاختيار الكلى تحرزا عن نسبة القبح و الظلم إلى اللّه، و لكن نسبوا إلى اللّه العجز فى ضمن ذلك و لم يدروا، فتعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا. و أما أهل السنة و الجماعة، فتوسطوا بينهم، فلم ينفوا الاختيار عن أنفسهم الاربعين فى اصول الدين، ص: ۹ بالكلية، و لم ينفوا القضاء و القدر عن اللّه تعالى بالكلية، بل قالوا: أفعال العباد من اللّه من وجه، و من العبد من وجه. و للعبد اختيار فى إيجاد أفعاله. و اعلم أن قضاء اللّه تعالى على أربعة أوجه: قضاء الطاعات، و قضاء المعاصى، و قضاء النعم، و قضاء الشدائد. و المذهب المستقيم فى ذلك، إذا قضى للعبد الطاعة فعليه أن يستقبله بالجهد و الإخلاص حتى يكرمه اللّه بالتوفيق و الهداية لقوله تعالى: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا [العنكبوت: ۶۹]. يعنى الذين جاهدوا فى طاعتنا و فى ديننا لنوفقنهم لذلك. و إذا قضى المعصية، فعليه أن يستقبله بالاستغفار و التوبة و الندامة من صميم الفؤاد، لقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: ۲۲۲]. و إذا قضى النعمة، فعليه أن يستقبله بالشكر و السخاء حتى يكرمه بالزيادة، لقوله تعالى: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [إبراهيم: ۷]. و إذا قضى الشدة، فعليه أن يستقبله بالصبر و الرضاء حتى يعطيه الكرامة فى الدار الآخرة، لقوله تعالى: «إن اللّه يحبّ الصّابرين» «۱» و قال: إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ [الزمر: ۱۰]. و ذكر الفاضل الإمام مولانا علاء الدين فى شرحه للمصابيح: «الفرق بين القضاء و القدر، هو أن القضاء وجود جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ، إجمالا- لا- تفصيلا، و القدر هو تفصيل قضائه السابق

بإيجادها فى المواد الخارجية واحدا بعد واحد. و قيل القضاء هو الإرادة الأزلية، و العناية الإلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، و القدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء فى أوقاتها الخاصة. ثم إن المسلمين فى القدر على اختلاف: منهم من ذهب إلى أن كلّ ما يجرى فى العالم من الخير و الشرّ و الأفعال و الأقوال بقضاء اللّه و قدره، و لا اختيار للعباد فيه، و يسمى هذا القوم جبرية. و الجبر هو القهر و الإكراه؛ فيقولون: أجبر اللّه عباده على أقوالهم و أفعالهم من غير اختيار منهم فيها؛ و يزعمون أن إضافتها إليهم إضافتها إلى الجمادات؛ فى مثل قولنا: دارت الرحا و جرى الميزاب. و هذا المذهب باطل؛ لأنهم قالوا هذا القول ليسقطوا من أنفسهم التكاليف، و شبهوا أنفسهم بالصبيان و المجانين فى عدم جريان الخطاب بهم، فقد كفروا؛ لأن مذهبهم يفضى إلى إبطال الكتب و الرسل. و إن قالوا الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰ ذلك لتعظيم اللّه و تحقير أنفسهم و عجزهم عن دفع قضاء اللّه، فهم مبتدعون لمخالفتهم الإجماع. و منهم من ذهب إلى أن كل ما يصدر عن العباد عقيب قصدهم و إرادتهم يكون واقعا بقدرتهم و اختيارهم، و لا يتعلق بها بخصوصها قدرة اللّه و إرادته، و يسمّى هؤلاء قدرية لنفيهم القدر لا لإثباتهم. و هذا المذهب أيضا باطل؛ لأنهم إن قالوا هذا القول عن اعتقاد جواز العجز عن التقدير للّه تعالى، فهم كافرون، تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا؛ و إن قالوا عن خطأ اجتهاداتهم و تنزيه الحق عن تقدير أفعالهم القبيحة و خلقها فهم مبتدعون لمخالفتهم الإجماع. و من هذه الطائفة من يقول: الخير بتقدير اللّه. و الشر ليس بتقديره. و المذهب الحق هو أن المؤثر مجموع القدرتين: قدرة اللّه و قدرة العباد، فالأفعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء اللّه و قدره، و لكن للعباد اختيار، فالتقدير من اللّه، و الكسب من العباد، و هذا المذهب وسط بين الجبر و القدر، و عليه أهل السنة و الجماعة». انتهى كلامه. و ذكرنا فى كتاب «المقصد الأقصى» تدبير رب الأرباب و مسبب الأسباب، أصل وضع الأسباب، ليتوجه إلى المسببات حكمه، و نصبه الأسباب الكلية الأصلية الثابتة المستقرة التى لا تزول و لا تحول كالأرض و السموات السبع و الكواكب و الأفلاك، و حركاتها المتناسبة الدائمة التى لا تتغير و لا تنعدم، إلى أن يبلغ الكتاب أجله و قضاؤه، كما قال: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ، وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [فصلت: ۱۲]. و توجيهه هذه الأسباب- بحركاته المناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة إلى مسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة- قدره. فالحكم هو التدبير الأول الكلى، و الأمر الأزلى هو كلمح البصر. و القضاء هو الوضع الكلىّ للأسباب الكلية الدائمة. و القدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدّرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد و لا ينقص؛ و لذلك لا يخرج شىء عن قضائه و قدره. و لا تفهم ذلك إلا بمثال؛ و لعلك شاهدت صندوق الساعات التى بها تتعرف أوقات الصّلوات و إن لم تشاهده، فجملة ذلك أنه لا بدّ فيه من آلة على شكل أسطوانة تحوى مقدارا من الماء معلوما، و آلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء، و خيط الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱ مشدود أحد طرفيه فى هذه الآلة المجوفة، و طرفه الآخر فى أسفل ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة، و فيه كرة و تحته طاس، بحيث لو سقطت الكرة وقعت فى الطاس و سمع طنينها، ثم تثقب أسفل الآلة الأسطوانية ثقبا بقدر معلوم ينزل الماء، منه قليلا قليلا، فإذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء، فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذى فيه الكرة تحريكا يقربه من الانتكاس إلى أن ينتكس، فتتدحرج منه الكرة و تقع فى الطاس و تطنّ، و عند انقضاء كلّ ساعة تقع واحدة؛ و إنما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج الماء و انخفاضه، و ذلك بتقدير سعة الثقب الذى يخرج منه الماء، و يعرف ذلك بطريق الحساب؛ فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم، بسبب تقدير سعة الثّقبة بقدر معلوم، و يكون انخفاض أعلى الماء بذلك المقدار و به يتقدر، و انخفاض الآلة المجوفة و انجرار الخيط بها المشدود، و تولد الحركة فى الظرف الذى فيه الكرة؛ و كل ذلك يتقدر بتقدّر سببه، و لا يزيد لا ينقص. و يمكن أن يجعل وقوع الكرة فى الطاس سببا لحركة أخرى، و تكون الحركة الأخرى سببا لحركة ثالثة، و هكذا إلى درجات كثيرة، حتى تتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة، و سببها الأول نزول الماء بقدر معلوم. فإذا تصورت هذه الصورة، فاعلم أن واضعها يحتاج إلى ثلاثة أمور: أوّلها التدبير، و هو الحكم بأنه ما الذى ينبغى أن يكون من الآلات و الأسباب و الحركات حتى يؤدى إلى حصول ما ينبغى أن يحصل؛ و ذلك هو الحكم. و الثانى إيجاد هذه الآلات التى هى الأصول، و هى الآلة الأسطوانية لتحوى الماء، و

الآلـة المجوفـة لتوضع على وجه المـاء، و الخيـط المشـدود بهـا، و الظرف الـذى فيه الكرة و الطـاس الـذى تقع فيه الكرة؛ و ذلـك هو القضاء. الثالث نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة، و هو ثقب أسـفل الآلة ثقبة مقدرة السّعة، ليحدث بنزول الماء منها حركـة فى المـاء تؤدى إلى حركـة وجه المـاء بنزوله، ثم إلى حركـة الآلـة المجوفـة الموضوعـة على وجه المـاء بنزوله، ثم إلى حركة الخيط، ثم إلى حركة الظرف الذى فيه الكرة، ثم إلى حركة الكرة، ثم إلى الصدمة بالطاس- إذا وقع- ثم إلى الطنين الحاصل منها، ثم إلى تنبيه الحاضـرين و استماعهم، ثم إلى حركاتهم فى الاشتغال بالصلوات و الأعمال عند معرفتهم بانقضاء الساعة؛ و كل ذلك يكون بقدر معلوم و مقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الأولى، و هى حركة الماء. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲ فإذا فهمت أن هـذه الآلات أصول لابـد منها للحركة، و أن الحركة لابد من تقدرها ليتقدر ما يتولد منها، فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدر التى لا يتقـدم منها شـىء و لا يتأخر؛ إذا جاء أجلهم، أى حضـر سببها. و كل ذلك بمقـدار معلوم أن اللّه بالغ أمره قـد جعل اللّه لكل شىء قـدرا. فالسـموات و الأفلاـك و الكواكب و الأرض و البحر و الهواء، و هـذه الأجسام العظام فى العالم كتلك الآلات، و السبب المحرك للأفلاـك و الكواكب و الشـمس و القمر بحسـاب معلوم، كتلـك الثقبـة الموجبـة لنزول المـاء بقـدر معلوم، و إفضـاء حركة الشـمس و القمر و الكواكب إلى حصول الحوادث فى الأرض، كإفضاء حركة الماء إلى حصول تلك الحركات المفضـية إلى سقوط الكرة المعرّفـة لانقضـاء الساعـة. و مثـال تـداعى حركـات السـماء الى تغيير الأـرض، هـو أن الشـمس بحركتهـا إذا بلغت إلى المشـرق فاسـتضاء العـالم، و تيسـر على النـاس الإبصـار، فيتيسـر عليهم الانتشـار فى الاشـتغال؛ فإذا بلغ المغرب تعـذر عليهم ذلك، فيرجعوا إلى المسـاكن. و إذا قربت من وسـط السـماء و سامتت «۱» رؤوس أهـل الأقـاليم حمى الهواء و اشـتد القيـظ و حصل نضـج الفواكه، و إذا بعـدت حصـل الشـتاء و اشـتد البـرد، و إذا توسـطت حصـل الاعتـدال فظهر الربيـع، و أنبتـت الأـرض و ظهرت الخضـرة؛ و قس بهـذه للمشـهورات التى تعرفها و الغرائب التى لا تعرفها. فاختلاف هـذه الفصول كلها مقـدرة بقـدر معلوم، لأنها منوطـة بحركات الشـمس و القمر، و الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ [الرحمـن: ۵]، أى حركتهما بحساب معلوم. فهـذا هو التقـدير. و وضع الأسـباب الكلية هو القضاء. و التدبير الأول الذى هو كلمح البصـر، هو الحكم. و كما أن حركة الآلة و الخيط و الكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة، بل ذلك هو الـذى أراد بوضع الآلـة فكـذلك كل ما يحدث فى العالم من الحوادث، شـرها و خيرها، نفعها و ضـرها، غير خارج عن مشـيئة اللّه تعالى، بل ذلك مراد اللّه تعالى و لأجله دبر أسبابه. و تفهيم الأمور الإلهيـة بالأمثلـة العرفيـة عسـير؛ و لكن المقصود من الأمثلـة التنبيه، فدع المثال و تنبه للغرض، و احذر من التمثيل و التشبيه.

## الأصل السادس فى السمع و البصر

الأصل السادس فى السمع و البصر: و أنه تعالى سميع بصير، يسمع و يرى: لا يعزب عن سمعه مسموع و إن خفى، و لا يغيب عن رؤيته مرئىّ و إن دق، و لا يحجب سـمعه بعـد، و لا يـدفع رؤيته ظلام، يرى الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۳ من غير حدقـة و لا أجفان و يسمع من غير أصمخة «۱» و لا آذان. كما يعلم من غير قلب، و يبطش بغير جارحة، و يخلق بغير آلة؛ إذ لا تشـبه صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق.

## الأصل السابع فى الكلام

الأصل السابع فى الكلام: و أنه متكلم آمرناه، و اعد متوعد بكلام أزلى قديم، قائم بذاته لا يشـبه كلامه كلام الخلق، كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق؛ فليس بصوت يحدث من انسلال هواء و اصطكاك أجرام، و لا حرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان. و أن القرآن و التوراة و الإنجيـل و الزبور كتبه المنزلـة على رسـله. و أن القرآن مقروء بالألسـنة، مكتوب فى المصاحف، محفوظ فى القلوب. و أنه مع ذلك قـديم قائم بـذات اللّه تعالى، لا يقبل الانفصال و الافتراق بالانتقال إلى القلوب و الأوراق. و أن موسـى- عليه السـلام- سـمع

كلام اللّه بغير صوت و لا- حرف. كما يرى الأبرار ذات اللّه- سبحانه- من غير جوهر و لا شكل و لا لون و لا عرض. و إذا كانت له هذه الصفات، كان حيّا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا، متكلما بالحياة و العلم و القدرة و الإرادة، و السمع و البصر و الكلام، لا بمجرد الذات.

## الأصل الثامن فى الأفعال

الأصل الثامن فى الأفعال: و أنه لا- موجود سواه إلا- و هو حادث بفعله، و فائض من عدله، على أحسن الوجوه و أكملها، و أتمها و أعدلها. و أنه حكيم فى أفعاله، عادل فى أقضيته، لا يقاس عدله بعدل العباد؛ إذ العبد يتصوّر منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره، و لا يتصوّر الظلم من اللّه تعالى- سبحانه- فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما. فكل ما سواه من إنس و جن، و شيطان و ملك، و سماء و أرض، و حيوان و نبات، و جوهر و عرض، و مدرك و محسوس، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا و إنشاء، بعد أن لم يكن شيئا؛ إذ كان فى الأزل موجودا وحده، و لم يكن معه غيره، فأحدث الخلق إظهارا لقدرته، و تحقيقا لما سبق من إرادته، و لما حقّ فى الأزل من كلمته، و هى قوله: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف» لا لافتقاره إليه، و لا لحاجته. و أنه متفضل بالخلق و الاختراع الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴ و التكليف، لا- عن وجوب، و متطول «۱» بالإنعام و الإصلاح لا عن لزوم، فله الفضل و الإحسان و النعمة و الامتنان، إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب، و يبتليهم بضروب الآلام و الأوصاب «۲». و لو فعل ذلك لكان منه عدلا و لم يكن منه قبيحا و لا- ظلما. و أنه يثيب «۳» عباده على الطاعات بحكم الكرم و العدل لا بحكم الاستحقاق و اللزوم؛ إذ لا- يجب عليه فعل، و لا يتصور منه ظلم، و لا يجب لأحد عليه حق. و أن حقه فى الطاعات واجب على الخلق بإيجابه على لسان أنبيائه، لا بمجرد العقل، و لكنه بعث الرسل و أظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلّغوا أمره و نهيه، و وعده و وعيده، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به.

## الأصل التاسع فى اليوم الآخر

الأصل التاسع فى اليوم الآخر: و أنه يفرق بالموت بين الأرواح و الأجسام، ثم يعيدها إليها عند الحشر و النشور، فيبعث من فى القبور و يحصّل ما فى الصدور «۴». فيرى كل مكلّف ما عمله من خير أو شر محضرا «۵»، و يصادف دقيق ذلك و جليّه مسطّرا فى كتاب، لا يغادر صغيرة و لا- كبيرة إلا- أحصاها. و يعرف كل واحد مقدار عمله، خيره و شره بمعيار صادق، يعبّر عنه بالميزان، و إن كان لا يساوى ميزان الأعمال ميزان الأجسام الثقال، كما لا يساوى الاصطرلاب الذى هو ميزان المواقيت، و المسطرة التى هى ميزان المقادير، و العروض الذى هو ميزان الأشعار، سائر الموازين، ثم يحاسبهم على أفعالهم و أقوالهم، و سرائرهم و ضمائرهم، و نياتهم و عقائدهم، مما أبدوه أو أخفوه، فإنهم يتفاوتون فيه إلى مناقش فى الحساب، و إلى مسامح فيه، و إلى من يدخل الجنة بغير حساب. و أنهم يساقون إلى الصراط، و هو جسر ممدود بين منازل الأشقياء و منازل السعداء، أحدّ من السّيف، و أدقّ من الشّعر، يخفّ عليه من استوى فى الدنيا على الصراط المستقيم الذى يوازيه فى الخفاء و الدقة، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵ و يتعثر به من عدل عن سواء السبيل المستقيم إلا من عفى عنه بحكم الكرم. و أنهم عند ذلك يسألون، فيسأل من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة، و من شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين، و من شاء من المبتدعة عن السنّة، و من شاء من المسلمين عن أعمالهم، فيسأل الصادقين عن صدقهم، و المنافقين عن نفاقهم. ثم يساق السعداء إلى الرحمن وفدا، و المجرمون إلى جهنم وردا «۱». ثم يأمر بإخراج الموحّدين من النار بعد الانتقام، حتى لا يبقى فى النار من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان، و يخرج بعضهم قبل تمام العقوبة و الانتقام، بشفاعة الأنبياء و العلماء و الشهداء، و من له رتبة الشفاعة. ثم يستقر أهل السعادة فى الجنة منعمين أبد الآبدين، ممتعين بالنظر إلى وجه اللّه تعالى. و يستقر أهل الشقاوة فى النار مردّدين تحت أنواع العذاب، مبعدين عن النظر بالحجاب إلى وجه اللّه تعالى، ذى الجلال و الإكرام.

## الأصل العاشر فى النبوة

الأصل العاشر فى النبوة: و أنه تعالى خلق الملائكة و بعث الأنبياء، و أيّدهم بالمعجزات. و أن الملائكة كلهم عباده لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون «۲». يسبحون الليل و النهار لا- يفترون. و أن الأنبياء رسله إلى خلقه، و ينتهى إليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون عن وحى يوحى لا عن الهوى، و أنه بعث النبيّ الأميّ القرشيّ محمد المصطفى صلى اللّه عليه و سلم برسالته إلى كافة العرب و العجم، و الجن و الإنس، فنسخ بشرعه الشرائع، و جعله سيد البشر، و منحه كمال الإيمان بشهادة التوحيد، و هو قوله: «لا إله إلا اللّه» ما لم يقترن بها شهادة الرسول، و هو قوله: «محمد رسول اللّه». و ألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر به عنه، فى أمر الدنيا و الآخرة، و ألزمهم اتّباعه و الاقتداء به فقال: وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: ۷]. فلم يغادر شيئا يقرّبهم من اللّه سبحانه، إلا- أمرهم به، و دلهم على سبيله، و لا- شيئا يقربهم إلى النار، و يبعدهم عن اللّه تعالى إلا نهاهم عنه، و عرّفهم طريقه. و أن ذلك أمور لا- يرشد إليها مجرد العقل و الرأى و الذكاء، بل هى أسرار يكاشف بها من حظيرة القدس قلوب الأنبياء. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶ و الحمد للّه على ما أرشد و هدى، و أظهر من أسمائه الحسنى، و صفاته العليا، و الصلاة و السلام على محمد المصطفى، خاتم الأنبياء و على آله و أصحابه، و سلم كثيرا. آمين يا رب العالمين.

## خاتمة فى التنبيه على الكتب التى تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة

خاتمة فى التنبيه على الكتب التى تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة: اعلم أن ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن، أعنى جمل ما يتعلق منها باللّه و اليوم الآخر؛ و هى ترجمة العقيدة التى لا بد أن ينطوى عليها قلب كل مسلم، بمعنى أنه يعتقده و يصدق به تصديقا جزما. و وراء هذه العقيدة الظاهرة رتبتان: إحداهما معرفة أدلة هذه العقيدة الظاهرة من غير خوض على أسرارها، و الثانية معرفة أسرارها و لباب معانيها و حقيقة ظواهرها. و الرتبتان جميعا ليستا واجبتين على جميع العوام، أعنى أن نجاتهم فى الآخرة غير موقوفة عليهما، و لا فوزهم موقوف عليهما، و إنما الموقوف عليهما كمال السعادة. و أعنى بالنجاة الخلاص من العذاب، و أعنى بالفوز الحصول على أصل النعيم، و أعنى بالسعادة نيل غايات النعيم، فالسلطان إذا استولى على بلدة و فتحها عنوة، فالذى لم يقتله و لم يعذبه فهو ناج و إن أخرجه عن البلدة، و الذى لم يعذبه و مع ذلك مكّنه من المقام فى بلدته مع أهله و أسباب معيشته فهو مع ذلك فائز بالنجاة. و الذى خلع عليه و أشركه فى ملكه و استخلفه فى مملكته و إمارته فهو مع النجاة و الفوز سعيد، ثم زيادة درجات السعادات لا تنحصر. و اعلم ان الخلق فى الآخرة ينقسمون إلى هذه الأصناف، بل إلى أصناف أكثر منها، و قد شرحنا ما أمكن من شرحها فى كتاب التوبة فاطلبه فيه. و الرتبة الأولى من الرتبتين: و هى معرفة أدلة هذه العقيدة، و قد أودعناها الرسالة القدسية فى قدر عشرين ورقة، و هى أحد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب الإحياء. و أما أدلتها مع زيادة تحقيق و زيادة تأنق فى إيراد الأسئلة و الإشكالات، فقد أودعناها فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد فى مقدار مائة ورقة، فهو كتاب مفرد برأسه، يحوى لباب علم المتكلمين، و لكنه أبلغ فى التحقيق، و أقرب إلى قرع أبواب المعرفة من الكلام الرسمى الذى يصادف فى كتب المتكلمين. و كل ذلك يرجع إلى الاعتقاد لا إلى المعرفة؛ فإن المتكلم لا يفارق العامى إلا فى كونه عارفا، و كون العامى معتقدا، بل هو أيضا معتقد عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد، ليؤكد الاعتقاد و يستمره، و يحرسه عن الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷ تشويش المبتدعة. و لا تنحل عقيدة الاعتقاد إلى انشراح المعرفة، فإن أردت أن تستنشق شيئا من روائح المعرفة صادفت منها مقدارا يسيرا مثبوتا فى كتاب الصبر و الشكر، و كتاب المحبة و باب التوحيد، من أول كتاب التوكل و جملة ذلك من كتاب الإحياء، و تصادف منها قدرا صالحا يعرفك كيفية قرع باب المعرفة فى كتاب المقصد الأقصى فى معانى أسماء اللّه الحسنى، لا سيما فى الأسماء المشتقة من الأفعال. و إن أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير مجمحة و لا- مراقبة، فلا تصادفه إلا فى بعض كتبنا المضنون بها على غير أهلها، و إياك أن تغتر و تحدث نفسك بأهليته، فتشرئب

لطلبه، فتستهدف للمشافهة بصريح الرد؛ إلا أن تجمع ثلاث خصال: إحداها الاستقلال فى العلوم الظاهرة و نيل رتبة الإمامة فيها. و الثانية انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو الأخلاق الذميمة، حتى لا يبقى فيك تعطش إلا إلى الحق، و لا اهتمام إلا به، و لا شغل إلا فيه، و لا تعريج إلا عليه. و الثالثة أن يكون قد أتيح لك السعادة فى أصل الفطرة، بقريحة صافية، و فطنة بليغة، لا تكلّ عن درك غوامض العلوم و مشكلاتها على سبيل البديهة و المبادرة؛ فإن البليد إذا أتعب خاطره و أكد نفسه، ربما أدرك بعض الغوامض أيضا، و لكن يدرك منها شيئا يسيرا فى مدة طويلة. فلن يصلح لاقتباس المعرفة الحقيقية، إلا قلب صاف كأنه مرآة مجلوّة؛ و إنما يصير كذلك بقوة الفطرة و صحة القصد، ثم بإزالة كدورات الدنيا عن وجهه، فإنه الرّين «۱» و الطبع يمنع اللّه به القلوب عن معرفته. و أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ [الأنفال: ۲۴]. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸

## القسم الثانى فى الأعمال الظاهرة و هى عشرة أصول.

### الأصل الأول فى الصلاة

الأصل الأول فى الصلاة: قال اللّه تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى [طه: ۱۴] و قال النبى عليه السلام: «الصلاة عماد الدين». و اعلم أنك فى صلاتك مناج ربك، فانظر فانظر كيف تصلى، و حافظ فيها على ثلاثة أمور لتكون من جملة المحافظين على الصلاة و المقيمين لها: [المحافظة الأولى:] فإن اللّه تعالى إنما يأمر بالإقامة و يقول: أَقِمِ الصَّلاةَ [الإسراء: ۷۸] و أَقِيمُوا الصَّلاةَ [الأنعام: ۷۲] و ليس يقول صل أو صلوا. و يثنى على المحافظين على الصلاة فيقول: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ [الأنعام: ۹۲] الأول المحافظة على الطهارة، بأن يسبغ «۱» الوضوء قبل الصلاة، و إسباغها أن يأتى بجميع سننها و أذكارها المروية عند كل وظيفة منها، و يحتاط أيضا فى طهارة ثيابه، و طهارة بدنه، و طهارة الماء الذى يتوضأ به احتياطا لا ينفتح عليه باب الوسواس، فإن الشيطان يوسوسه فى الطهارة فيضيع أكثر أوقات العبادة. و اعلم أن المقصود من طهارة الثوب- و هو القشر الخارج- ثم من طهارة البدن- و هو القشر القريب- ثم طهارة القلب- و هو اللب الباطن-. و طهارة القلب عن نجاسات الأخلاق المذمومة، أهم طهارة كما سنذكرها فى القسم الثالث؛ لكن لا يبعد أن يكون لطهارة الظاهر أيضا تأثير فى إشراق نورها على القلب؛ فإنك إذا أسبغت الوضوء، و استشعرت نظافة ظاهرك، صادفت فى قلبك انشراحا و صفاء كنت لا تصادفه من قبل، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۹ و ذلك لسر العلاقة التى بين عالم الشهادة و عالم الملكوت؛ فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة، و القلب من عالم الملكوت بأصل فطرته، و إنما هبوطه إلى عالم الشهادة كالغريب عن جبلّته «۱». و كما تنحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح، فكذلك يرتفع من أحوال الجوارح أنوار إلى القلب، و لذلك أمروا بالصلاة مع أنها حركات الجوارح التى هى من عالم الشهادة، و لذلك جعلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى الدنيا و من الدنيا، و قال: «حبب إلىّ من دنياكم ثلاث ...» «۲». الحديث. فلا يستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر على الباطن؛ ففى بدائع صنع اللّه أمور أعجب من هذا، إذ قد عرف بالتجربة، أن المجامع فى حال المباشرة، لو أدمن النظر إلى بياض مشرق أو حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه، مال لون المولود إلى ذلك اللون الذى غلب عليه، و أن الجنين أول ما يتحرك فى البطن، تميل صورته إلى الحسن، إن كانت الأم مشاهدة فى تلك الحالة لصورة حسنة، بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها، و لذلك أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المباشر عند مباشرته أن يحضر فى قلبه إرادة إصلاح المولود، و يدعو اللّه بذلك فيقول: «اللهم جنّبنا الشيطان و جنب الشيطان عما رزقتنا» حتى يفيض اللّه سبحانه مبادىء الصلاح على الروح التى يخلقها عند إلقاء البذر فى محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث، كما يفيض اللّه النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الأجسام المحاذية للمرآة. و ها نحن الآن نقرع بابا عظيما من معرفة عجائب صنع اللّه فى الملك و الملكوت، و إلى قريب منه يرجع سر الشفاعة فى الآخرة فلنجاوزه؛ فغرضنا الآن ذكر الأعمال دون المعارف. و قد أشممناك شيئا يسيرا من أسرار الطهارة الظاهرة، فإن كنت لا

تصادف بعد الطهارة و إسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذى وصفناه، فاعلم أن الدرن الذى عرض على قلبك من كدورات شهوات الدنيا و شواغلها، اقتضى كلال «۳» حس القلب فصار لا يحس باللطائف و الأشياء الخفية اللطيفة، و لم يبق الاربعين فى اصول الدين، ص: ۲۰ فى قوته إلا- إدراك الجليات إن بقى. فاشتغل بجلاء قلبك و تصفيته، فذلك أوجب عليك من كل ما أنت فيه!. المحافظة الثانية: أن تحافظ على سنن الصلاة و أعمالها الظاهرة، و أذكارها و تسبيحاتها، حتى تأتى فيها بجميع السنن و الآداب و الهيئات، كما جمعناها فى كتاب بداية الهداية، فإن لكل واحد منها سرّا، و له تأثير فى القلب كما نبهنا عليه فى تأثير الطهارة، بل أشدّ و أبلغ، و شرح ذلك يطول. و أنت إذا أتيت بذلك انتفعت به و إن لم تعلم أسراره، كما ينتفع شارب الدواء بشربه، و إن لم يعرف طبائع أخلاطه و وجوه مناسبته لمرضه. و اعلم أن الصلاة صورة صوّرها ربّ الأرباب، كما صور الحيوان مثلا؛ فروحها النية و الإخلاص و حضور القلب، و بدنها الأعمال، و أعضاؤها الأصلية الأركان، و أعضاؤها الكمالية الأبعاض «۱» فالإخلاص و النية فيها يجرى مجرى الروح، و القيام و القعود يجرى مجرى البدن، و الركوع و السجود يجرى مجرى الرأس و اليد و الرجل، و إكمال الركوع و السجود و الطمأنينة و تحسين الهيئة يجرى مجرى حسن الأعضاء و حسن أشكالها و ألوانها، و الأذكار و التسبيحات المودعة فيها تجرى مجرى آلات الحس المودعة فى الرأس و الأعضاء كالعينين و الأذنين و غيرهما، و معرفة معانى الأذكار و حضور القلب عندها يجرى مجرى قوة الحس المودعة فى آلات الحسّ كقوة السمع و قوة البصر و الشم و الذوق و اللمس فى معادنها. و اعلم أن تقرّبك بالصلاة، كتقرب بعض خدم السلطان بإهداء وصيفة إلى السلطان. و اعلم أن فقد النية و الإخلاص من الصلاة كفقد الروح من الوصيفة، و المهدى للجيفة الميتة مستهزىء بالسلطان، فيستحق سفك الدم، و فقد الركوع و السجود يجرى مجرى فقد الأعضاء، و فقد الأذكار يجرى مجرى فقد العينين من الوصيفة، و جدع الأنف و الأذنين و عدم حضور القلب فى غفلته عن معرفة معانى القرآن و الأذكار كفقد السمع و البصر مع بقاء جرم الحدقة و الأذن. و لا يخفى عليك أن من أهدى وصيفة بهذه الصفة، كيف يكون حاله عند السلطان؟. و اعلم أن قول الفقيه فى الصلاة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۲۱ الناقصة ألفاظها و سننها أنها صحيحة، كقول الطبيب فى الوصيفة المقطوعة أطرافها أنها حية و ليست بميتة، فإن كان ذلك كافيا فى التقرب بها إلى السلطان و نيل الكرامة منه، فاعلم ان الصلاة الناقصة صالحة أيضا للتقرب بها إلى اللّه سبحانه و نيل الكرامة، و إن أوشك أن يردّ ذلك على المهدى و يزجر، فلا يبعد مثل ذلك فى الصلاة، فإنها قد تردّ على المصلى كالخرقة الخلقة «۱» كما ورد فى الخبر. و اعلم أن أصل الصلاة التعظيم و الاحترام، و إهمال آداب الصلاة يناقض التعظيم و الاحترام. المحافظة الثالثة: أن تحافظ على روح الصلاة، و هى الإخلاص و حضور القلب فى جملة الصلاة، و اتصاف القلب فى الحال بمعانيها؛ فلا تسجد و لا تركع إلا و قلبك خاشع متواضع على موافقة ظاهرك، فإن المراد خضوع القلب لا خضوع البدن؛ و لا- تقل «اللّه أكبر» و فى قلبك شىء أكبر من اللّه تعالى؛ و لا تقل «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ» إلا و قلبك متوجه بكل وجهه إلى اللّه و معرض عن غيره؛ و لا تقل: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» إلا و قلبك طافح بشكر نعمه عليك فرح به مستبشر؛ و لا تقل «وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» إلا و أنت مستشعر ضعفك و عجزك، و أنه ليس إليك و لا إلى غيرك من الأمر شىء. و كذلك فى جميع الأذكار و الأعمال، و شرح ذلك يطول، و قد شرحناه فى كتاب الإحياء. فجاهد نفسك فى أن تردّ قلبك إلى الصلاة حتى لا تغفل من أولها إلى آخرها، فإنه لا يكتب للرجل من صلاته إلا ما عقل منها. فإن تعذر عليك الإحضار- و ما أراك إلا كذلك- فانظر، فإن كان قدر الغفلة مقدار ركعتين، فلا تعد الصلاة، و لكن افهم أن النوافل «۲» جوابر الفرائض، فتنفّل بمقدار أن يحضر القلب فيها فى مقدار ركعتين، فكلما زادت الغفلة، زد فى النوافل حتى يحضر قلبك مثلا فى عشر ركعات بمقدار أربع ركعات و هو قدر فرضك، فمن رحمة اللّه عليك أن قبل منك جبران الفرائض بالنّوافل. فهذه أصول المحافظة على الصلاة. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۲۲

## الأصل الثانى فى الزكاة و الصدقة

### المحافظة فى زكاة و الصدقة على خمسة أمور

[المحافظة فى زكاة و الصدقة على خمسة أمور:] و حافظ فى زكاتك و صلاتك و صدقتك على خمسة أمور: الأول: الإسرار؛ فإن فى الخبر أن صدقة السر تطفىء غضب الرب. و الذى يتصدق بيمينه بحيث لا تعلم شماله هو أحد السبعة الذين يظلّهم اللّه، يوم لا ظل إلا ظله؛ و قد قال اللّه تعالى: وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ [البقرة: ۲۷۱]. و بذلك تتخلص عن الرياء، فإنه غالب على النفس و هو مهلك، ينقلب فى القلب- إذا وضع الإنسان فى قبره- فى صورة حية، أى يؤلم إيلام الحيّة؛ و البخل ينقلب فى صورة عقرب. و المقصود فى كل الإنفاق الخلاص من رذيلة البخل، فإذا امتزج به الرياء، كان كأنه جعل العقرب غذاء الحية، فما تخلص من العقرب و لكن زاد فى قوة الحية، إذ كل صفة من الصفات المهلكات فى القلب إنما غذاؤها و قوّتها فى إجابتها إلى مقتضاها. الثانى: أن تحذر من المنّ؛ و حقيقته أن ترى نفسك محسنا إلى الفقير متفضلا عليه، و علامته أن تتوقع منه شكرا أو تستنكر تقصيره فى حقك و ممالأته عدوك استنكارا يزيد على ما كان قبل الصدقة؛ فذلك يدل على أنك رأيت لنفسك عليه فضلا؛ و علاجه أن تعرف أنه المحسن إليك بقبول حق اللّه منك؛ فإن من أسرار الزكاة تطهير القلب، و تزكيته عن رذيلة البخل و خبث الشح؛ و لذلك كانت الزكاة مطهرة إذ بها حصلت الطهارة، فكأنها غسالة نجاسة؛ و لذلك ترفع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أهل بيته من أخذ الزكاة، و قال عليه السلام: «إنها أوساخ أموال الناس»، و إذا أخذ الفقير منك ما هو طهرة لك فله الفضل عليك. أ رأيت لو كان فصّاد أفصدك مجانا و أخرج من باطنك الدم الذى تخشى ضرره فى الحياة الدنيا أ كان الفضل لك أم له؟ فالذى يخرج من باطنك رذيلة البخل و ضررها فى الحياة الآخرة أولى بأن تراه متفضلا. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۲۴ الثالث: أن تخرجه من أطيب أموالك و أجودها؛ قال اللّه تعالى: وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ [النحل: ۶۲]. و قال اللّه: وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ [البقرة: ۲۶۷]. الآية. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إن اللّه طيب لا يقبل إلا الطيب» يعنى الحلال، فإن المقصود من هذا إظهار درجة الحب، و الإنسان يؤثر الأحب إليه الأنفس دون الأخسّ. الرابع: أن تعطى بوجه طلق مستبشر، و أنت به فرحان غير مستكره؛ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «سبق درهم مائة ألف» و إنما أراد ما يعطيه عن بشاشة و طيبة نفس من أنفس ماله و أجوده، فذلك أفضل من مائة ألف مع الكراهة. الخامس: أن تتخير لصدقتك محلا تزكو به الصدقة؛ و هو المتقى العالم الذى يستعين بها على طاعة اللّه عز و جل و تقواه، أو الصالح المعيل ذو الرحم. فإن لم تجتمع هذه الأوصاف، فتزكو للصدقة بآحادها أيضا. و رعاية الصلاح أصل الأمور، فما الدنيا إلا البلغة «۱» للعباد و زاد لهم إلى المعاد، فليصرف إلى المسافرين إليه المتخذين هذه الدار منزلا من منازل الطريق. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «لا تأكل إلا طعام تقىّ، و لا يأكل طعامك إلّا تقىّ». :

## الأصل الثالث فى الصيام

الأصل الثالث فى الصيام: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «يقول اللّه سبحانه: كل حسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، إلّا الصيام، فإنه لى و أنا أجزى به». و قال عليه السلام: «لكل شىء باب و باب العبادة الصوم»، و إنما كان الصوم مخصوصا بهذه الخواص لأمرين: أحدهما أنه يرجع إلى كفّ، و هو عمل سرّ لا يطلع عليه أحد غير اللّه تعالى لا كالصلاة و الزكاة و غيرهما. و الثانى أنه قهر لعدو اللّه؛ فإن الشيطان هو العدو، و لن يقوى العدو، إلا بواسطة الشهوات، و الجوع يكسر جميع الشهوات التى هى آلة الشيطان، فلذلك قال عليه السلام: «إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجارى الشيطان بالجوع»، و هو سرّ قوله صلى اللّه عليه و سلم «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنان، و غلقت أبواب النيران، و صفدت الشياطين، و نادى مناد: يا باغى الخير هلمّ و يا باغى الشر أقصر». الاربعين فى اصول الدين، ص: ۲۵ و اعلم أن الصوم، بالإضافة إلى مقداره، على ثلاث درجات، و بالإضافة إلى أسراره، على ثلاث درجات. أما درجات مقداره: فأقلها الاقتصار على شهر رمضان، و أعلاها صوم داود عليه السلام، و هو أن تصوم يوما و تفطر يوما؛ ففى الخبر الصحيح، أن ذلك أفضل من صوم الدهر، و أنه أفضل الصيام. و سرّه أن من صام الدهر صار الصوم له عادة، فلا يحس بوقعه فى نفسه بالانكسار، و فى قلبه بالصفاء، و فى شهواته بالضعف، فإن النفس إنما تتأثر بما يرد عليها لا بما مرنت «۱» عليه،

فلا يبعد هذا، فإن الأطباء أيضا ينهون عن اعتياد شرب الدواء، و قالوا: «من تعود ذلك لم ينتفع به إذا مرض، إذ يألفه مزاجه فلا يتأثر به». و اعلم أن طب القلوب قريب من طب الأبدان، و هو سر قوله صلى اللّه عليه و سلم لعبد اللّه بن عمر- رضى اللّه عنهما- لما كان يسأله عن الصوم، فقال عليه السلام: «صم يوما و أفطر يوما». فقال: «أريد أفضل من ذلك». فقال عليه السلام: «لا أفضل من ذلك»- و لذلك لما قيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إن فلانا صام الدهر»، فقال عليه السلام: «لا صام و لا أفطر». كما قالت عائشة- رضى اللّه عنها- لرجل كان يقرأ القرآن بهذرمة «۲»: «إن هذا ما قرأ القرآن و لا سكت». و أما الدرجة المتوسطة فهو أن تصوم ثلث الدهر. و مهما صمت الاثنين و الخميس و أضفت إليه رمضان، فقد صمت من السنة أربعة أشهر و أربعة أيام، و هو زيادة على الثلث؛ لكن لا بد أن ينكسر يوم من أيام التشريق، و ترجع الزيادة إلى ثلاثة أيام؛ و يتصور أن ينكسر فى العيدين يومان فتكون ثلاثة أيام، فترجع الزيادة إلى يوم واحد، فتأمل حسابه تعرفه. فلا ينبغى أن ينقص من هذا القدر صومك، فإنه خفيف على النفس، و ثوابه جزيل. و أما درجات أسراره فثلاث: أدناها أن يقتصر على الكفّ عن المفطرات، و لا يكف جوارحه عن المكاره؛ و ذلك صوم العموم و هو قناعتهم بالاسم. الثانية: أن تضيف إليه كف الجوارح، فتحفظ اللسان عن الغيبة و العين عن النظر بالزينة و كذا سائر الاربعين فى اصول الدين، ص: ۲۶ الأعضاء. الثالثة: أن تضيف إليه صيانة القلب عن الفكر و الوسواس، و تجعله مقصورا على ذكر اللّه عز و جل، و ذلك صوم خصوص الخصوص و هو الكمال. ثم للصيام خاتمة بها يكمل، و هو أن يفطر على طعام حلال لا على شبهة، و أن لا يستكثر من أكل الحلال بحيث يتدارك ما فاته ضحوة، فيكون قد جمع بين أكلتين دفعة واحدة، فتثقل معدته و تقوى شهوته، و يبطل سرّ الصوم و فائدته، و يفضى إلى التكاسل عن التهجّد، و ربما لم يستيقظ قبل الصبح؛ و كلّ ذلك خسران و ربما لا توازيه فائدة الصوم.

## الأصل الرابع فى الحج

### أما الآداب فسبعة

أما الآداب فسبعة: الأول: أن ترتاد للطريق رفيقا صالحا و نفقة طيبة حلالا، فالزاد الحلال ينوّر القلب، و الرفيق الصالح يذكّر الخير و يزجر عن الشر. الثانى: أن يخلى يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره، و ينقسم خاطره و لا يصفو للزيارة قصده. الثالث: أن يوسع فى الطريق بالطعام و يطيّب الكلام مع الرفقاء و المكارى. الرابع: أن يترك الرّفث «۲» و الجدال و التحدّث بالفضول فى أمر الدنيا، بل يقصر لسانه- بعد مهمات حاجاته- على الذكر و تلاوة القرآن. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۲۷ الخامس: أن يركب راحلة دون المحمل، و يكون رث الهيئة أشعث أغبر، غير متزين، بل على هيئة المساكين، حتى لا يكتب فى جملة المترفين. السادس: أن ينزل عن الدابة أحيانا ترفيها للدابة و تطييبا لقلب المكارى، و تخفيفا للأعضاء بالتحرك، و لا يحمّل الدابة ما لا تطيق، بل يرفق بها ما أمكن. السابع: أن يكون طيب النفس بما أنفق من نفقة، و بما أصابه من تعب و خسران، و أن يرى ذلك من آثار قبول الحج فيحتسب الثواب عليه. و أما أسراره فكثيرة نرمز منها إلى فنّين: أحدهما أنه وضع بدلا عن الرّهبانية التى كانت فى الملل كما ورد به الخبر؛ فجعل اللّه سبحانه الحج رهبانية لأمة محمد صلى اللّه عليه و سلم. فشرف البيت العتيق، و أضافه إلى نفسه، و نصبه مقصدا لعباده و جعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره، و جعل عرفات كالميدان على فناء حرمه، و أكد حرمة الموضع بتحريم صيده و شجره، و وضعه على أمثال الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق، ضعفاء غبرا «۱»، متواضعين لرب العالمين، خضوعا لجلاله، و استكانة لعزته، مع الاعتراف بتنزهه عن أن يكتنفه بيت، أو يحويه مكان، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم و عبوديتهم. و لذلك كلفهم أعمالا غريبة لا تناسب الطبع و العقل، ليكون إقدامهم بحكم محض العبودية، و امتثال الأمر من غير معاونة باعث آخر. و هذا سر عظيم فى الاستعباد، و لذلك قال صلى اللّه عليه و سلم: «لبّيك بحجّة حقّا و تعبّدا و رقّا». الفن الثانى: أن هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة، فليتذكر المريد بكل عمل من أعماله أمرا من أمور الآخرة موازيا له، فإن فيه تذكرة للمتذكر، و عبرة للمعتبر المستبصر. فتذكر من أول سفرك

عنـد وداعك أهلك، وداع الأهل فى سـكرات الموت، و من مفارقـة الوطن الخروج من الدنيا، و من ركوب الجمل ركوب الجنازة، و من الالتفـاف فى أثواب الإحرام الالتفـاف فى أثواب الكفن، و من دخول البادية إلى الميقـات مـا بين الخروج من الـدنيا إلى ميقـات القيامـة، و من هول قطّاع الطريق سؤال منكر و نكير، و من الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۲۸ سباع البوادى، عقارب القبر و ديدانه، و من انفرادك عن أهلـك و أقاربك، وحشـة القبر و وحـدته، و من التلبيـة، إجابـة داعى اللّه عز و جل عنـد البعث، و كـذلك فى سائر الأعمال، فإن فى كل عمل سرّا و تحته رمزا، يتنبه له كل عبد بقدر استعداده للتنبه، بصفاء قلبه، و قصور همه على مهمات الدين.

## الأصل الخامس فى قراءة القرآن

### أما الآداب الظاهرة فثلاثة

أمـا الآـداب الظـاهرة فثلاثـة: الأول: أن تقرأه باحترام و تعظيم، و لن تلزم الحرمـة قلبك ما لم تلزم هيئـة الحرمـة ظاهرك، و قـد عرفت كيفيـة علاقـة القلب بالجوارح و وجه ارتفاع الأنوار منها إليه. و هيئـة الحرمة أن تجلس و أنت على الطهارة ساكنا مطرقا مسـتقبل القبلة غير متكىء و لا متربع و لا نائم، كما تجلس بين يـدى المقرىء، و تقرأه بترتيل و تفخيم و تؤدة «۲» حرفا حرفا من غير هذرمة «۳». قال ابن عباس- رضـى اللّه عنه-: «لأن أقرأ «إذا زلزلت» و «القارعة» أتدبّرهما ا أحب إلى من أن أقرأ «البقرة» و «آل عمران» تهذيرا». الثانى: أن تتشوف فى بعض الأوقات إلى أقصـى درجات الفضل فيه، و ذلك بأن تقرأه فى الصـلاة قائما، خصوصا فى المسجد، و بالليل، لأن القلب فى الليـل أصـفى لأـنه أفرغ. فإنـك و ان خلـوت بالنهـار فتـردّد الخلـق و حركـاتهم فى أشـغالهم، تحرّك باطنـك، و تشـغلك، خصوصا و إن كنت تتوقع أن تطلب شـغلا من الأعمال و الأشـغال. و كيفما قرأته، و لو مضـطجعا من غير طهارة، فلا تخلو عن الفضل، فإن اللّه تعالى أثنى على الجميع، و قال: الَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ [آل عمران: ۱۹۱]. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۲۹ الآيـة. و لكن مـا ذكرنـاه فى زيـادة الفضـل؛ فـإن كنت من مريـدى الآـخرة، فلا يسـهل عليك ترك الفضل، و قـد قال على- رضوان اللّه عليه- «من قرأ القرآن و هو قائم فى الصـلاة، فله بكل حرف مائة حسـنة، و من قرأ القرآن فى غير صلاة، و هو على طهارة، فخمس و عشرون حسنة، و من قرأه على غير وضوء، فعشر حسنات». الثالث: فى مقدار القراءة، و له ثلاث درجات: أدناها أن يختم فى الشـهر مرة، و أقصاها أن يختم فى ثلاثة أيام مرة. و قال صـلى اللّه عليه و سلم: «من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقه» و أعدلها أن يختم فى الأسـبوع مرة. و أما الختم فى كل يوم فغير مستحب. و إياك أن تتصرف بعقلك فتقول: ما كان خيرا و نافعا فكلما كان أكثر كـان أنفع. فـإن عقلـك لاـ يهتـدى إلى أسـرار الأـمور الإلهيـة، و إنمـا تتلقاها قوة النبوة، فعليك بالاتّباع فإن خواص الأمور لا تـدرك بالقياس. أو ما ترى كيف نوديت إلى الصـلاة و نهيت عنها جميع النهار و أمرت بتركها بعـد الصـبح و بعد العصـر و عند الطلوع و عند الغروب و الزوال؟ و ذلـك ينتهى إلى قـدر ثلث النهـار. و كيف و أثر الفسـاد ظـاهر على قياسـك هـذا! فإنه كقول القائل: الـدواء نافع للمريض، فكلما كان أكثر كان أنفع. و أنت تعلم أن كثرة الدواء ربما يقتل.

### و أما الأسرار الباطنة فخمسة

و أما الأسـرار الباطنة فخمسة: الأول: أن تستشـعر فى أول قراءتك عظمة الكلام باستشـعار تعظيم المتكلم، فتحضـر فى قلبك العرش و الكرسـى، و السـموات و الأـرض و مـا بينهمـا، من الملائكـة و الجن، و الإنس و الحيوانات، و النباتات و المعادن. و تتـذكر أن الخالق لجميعها واحـد، و أن الكل فى قبضة قدرته، متردد بين فضـله و رحمته، و أنك تريد أن تقرأ كلامه و تنظر به إلى صـفة ذاته، و تطالع جمال علمه و حكمته، و تعلم أنه لا يمس ظاهر المصـحف إلا المطهّرون بظواهرهم، و هو محجوب عن غيرهم، فكذلك حقيقة معناه و باطنه، محجوب عن باطن القلب، إلّا إذا كان مطهرا من كل رجس و خبث من خبائث الباطن. و بمثل هـذا التعظيم كان عكرمـة، إذا

نشر المصحف ربما غشى عليه، و يقول: «هذا كلام ربّى، هذا كلام ربى». و اعلم أنه لولا أن أنوار كلامه العزيز و عظمته غشيت بكسوة الحروف لما أطاقت القوة البشرية سماعه لعظمته و سلطانه و سبحات نوره، و لولا تثبيت اللّه عز و جل موسى- الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۰ عليه السلام- لما أطاق سماعه مجردا عن كسوة الحروف و الأصوات، كما لم يطق الجبل مبادئ تجليه حتى صار دكّا دكّا. الثانى: أن تقرأ بتدبر معانيه إن كنت من أهله، و كل ما يجرى لسانك به فى غفلة فأعده، و لا تعده من عملك لأن الترتيل فى الظاهر للتمكن من التدبر. قال على- عليه السلام-: «لا خير فى عبادة لا فقه فيها، و لا فى قراءة لا تدبّر فيها. و إياك أن تصير مشغوفا بعدد الختمات على نفسك فلأن تردد آية واحدة ليلة تتدبّرها خير لك من ختمتين، فقد قرأ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» فرددها عشرين مرة». و قال أبو الدرداء- رضى اللّه عنه-: «قام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بنا ليلة، فقام بآية يردّدها: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ و قام تميم الدارى ليلة بقوله سبحانه: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ ... الآية، و قام سعيد بن جبير ليلة بقوله: وَ امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ». و لعل الأليق بك ما قاله بعض العارفين إذ قال: «لى فى كل جمعة ختمة، و لى فى كل شهر ختمة، و فى كل سنة ختمة، و لى ختمة منذ ثلاثين سنة، ما فرغت منها بعد». و ذلك بحسب درجات التدبر، فإن القلب فى بعض الأوقات لا يحتمل التدبر الطويل، فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة. الثالث: أن تجتنى فى تدبرك ثمار المعرفة من أغصانها، و تقتبسها من أوطانها، و لا تطلب الترياق من حيث تطلب منه الجواهر، و لا الجواهر من حيث يطلب منه المسك و العود، فإن لكل ثمرة غصنا، و لكل جوهر معدنا، و إنما يتيسر لك هذا بأن تعرف الأصناف العشرة التى حصرنا فيها أقسام القرآن، و هى عشرة معادن: فما يتعلق من القرآن باللّه تعالى و بصفاته و أفعاله، فاقتبس منه معرفة الجلال و العظمة، و ما يتعلق بالإرشاد إلى الصراط المستقيم فاقتبس منه معرفة الرحمة و العطف و الحكمة، و ما يتعلق بإهلاك الأعداء فاقتبس منه معرفة العزّة و الاستغناء و القهر و التجبر، و ما يتعلق بأحوال الأنبياء، فاقتبس منه معرفة اللطف و النعمة و الفضل و الكرم، و كذلك فى كل صنف ما يليق به. فلا تنظرنّ إليه بعين واحدة، و شرح ذلك يطول. الرابع: أن تتخلى عن موانع الفهم و هى الأكنّة «۱» التى تمنع من الفهم. قال اللّه عز الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۱ و جلّ: وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً ... [الأنعام: ۲۵، الإسراء: ۴۶] الآية. و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء». و اعلم أن معانى القرآن من جملة الملكوت، و إنما حروفها من عالم الشهادة، و الأكنة التى يبتلى بها المتقى المتعطش إلى الحقّ نوعان: إما ما ابتلى به ضعيف الإيمان من حجاب الشك و الجحود، و إما ما ابتلى به المنهمك فى الدنيا من حجاب الشهوات المستغرقة للقلب. فذلك جلىّ لا يخفى كونه مانعا من فهم لطائف القرآن و اقتباس أنواره، فبها حجب أكثر الخلق. و أما العباد المتجرّدون لطريق اللّه عزّ و جل، فيحجبون بنوعين آخرين، أحدهما: الوسواس الصارف للقلب إلى التفكر فى النية كيف كانت فى الابتداء هل بقيت الآن، و هل هو مخلص فى الحال؟ هذا إن كان فى الصلاة؛ أو الوسواس الصارف للهمّ إلى تصحيح مخارج الحروف و التشكك فيها و إعادتها لأجل ذلك، و هذا يجرى فى الصلاة و غيرها، فكيف يطالع أسرار الملكوت قلب محجوب مصروف إلى مطالعة الشفتين و كيفية انطباقهما، و اللسان و الحنك و كيفية انسلال الهواء من اصطكاكهما؟ و هو معنى تقطيع الحروف و تصحيحها. النوع الثانى: التقليد لظواهر معانى القرآن و الجمود عليها، و ذلك حجاب عظيم عن الفهم، و لست أعنى به التقليد الباطل، كتقليد المبتدع، بل التقليد الحق أيضا. فإن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له درجات، و له مبدأ ظاهر، و هو كالقشر و المثال و له غور باطن و هو كاللّباب. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إن للقرآن ظاهرا و باطنا، و حدّا و مطلعا». فالجامد على الظاهر الظانّ أنه ليس وراءه مرقى يرتقى إليه، كيف يتصور أن تنكشف له الأسرار، فقد كلف الخلق مثلا أن يعتقدوا أن اللّه تعالى يرى، و لكن للرؤية ظاهر و سرّ، فمن اعتقد أن رؤية اللّه تعالى مناسبة للرؤية التى يألفها الإنسان فى هذا العالم، كيف يتصور أن يطّلع على سرّ قوله تعالى: لَنْ تَرانِي و كيف يفهم أن ذلك ممتنع فى هذه الحياة الدنيا بهذه العين الموقوفة على ملاحظة الجهات و الأقطار، و كيف يدرك قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: ۱۰۳]، مع قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ، إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ [القيامة: ۲۲، ۲۳]. و يكفيك هذا المثال الواحد، فلسنا نكشف لك أكثر من هذا، و لسنا نقصد فى

هـذا الأصـل إلاـ التلويحـات لمبادئ الأسـرار تشويقا للمسـتعدين لها. الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۳۲ الخـامس: أن لا تقتصـر على اقتباس الأنوار، بل تضـيف إليها اقتباس الأحوال و الآثار، و ذلك أن لا تقرأ آيـة إلا و أن تصـير بصـفتها، فتكون لك بحسب كل فهم حال و وجـد، فعنـد ذكر الرحمـة، و عنـد المغفرة، تستبشـر كأنك تطير من الفرح، و عنـد ذكر الغضب و شدة العقاب، تتضاءل كأنك تموت من الفزع، و عنـد ذكر اللّه و أسـمائه و عظمته، تتطأطأ و تتصاغر حتى كأنك تنمحق من مشاهـدة الجلال، و عند ذكر الكفار ما يسـتحيل عليه من ولد و صاحبة، تنكسـر و تغض صوتك كأنك تنطمس من الحياء، و كذلك فى كل صـنف من الأصناف العشرة، و ذلـك أيضـا يطول. و ليظهر أثر ذلـك على جوارحـك من بكـاء عنـد الحزن، و عرق جبين عنـد الحيـاء، و اقشـعرار الجلـد، و ارتعـاد الفرائص عنـد الهيبـة و الجلالـ، و انبسـاط فى الأعضاء و اللسان و الصوت عنـد الاسـتبشار، و انقباض فيها عنـد الاستشـعار، فإذا فعلت ذلـك، اشترك فى نيـل حظ القرآن جميع أعضائـك، و فـاضت آثـار القرآن على عوالمـك الثلاثـة، أعنى: عـالم الملكوت، و عـالم الجبروت، و عـالم الشـهادة. و اعلم أن محض أنوار المعرفـة تفيض من عـالم الملكوت إلى سرّ القلب، لأـنه أيضا من الملكوت، و أما آثارهـا من الخشـية و الخوف و السـرور و الهيبـة و سـائر الأـحوال، فإنهـا تهبـط من عـالم الجبروت، و مهبطهـا الصـدر الـذى هو عالم الجبروت، و هو عـالم آخر من عوالمك، كنينا عنه بالصـدر كما كنينا عن الأول بالقلب، لأن عالم الجبروت بين عالم الملكوت و عالم الشـهادة، كما أن الصدر بين القلب و الجوارح. و أما البكاء و الشـهيق و الاقشعرار و ارتعاد الفرائص، فتنزل من عالم الشهادة، و مهبطها الجوارح، لأنها من عالم الشـهادة، و ما أراك تفهم من القلب غير اللحم الصـنوبرى الشـكل، و من الصدر غير العظم المحيط به، فإنك لاـ تـدرك من كـل شـىء إلاـ غلافه و قشره، و ما أبعـدك عن درك الحقائق، فإن هـذا يوجـد للبهائم و الميت، و لا تنزل عليه أنوار المعارف و العلوم و لا آثارها من الخشية و الهيبة و السرور، فإن أردت أن تستنشق شيئا من روائح هذه الأسرار- و ما أراك تريد- فقد أخذ الشيطان بمخنقك بحبال الشهوات، فعليك بباب التوحيد من أول كتاب التوكل إن أردته. و اعلم أن القرآن كالشمس، و فيضان أسـرار المعارف منه على القلب كفيضان أنوار الشـمس على الأرض، و سريان آثار الخوف و الخشية و الهيبة و سائر الأحوال منه على الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۳ الصدر كسـريان حرارة الشمس فى باطن الأرض، تابعا لإشراق الأنوار؛ فإن الخشية أثر نور المعرفة، و إِنَّما يَخْشَـى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [فاطر: ۲۸]، فانتشـار الحركات و التغيرات إلى الجوارح من البكاء و العرق و الاقشـعرار و الارتعاد، منبعث من آثار الخشـية، و سائر الأحوال، كحركة أجزاء الأرض بتصاعد الأبخرة و الأدخنة منها، بتصـعيد حرارة الشمس، فالحركة تبع الحرارة، و الحرارة تبع النور، و النور تبع وقوع المحاذاة بين الأرض و الشـمس. فاجتهد بأن تحاذى بوجه قلبك شـطر شمس القرآن، و تستضـىء بأنواره. كذلك فإن لم تطق ذلك فأصغ إلى النداء الوارد من جانب الطّور الأيمن، فإن آنست من جوانبه نارا، فخذ منه قبسا و أشـعل منه سـراجا، فـإن كـان زيتك صافيا يكاد يضـىء و لو لم تمسـسه نار، فإذا مسـته النار انبعث منه الضـياء، و وجـدت على النار هدى، و قام فى حقك مقام الشمس المنتشرة الإشراق و الضياء.

## الأصل السادس: ذكر اللّه عز و جل فى كل حال

الأصل السادس: ذكر اللّه عز و جل فى كل حال: قال اللّه سـبحانه: وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الأنفال: ۴۵، الجمعة: ۱۰]، و قال لنبيه صـلى اللّه عليه و سـلم: وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا [المزمل: ۸]، و قال صـلى اللّه عليه و سـلم: «لذكر اللّه بالغداة و العشى أفضل من حطم السـيوف فى سبيل اللّه و من إعطاء المال سخاء»، و قال صلى اللّه عليه و سلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أذكاها عند مليككم، و أرفعها فى درجاتكم، و خير لكم من إعطاء الورق و الذهب، و خير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم و يضربون أعناقكم؟» قالوا: و ما ذاك يا رسول اللّه؟ فقال: «ذكر اللّه». و قال صـلى اللّه عليه و سـلم: «سـبق المفردون سبق المفردون»، فقيل: و من هم يـا رسول اللّه؟ فقال: «المسـتهترون بـذكر اللّه، وضع ذكر اللّه عنهم أوزارهم فوردوا القيامـة خفافا». و اعلم أنه قـد انكشف لأرباب البصائر أن الـذكر أفضل الأعمال؛ و لكن له أيضا قشور ثلاثـة، بعضـها أقرب إلى اللب من بعض، و له لب وراء القشور الثلاثـة. و إنما

فضّل القشور لكونها طريقا إليه؛ فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط. و الثانى القلب إذ كان القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر، و لو ترك و طبعه لاسترسل فى أودية الأفكار. و الثالث أن يستمكن الذكر من القلب و يستولى عليه، بحيث يحتاج إلى تكلف فى صرفه عنه إلى غيره، كما احتيج فى الثانى إلى تكلف فى قراره معه و دوامه عليه، و الرابع- و هو اللباب- أن يستمكن المذكور من القلب، و ينمحى الذكر و يخفى، و هو الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۴ اللّباب المطلوب؛ و ذلك بأن لا يلتفت إلى الذكر و لا إلى القلب، بل يستغرق المذكور جملته؛ و مهما ظهر له فى أثناء ذلك التفات إلى الذكر، فذلك حجاب شاغل. و هذه الحالة التى يعبر عنها العارفون بالفناء، و ذلك بأن يفنى عن نفسه حتى لا يحس بشىء من ظواهر جوارحه، و لا من الأشياء الخارجة عنه، و لا من العوارض الباطنة فيه، بل يغيب عن جميع ذلك و يغيب عنه جميع ذلك، ذاهبا إلى ربه أولا، ثم ذاهبا فيه آخرا، و إن خطر له فى أثناء ذلك أنه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شوب «۱» و كدورة؛ بل الكمال فى أن يفنى عن نفسه و يفنى عن الفناء أيضا، فإن الفناء عن الفناء غاية الفناء، و هذا قد يظنه الفقيه الرسمى، أنه طامّات «۲» غير معقولة، و ليس كذلك، بل هذه الحالة لهم- بالإضافة إلى محبوبهم- كحالتك فى أكثر الأحوال بالإضافة إلى محبوبك من جاه أو مال أو معشوق، فإنك قد تصير مستغرقا لشدة الغضب بالفكر فى عدوك، و لشدة التفكر فى معشوقك، حتى لا يكون فيك متسع لشىء أصلا، فتخاطب فلا تفهم، و يجتاز بين يديك غيرك فلا تراه و عيناك مفتوحتان، و يتكلم عندك فلا تسمع و ما بأذنيك صمم، و أنت فى هذا الاستغراق غافل عن كل شىء و عن الاستغراق أيضا، فإن الملتفت إلى الاستغراق معرض عن المستغرق به. و إنما سمّوا هذه الحالة فناء، و إن كان الشخص و الظل باقيين، لأن الأشخاص و الأظلال بل سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود، بل الوجود الحقيقى لعالم الأمر و الملكوت، و القلب من عالم الأمر؛ قال اللّه تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [الإسراء: ۸۵]. و القوالب من عالم الخلق، و أعنى بالقلب «۳» اللطيفة الذاكرة العارفة التى هى مهبط الأنوار الإلهية دون القلب الظاهر، فإن ذلك من عوالم الخلق، فلا يفهم من هذا إشارة إلى قدم الروح و حدوث القالب بل هما جميعا حادثان. و إنما أعنى بالخلق ما تقع عليه المساحة و التقدير، و هى الأجسام و صفاتها. و أعنى بعالم الأمر ما لا يتطرق إليه التقدير. و العالم الجسمانى ليس له وجود حقيقى، بل هو من ذلك العالم كالظل من الأجسام، و ليس لظل الإنسان حقيقة الإنسان، و ليس للشخص حقيقة الوجود، بل هو ظل الحقيقة، و الكل من صنع اللّه تعالى. قال اللّه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۵ تعالى: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً، وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ [الرعد: ۱۵]. و سجود عالم الأمر طوع للّه، و سجود الظلال كره، و تحته سرّ بل أسرار، تحرك أوائلها سلسلة المجانين الحمقى، فضلا عن أواخرها؛ فلنتجاوزها، فقد أفهمناك ما أرادوه بالفناء. فدع عنك الغيبة و التكذيب بما لم تحط بعلمه كما قال تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ [يونس: ۳۹]، و قال تعالى: وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ [الأحقاف: ۱۱]. فإذا فهم الفناء فى المذكور فاعلم أنه أول الطريق، و هو الذهاب إلى اللّه عز و جل، و إنما الهدى بعده؛ أعنى بالهدى هدى اللّه، كما قال الخليل- صلوات اللّه عليه- إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى سَيَهْدِينِ [الصافات: ۹۹]. فأول الأمر ذهاب إلى اللّه، ثم ذهاب فى اللّه، و ذلك هو الفناء و الاستغراق به. و لكن هذا الاستغراق أولا يكون كبرق خاطف قلّ ما يثبت و يدوم. فإن دام ذلك صارت عادة راسخة و هيئة ثابتة، عرج به إلى العالم الأعلى و طالع الوجود الحقيقى الأصفى، و انطبع له نقش الملكوت، و تجلى له قدس اللاهوت، و أول ما يتمثل له من ذلك العالم: جواهر الملائكة و أرواح الأنبياء و الأولياء فى صورة جميلة، يفيض إليه بواسطتها بعض الحقائق- و ذلك فى البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال، فيكافح بصريح الحق فى كل شىء، فإذا رد إلى هذا العالم المجازى الذى هو كالظلال، نظر إلى الخلق نظر مترحّم عليهم، لحرمانهم من مطالعة جمال حظيرة القدس، و تعجب منهم فى قناعتهم بالظلال، و انخداعهم بعالم الغرور و عالم الخيال، فيكون معهم حاضرا بشخصه، غائبا بقلبه، متعجبا هو من حضورهم، و يتعجبون هم من غيبته. فهذه ثمرة لباب الذكر، و إنما مبدؤها ذكر اللسان، ثم ذكر القلب تكلّفا، ثم ذكر القلب طبعا، ثم استيلاء المذكور و انمحاء الذكر، و هذا سرّ قوله صلى اللّه عليه و سلم: «من أحبّ أن يرتفع فى رياض الجنة فليكثر ذكر اللّه عز و جل»، بل سرّ قوله: «يفضل الذّكر الخفى على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا». و اعلم أن كل ذكر يشعر به قلبك، تسمعه

الحفظة، فإن شعورهم يقارن شعورك، و فيه سر، حتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك فى المذكور بالكلية، فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة. و ما دام القلب يشعر بالذكر، و يلتفت إليه، فهو معرض عن اللّه عز و جل، و غير منفكّ عن شرك خفىّ حتى يصير مستغرقا بالواحد الحقّ؛ فذلك هو الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۶ التوحيد. و كذلك القول فى المعرفة، فمن طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثانى، و من وجدها، كمثل أن لا يجدها بل يجد المعروف بها، فهو الذى استمكن من حقيقة الوصال، و حل بحبوحة حظيرة القدس، فإن قلت: فلم اختصت هذه المكاشفات بحال الفناء؟ فاعلم أن هذه قصة يطول فيها نظر الناظر، و ذلك إذا تأملت لم تقصّر عن أن تدرك كون الحواس و عوارض النفس و شهواتها، جاذبة إلى هذا العالم المحسوس، و هو عالم الزور و الغرور، و لذلك يكشف صريح الحق بالموت، لبطلان سلطان الحواس و الخيالات المولية بوجه القلب إلى عالم السفل؛ فإن قصّر عنك سلطان الحواس بالنوم، طولعت بشىء من الغيب على قدر استعدادك و قبولك و همّتك، و لكن بمثال يحتاج إلى التعبير. و ما عندى أنك لم تصادف من نفسك رؤيا صادقة اطّلعت بها على أمر مستقبل، لكن الخيال لا يفتر فى النوم و إن ركدت الحواس؛ فلذلك يضعف الاطلاع و لا يخلو من شوب المثال. و أما الفناء، فعبارة عن حالة تركد فيها الحواس و لا تشتغل، و يسكن فيها الخيال و لا يشوّش؛ فإن بقيت فى الخيال بقية مغلوبة، لم يؤثر إلا فى محاكاة ما يتجلى من عالم القدس، حتى يتمثل الأنبياء و الملائكة و الأرواح المقدسة فى قوالب الخيال. فهذه أمور نبهت عليها لتكون متشوقا إلى أن تصير من أهل الذوق لها، فإن لم تكن، فمن أهل العلم بها، فإن لم تكن، فمن أهل الإيمان بها، و يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ [المجادلة: ۱۱]. و إياك أن تكون من المنكرين لها، فتلقى العذاب الشديد، إذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذى كنت منه تحيد، و قيل لك: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [ق: ۲۲]. و اعلم أن الإيمان و العلم و الذوق ثلاث درجات متباعدة، فإن العنّين «۱» مثلا يتصور أن يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره، بأن يقبل ذلك ممن يحسن ظنه به و لا يتهمه بالكذب، و ذلك إيمان، و يتصور أن يعلم بالبرهان وجوده لغيره، و هو علم؛ و مأخذه قياس أن ينظر إلى شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة الوقاع، و كل ذلك بعيد عن الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۷ إدراك حقيقة الشهوة بوجودها له. و كذلك المرض يعرفه العامى الصحيح و يؤمن به، و يعرفه الطبيب الصحيح بالبرهان و هو علم، و من لم يصر مريضا لم يحصل له الذوق. فكذلك القول فى الفناء فى التوحيد؛ فالذوق مشاهدة، و العلم قياس، و الإيمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة. فاجتهد ان تصير من أهل المشاهدة، فليس الخبر كالمعاينة. فإن قلت: لقد عظّمت أمر الذكر فهل هو أفضل أم قراءة القرآن؟ فاعلم أن قراءة القرآن أفضل للخلق كلّهم إلا للذاهب إلى اللّه عز و جل؛ و هو أفضل للذاهب إلى اللّه فى جميع أحوال بدايته، و فى بعض أحواله فى نهايته؛ فإن القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف و الأحوال و الإرشاد إلى الطريق، فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق و تحصيل المعارف، فالقرآن أولى به، فإن جاوز ذلك و استولى الذكر على قلبه بحيث يرتجى له أن يفضى به ذلك إلى الاستغراق، فمداومة الذكر أولى به، فإن القرآن يجاذب خاطره، و يسرح به فى رياض الجنة، و المريد الذاهب إلى اللّه تعالى، لا ينبغى أن يلتفت إلى الجنة و رياضها، بل ينبغى أن يجعل همه همّا واحدا، و ذكره ذكرا واحدا، حتى يدرك درجة الفناء و الاستغراق، فلذلك قال اللّه عز و جل: وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [العنكبوت: ۴۵]، و كذلك من ينتهى إلى درجة الاستغراق و لا يدوم و لا يثبت عليه، فإذا ردّ الى نفسه فقد تنفعه تلاوة القرآن؛ و هذه حالة نادرة عزيزة، كالكبريت الأحمر، يتحدث به و لا يوجد. فتكون تلاوة القرآن أفضل مطلقا؛ لأنه أفضل فى كل حال، إلا فى حال من شغله المتكلم عن الكلام، إذ لباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن، و معرفة جماله و الاستغراق به، و القرآن سائق إليه و هاد نحوه، و من أشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق. فإن قلت: فأىّ الأذكار أفضل؟ فاعلم أن الأفضل- كما ذكرناه- استيلاء المذكور على القلب؛ و هو شىء واحد لا كثرة فيه، حتى يختار أفضله، و ذلك عين الجمع و التوحيد، و إنما التفرقة و الكثرة قبل ذلك، فذلك ما دمت فى مقام الذكر باللسان و القلب، و عند هذا قد ينقسم الذكر إلى الأفضل و غير الأفضل، و فضله بحسب الصفات التى يعبّر عنها بالأذكار. و الصفات و الأسماء الواردة فى حق اللّه سبحانه، تنقسم إلى ما هو حقيقة فى حق الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۸ العباد، و مؤولة فى

حقه سبحانه، كالصبور و الشكور و الرحيم و المنتقم. و إلى ما هو حقيقة فى حقه سبحانه، و إذا استعمل فى حق غيره كان مجازا. فمن أفضل الأذكار: «لا إله إلّا اللّه الحىّ القيّوم» فإن فيه اسم اللّه الأعظم، إذ قال صلى اللّه عليه و سلم: «اسم اللّه الأعظم فى آية الكرسى و أول آل عمران» و لا يشتركان إلا فى هذا، و له سرّ يدقّ «۱» عن فهمك ذكره. و القدر الذى يمكن الرمز إليه أن قولك: «لا إله إلا اللّه» يشعر بالتوحيد، و معنى الوحدانية فى الذات و الرّبّيّة حقيقى فى حق اللّه عز و جل، غير مؤوّل بل هو فى حق غيره مجاز و مؤوّل. و كذلك الحى فإن معنى الحى هو الذى يشعر بذاته و يعلم ذاته، و الميت هو الذى لا خبر له من ذاته، و هذا أيضا حقيقى للّه تعالى، غير مؤوّل، و القيوم: يشعر بكونه قائما بذاته، و أن كل شىء قوامه به؛ و هذا أيضا حقيقى للّه عز و جل غير مؤوّل، و لا يوجد لغيره. و ما عداها من الأسماء الدالة على الأفعال كالرحيم و المقسط و العدل و غيره، فهو دون ما يدل على الصفات؛ لأن مصادر الأفعال هى الصفات، و الصفات أصل، و الأفعال تبع. و ما عداها من الصفات التى تدل على القدرة و العلم و الإرادة و الكلام و السمع و البصر، فذلك مما يظن أن الثابت منها للّه عز و جل مفهوم من ظواهرها. و هيهات، فإن المفهوم من ظواهرها أمور تناسب صفات الإنسان و كلامه و قدرته و علمه و سمعه و بصره، بل لها حقائق يستحيل ثبوتها للإنسان، فيستخرج من هذه الأسامى بنوع من التأويل. فهذا ينبهك على ما يحتمله فهمك من اختصاص هذه الكلمات بكونها أعظم، و يقرب منه قولك: «سبحان اللّه و الحمد للّه، و لا إله إلا اللّه و اللّه أكبر» لأن «سبحان اللّه» للتقديس، و هو حقيقى فى حقه؛ فإن القدس الحقيقى لا يتصور إلّا له تعالى. و قولك: «الحمد للّه» يشعر بإضافة النعم كلها إليه، و هو حقيقى، إذ هو المنفرد بالأفعال كلها تفردا حقيقيا بلا تأويل، و هو- تبارك و تعالى- المستوجب الحمد وحده، إذ لا شركة لأحد معه فى فعله أصلا، كما لا شركة للقلم مع الكاتب فى استحقاق المحمدة عند حسن الحظّ. و اعلم أن كل من سواه ممن ترى منه نعمة، فهو تعالى مسخر له كالقلم، فهذا مثال ينبهك على تفرده باستحقاق الحمد. و قولك: «لا إله إلا اللّه»، فقد عرفت أنه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۳۹ التوحيد الحقيقى. و قولك: «اللّه أكبر»، فليس المعنى به أنه أكبر من غيره، إذ ليس معه- سبحانه- غيره حتى يقال أكبر منه، بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته. و ليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعيّة، حتى يقال إنها أكبر منه؛ بل رتبة التبعية؛ بل معناه أنه- عز و جل- أكبر من أن ينال بالحواس، أو يدرك جلاله بالعقل و القياس، بل أكبر من أن يدرك كنه جلاله غيره، بل أكبر من أن يعرفه غيره، فإنه لا يعرف اللّه- تبارك و تعالى- إلا اللّه، فإن منتهى معرفة عباده، أن يعرفوا أنه يستحيل منهم معرفته الحقيقة. و لا يعرف ذلك أيضا بكماله إلا نبى أو صدّيق، أما النبىّ، فيعبر عنه و يقول: «لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، و أما الصّدّيق فيقول: «العجز عن درك الإدراك إدراك». فإن تشوّقت إلى زيادة تحقيق فى هذا المعنى و استنكرت قولى: «لا يعرف اللّه إلا اللّه» فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب المقصد الأقصى فى معانى أسماء اللّه الحسنى، و يكفيك الآن هذا القدر من الرموز إلى أسرار الذكر، و فضل الأذكار منها.

## الأصل السابع فى طلب الحلال

### فصل اعلم أن طيب المطعم له خاصية عظيمة فى تصفية القلب

فصل اعلم أن طيب المطعم له خاصية عظيمة فى تصفية القلب و تنويره و تأكيد استعداده لقبول أنوار المعرفة، و فيه سر لا يحتمل هذا الكتاب ذكره؛ و لكن ينبغى أن تفهم أن درجات الورع أربع: الدرجة الأولى: هى التى يجبّ «۱» الفسق باقتحامها، و تزول العدالة بزوالها، و هى التى يحرمها فتوى الفقهاء. الثانية: ورع الصالحين؛ و هو الحذر عما يتطرق إليه احتمال التحريم، و إن أفتى المفتى بحله بناء على الظاهر، و هو الذى قال فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». الثالثة: ورع اليقين؛ قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «لا يبلغ العبد درجة المتّقين حتى يترك ما لا بأس به حذارا و مخافة مما به بأس». و قال عمر- رضى اللّه عنه-: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام». و من هذا الأصل كان بعضهم إذا استحق مائة درهم اقتصر على تسعة و

تسعين، و يترك الواحد حاجزا بينه و بين النار لخوف الزيادة، و كان بعضهم يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة، و يعطى ما يعطى بزيادة حبة؛ و لذلك أخذ عمر بن عبد العزيز- رحمة اللّه عليه- أنفه حذرا من ريح المسك لبيت المال كان يوزن بين يديه، و قال: «هل ينتفع إلا بريحه؟»، و من ذلك أن يتورع عن الزينة و أكل الشهوات، خيفة من أن تغلب النفس فتدعوه إلى الشهوات المحظورة. و من ذلك ترك النظر إلى تجمل أهل الدنيا، فإنه يحرك دواعى الرغبة فى الدنيا؛ و لذلك قال اللّه تعالى: وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا [طه: ۱۳۱]. و لذلك قال عيسى ابن مريم- عليه السلام-: «لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا، فإن بريق أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم». و لذلك قال السلف: «من رقّ ثوبه رق دينه». فالحلال الطلق الطيب كل حلال انفكّ عن مثل هذه المخافة و لم يوجد فيها. الرابعة: ورع الصدّيقين، و هو الحذر عن كل ما لا يراد بتناوله القوة على طاعة اللّه تعالى إذا كان قد يتطرق إلى بعض أسبابها معصية. فمن ذلك ما حكى أن ذا النون الاربعين فى اصول الدين، ص: ۴۱ المصرى كان محبوسا جائعا، فبعثت إليه امرأة صالحة من طيّب مالها طعاما على يد السجان، فلم يأكل منه و اعتذر أنه جاءنى على طبق ظالم أى يد السجّان. و من ذلك أن بشر الحافى كان لا يشرب الماء من الأنهار التى حفرها السلاطين. و أطفأ بعضهم سراجا أشعله غلامه من بيت ظالم. و شرب بعضهم دواء فأشارت إليه امرأته بالمشى و التردد، فقال: هذه مشية لا أعرف لها وجها، و أنا أحاسب نفسى على جميع حركاتى. و هذه رتبة أقوام وفوا بقوله تعالى: قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ [الأنعام: ۹۱]، فعدّوا كل ما لم يكن للّه تعالى حراما. و ليس هذا من عشّك «۱» و عش ناصحك، فادرج و اجتهد أن تفىء بورع العدول الذى تفتى به الفقهاء. نعم ينبغى أن تضيف إليه شيئين: أحدهما أن تحذر عن مواقع غرورهم، و لا- تلتفت إلى قولهم: «من وهب فى آخر السنة ماله زوجته، و استوهب منها مالها، سقطت الزكاة عنهما». فإنهم إن عنوا به أن السلطان لا يطالبهم بالزكاة، لأن مطمح نظره ظاهر الملك فهو صدق؛ و درجة الفقهاء و فتواهم ذكر ما يتعلق بالظواهر فيحكمون بالبراءة عن الزكاة إذا سقط طلب الساعى، و يحكمون بصحة الصلاة إذا امتنع القتل على السلطان بجريان صورة الصلاة «۲»؛ إذ ليس بأيديهم من القوانين إلا القانون الذى يستعمله السلطان فى السياسة لينتظم أمر المعيشة الدنيوية التى هى منزل من منازل الطريق كما سبق. و أما أنت، إذا كنت تنظر فيما ينفعك غدا عند جبّار الجبابرة، و سلطان السلاطين، فلا تلتفت إلى هذا، و اعلم أن مقصود الزكاة إزالة رذيلة البخل فإنه مهلك كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، و هوى متّبع، و إعجاب المرء بنفسه». و هبة مال الزكاة لأجل درء الزّكاة، تجعل الشحّ مطاعا، فإنه يصير مطاعا بإجابته إلى ما يقتضيه. و قبل هذا لم يكن مطاعا، فكيف يكون ذلك منجيا؟ و كذلك من يسىء معاشرة زوجته حتى تنفكّ له من المهر، فلا يحل له المهر بينه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۴۲ و بين اللّه- عز و جل- و إن كان الفقيه يفتى بسقوط المهر و صحة الإبراء؛ لأن اللّه تعالى قال: «فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا»؛ و ليس هذا طيبة النفس بل طيبة القلب. و الفقيه لا يميز بين الأمرين، لأن شغفه بقطع الخصومات الظاهرة لا غير. و الحجامة و شرب الدواء البشيع لا تطيب به النفس بل يطيب به القلب، و كذلك كلّ ما يأباه الطبع و يريده العقل لمصلحة البدن فى العاقبة. و هذا باب طويل، و أصله أن لا تستحلّ مال غيرك إلا برضاء مطلق صاف. و ينبغى أن لا تأكل من السؤال، فإن سألت فاحذر أن تسأل على الملأ؛ فربما يعطى بالحياء، و ذلك ليس مقرونا بالرضاء، فإن المستحى يؤثر ألم إزالة الملك على ألم الحياء. و لا فرق بين أن تأخذ ماله بضرب ظاهره بالسوط، و بين أن تأخذه بضرب باطنه بسوط الحياء، فالكل مصادرة. و احذر أيضا أن يعطيك بالدّين، و ذلك بأن يعطيك لظنه أنك ورع تقىّ فتأكل بالدين؛ و يكون من شرط حلّه، أن لا يكون فى باطنك ما لو اطلع عليه المعطى لا- متنع من الإعطاء؛ فلا فرق بين من يأخذ بالتصوّف و التقوى، و ليس هو متصفا به باطنا، و بين من يزعم أنه علوى ليعطى و هو كاذب. و كل ذلك حرام عند ذوى البصائر و إن أفتى الفقيه بالحل بناء على الظاهر. الفن الثانى: أن تراجع قلبك، و إن أفتوك، فإن الإثم حزّاز القلوب، فالذى يضرك ما حاك فى قلبك، و لذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «استفت قلبك و إن أفتوك و أفتوك». و هذا السر طويل ذكره، و لكن اعلم على الجملة أن المحذور من الحرام إظلام القلب، و المطلوب من الحلال تنويره، و ذلك يتشعب من اعتقادك لا من نفس المعتقد. فمن وطئ امرأة على أنها أجنبية، فإذا هى منكوحته

حصل إظلام القلب، و لو وطئ أجنبية على ظن أنها زوجته لم يحصل. و كذلك فى النجاسات و الطهارات المؤثّرة فى تنوير القلب و همك و اعتقادك؛ فما أمرت بأن تصلى و ثوبك طاهر، بل أن تصلى و أنت تعتقد أنه طاهر. فاستشعار الطهارة مؤثّر فى إشراق القلب، و إن لم يكن على وفق الحال؛ و لذلك نقول: إن من صلى ثم تذكر أنه كان معه نجاسة، فليس عليه الإعادة على الأصح؛ لأنه صلى اللّه عليه و سلم‌خلع نعليه فى أثناء صلاته لما أخبره جبريل- عليه السلام- بأن عليهما قذرا، و استمر فيها. و لذلك يشدد الأمر على الموسوس، فإنه ما لم يطمئن قلبه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۴۳ باعتقاده الطهارة، فيجب عليه الاستقصاء و المعاودة، و أولئك قوم شددوا على أنفسهم فشدد اللّه عليهم، فهلكوا باستقصائهم كما قال عليه السلام: «هلك المتنطّعون» «۱». فكذلك فى الحلال، أنت متعبد بما يطمئن إليه قلبك، لا بما يفتى به المفتى، فاستفت قلبك.

## فصل إياك أن تشدد على نفسك فتقول: أموال الدنيا كلها حرام

فصل إياك أن تشدد على نفسك فتقول: أموال الدنيا كلها حرام ، و قد أخبثتها الأيدى العادية «۲»، و المعاملات الفاسدة، فأقنع بالحشيش مترهبا، أو أتناول من الجميع متوسعا، لا- أفصل فيه بين حلال و حرام. بل اعلم قطعا، أن الحلال بيّن «۳» و الحرام بيّن، و بينهما أمور متشابهات. كذلك كان فى عصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كذلك يكون أبد الدهر. فاستمد من السر الذى ذكرناه، فإنك غير متعبّد بما هو فى نفسه حلال، بل بما هو فى اعتقادك حلال، لا تعرف سببا ظاهرا فى تحريمه؛ فقد توضأ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من مزادة «۴» مشرك، و توضأ عمر- رضى اللّه عنه- من جرة نصرانية. و لو عطشوا لشربوا منه؛ و شرب الماء النجس حرام، و لكن استصحبوا يقين الطهارة، و لم يتركوها لتوهم النجاسة. و كذلك كل مال صادفته فى يد رجل مجهول عندك حاله، فلك أن تشترى منه و تأكل من ضيافته، تحسينا للظن بالمسلم؛ فإن الأصل أن ما فى يده فهو حلال، و ما تصادفه فى يد رجل عرفته بالصلاح فهو أولى بأن تعتقده حلالا. نعم يجب الحذر مما تصادفه فى يد سلطان ظالم، أو رجل عرفته بالرّبا أو بيع الخمر. فيجب الحذر منه حتى تسأل و تستقصى، و تعرف من أين حصل له. فإن ظهر لك جهة حصوله و أنه حلال، فلك أخذه، و إلا فلا. فالاعتماد على العلامة الظاهرة، و هى قرينة حاله. و هذا إذا كان أكثر أمواله كذلك، فإن كان أكثرها حلالا فلك أن تأكل منه؛ و إن تركته فذلك ورع؛ فقد الاربعين فى اصول الدين، ص: ۴۴ كتب بعض و كلاء ابن المبارك من البصرة إليه يسأله عن معاملة رجل يعامل السلطان، فقال: «إن كان لا يعامل غير السلطان فلا تعامله، و إن كان يعامل غيره أيضا فعامله». و بالجملة، الناس فى حقك ستة أقسام: أحدهم أن يكون مجهولا، فكل من ماله و الحذر ليس بواجب، بل هو محض الورع. الثانى: أن تعرفه بالصلاح فكل منه و لا تتورّع، فالورع فيه وسوسة؛ فإن أدى إلى الأذى و الإيحاش فهو معصية و حرام، لما فيه من الإيذاء، و لما فيه من سوء الظن بالرجل الصالح. الثالث: أن تعرفه بالظلم و الربا حتى علمت أن كل ماله أو أكثره حرام كالسلاطين الظلمة و غيرهم، فمالهم حرام. الرابع: أن تعرف أن أكثر أمواله حلال، و لكن لا- يخلو من حرام، كرجل له تجارة و ميراث، و هو مع هذا فى عمل السلطان، فلك الأخذ بالأغلب، لكن الترك من الورع المهم. الخامس: أن يكون مجهولا- عندك، لكن ترى عليه علامة الظلم، كالقباء و القلنسوة و هيئة الظلمة، فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر، فلا تأكل من ماله إلا بعد التفتيش. السادس: إن ترى عليه علامة الفسق لا علامة الظلم، كطول الشارب، و انقسام شعر الرأس قزعا «۱»، و رأيته يشتم غيره، أو ينظر إلى امرأة؛ فإن علمت له مالا موروثا أو تجارة لم يحرّم ماله بذلك، و إن كان أمره مجهولا عندك فهذا فيه خطر، لأن علامة الفسق أضعف دلالة من علامة الظلم؛ و لكن الأظهر عندى أنه لا يحرّم ماله لأن ظاهر اليد و الإسلام يدل على الملك دلالة أظهر من دلالة هذه العلامات على التحريم؛ و ليست هذه الدلالة أقوى من دلالة النصرانية و المجوسية على نجاسة الماء، و لم يلتفت إليهما رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و لا عمر- رضى اللّه عنه-. أما علامة الظلم، فتضاهى «۲» ما إذا رأينا ظبية تبول فى ماء، ثم وجدنا الماء متغيرا، فأمكن أن يكون من طول المكث، و أمكن أن يكون من البول، فإنه يجب اجتنابه إحالة على السبب الظاهر. ثم وراء ذلك كله، عليه أن يستفتى قلبه، فإذا وجد فى قلبه حزازة «۳» فليجتنبه، فالإثم حزازة القلوب

و حكاكات الصدور. و لكن هاهنا دقيقة «۴» الاربعين فى اصول الدين، ص: ۴۵ يغفل عنها أهل الورع، و هى أنه حيث يكون الترك من الورع أو من حزازة فى النفس، فلا يجوز الترك و السؤال بحيث يؤذى؛ فالمجهول إذا قدم إليك طعاما، فإن سألته من أين؟ استوحش و تأذّى؛ و الايذاء حرام، و سوء الظن حرام. و إن سألته عن غيره بحيث يدرى زاد الإيذاء. و إن سألت بحيث لا يدرى فقد تجسست و أسأت الظن، و بعض الظن إثم، و تساهلت بالغيبة و التهمة، و كل ذلك حرام. و ترك الورع ليس بحرام، فليس لك إلا التلطف بالترك، فإن لم يكن إلا بإيذاء، فعليك أن تأكل، فإن طيبة قلب المسلم و صيانته عن الإيذاء أهم من الورع. فإياك أن تكون من القرّاء المغرورين الذين لا يدركون دقائق الورع. و اعلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أكل من صدقة بريرة و لم يسأل عن المتصدق. و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم تحمل إليه الهدايا فيقبل و لا يسأل. نعم سأل فى أول قدومه إلى المدينة عما حمل إليه هل هو صدقة أو هدية؟ لأن ذلك ليس فيه إيذاء، و لأن قرينة الحال كانت تقتضى الإمكان فى الصدقة و الهدية على وتيرة واحدة. و كان صلى اللّه عليه و سلم يدعى إلى الضيافات فيجيب و لا يسأل و لم ينقل السؤال إلا نادرا فى محل الريبة. فإن قلت: فإن وقع طعام حرام فى سوق فهل يشترى من ذلك السوق؟ فأقول: إن تحققت أن الحرام هو الأكثر فلا تشتر إلا بعد التفتيش، و إن علمت أن الحرام كثير و ليس بالأكثر فلك الشراء. و التفتيش من الورع؛ و لقد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه- رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين- يشترون فى أسفارهم من الأسواق، مع علمهم بأن فيها أهل الربا و الغصب و أهل الغلول «۱» فى الغنيمة، و كانوا لا يتركون المعاملة معهم. و هذا الباب يستدعى شرحا طويلا، فإن رغبت فيه فطالع كتاب الحلال و الحرام من كتب الإحياء لتشهد عند مطالعته بأنه لم يصنف فى فنه مثله فى التحقيق و التحصيل و الإحاطة بجميع التفاصيل.

## الأصل الثامن فى القيام بحقوق المسلمين و حسن الصحبة معهم

### فصل من أصول الدين فى أمر الصحبة اتخاذ الإخوان فى اللّه عز و جل

فصل من أصول الدين فى أمر الصحبة اتخاذ الإخوان فى اللّه عز و جل ، قال اللّه تعالى الاربعين فى اصول الدين، ص: ۵۲ لبعض أنبيائه: «أما زهدك فى الدنيا فقد استعجلت الراحة، و أما انقطاعك إلىّ فقد تعززت بى، فهل واليت فىّ وليا، و هل عاديت فىّ عدوّا؟». و قال صلى اللّه عليه و سلم: يقول اللّه يوم القيامة: «أين المتحابون لجلالى، اليوم أظلهم فى ظلى و لا ظل إلا ظلى». و أوحى اللّه سبحانه إلى عيسى- عليه السلام-: «لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السّماوات و الأرض، و حب فى اللّه ليس «۱»، و بغض فى اللّه ليس، ما أغنى عنك ذلك شيئا». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إن حول العرش منابر من نور، عليها قوم لباسهم نور، و وجوههم نور، و ليسوا بأنبياء و لا شهداء، يغبطهم النبيون و الشهداء». فقالوا يا رسول اللّه حلّهم «۲» لنا من هم؟ فقال: «المتحابون فى اللّه، و المتجالسون فى اللّه، و المتزاورون فى اللّه عز و جل». و اعلم أن كل حب لا يتصور دون الإيمان باللّه و اليوم الآخر، فهو حب فى اللّه، و لكنه على درجتين: إحداهما: أن تحبه لتنال منه فى الدنيا نصيبا يوصلك إلى الآخرة، كحبك أستاذك و شيخك، بل تلميذك الذى ينمو علمك بتعليمه، بل خادمك الذى يفرغ قلبك عن كنس بيتك و غسل ثوبك، لتتفرغ بسببه لطاعة اللّه تعالى، بل المنفق عليك من ماله، إذا كان غرضك من ذلك إفراغ القلب لعبادة اللّه تبارك و تعالى. الثانية: و هى أعلى، أن تحبه لأنه محبوب عند اللّه عز و جل و يحب اللّه، و إن لم يتعلق غرض به لك فى الدنيا و الآخرة، من علم أو معونة على دين أو غيره؛ و هذا أكمل، لأن الحب إذا غلب تعدّى إلى كلّ من هو من المحبوب بسبب، حتى يحب الإنسان محب محبوبه، و محبوب محبوبه، بل يميز بين الكلب الذى هو فى سكة محبوبه، و بين سائر الكلاب. و إنما سراية «۳» الحب بقدر غلبة الحب، و من أحب لقاء اللّه لم يمكنه أن لا يحبّ عباده الصالحين المرضيّين عنهم. إلا أن ذلك قد يقوى حتى يحمل على أن يسلك بهم مسلك نفسه، بل يؤثرهم على نفسه، و قد يقصّر عن ذلك، و فضلهم عنده ينقسم بقدر درجته و قوته. و كذلك يبغض لا محالة من يعصيه، و يخالف أمره، و يظهر أثر ذلك فى مجانبته و مهاجرته

له، و تقطيبه الوجه عند مشاهدته، و لذلك قال صلى اللّه عليه و سلم: «لا تجعل لفاجر عليّ يدا فيحبه قلبى» حذرا من أن يقدح ذلك فى البغض فى اللّه. و بالجملة من لا يصادف من الاربعين فى اصول الدين، ص: ۵۳ نفسه الحب فى اللّه، و البغض فى اللّه بهذه الأسباب فهو ضعيف الإيمان، و هذا له تفصيل و تحقيق، فاطلبه من كتاب الصحبة و الأخوة فى اللّه تعالى.

## الأصل التاسع فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

### فصل كل من شاهد منكرا و لم ينكره و سكت عنه، فهو شريك فيه

فصل كل من شاهد منكرا و لم ينكره و سكت عنه، فهو شريك فيه ؛ فالمستمع شريك المغتاب. و يجرى هذا فى جميع المعاصى، حتى فى مجالسة من يلبس الديباج، و يتختم بالذهب، و يجلس على الحرير، و الجلوس فى دار أو فى حمّام على حيطانها صور أو فيها أوان من ذهب أو فضة، أو الجلوس فى مسجد يسيء الناس الصلاة فيه، فلا يتمون الركوع و السجود و الجلوس، أو فى مجلس وعظ يجرى فيه ذكر البدعة، أو فى مجلس مناظرة أو مجادلة يجرى فيها الإيذاء و الإيحاش بالسّفه و الشتم. و بالجملة، من خالط الناس كثرت معاصيه، و إن كان تقيّا فى نفسه، إلا أن يترك المداهنة و لا تأخذه فى اللّه لومة لائم، و يشتغل بالحسبة «۱» و المنع. و إنما يسقط عنه الوجوب بأمرين: أحدهما: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۵۴ أن يعلم أنه إن أنكر لم يلتفت إليه و لم يترك المنكر و نظر إليه بعين الاستهزاء، و هذا هو الغالب فى منكرات ترتكبها الفقهاء؛ و من يزعم أنه من أهل الدين فههنا يجوز السكوت، و لكن يستحب الزجر باللسان، إظهارا لشعار الدين، مهما لم يقدر على غير الزجر باللسان، و يجب ان يفارق ذلك الموضع، فليس يجوز مشاهدة المعصية بالاختيار؛ فمن جلس فى مجلس الشرب فهو فاسق و إن لم يشرب، و من جالس مغتابا أو لابس حرير أو آكل ربا أو حرام، فهو فاسق فليقم من موضعه. و الثانى: أن يعلم أنه يقدر على المنع من المنكر بأن يرى زجاجة فيها خمر فيرميها فتكسر، أو يسلب آلة الملاهى من يده و يضربها على الأرض. و لكن يعلم أنه يضرب أو يصاب بمكروه، فههنا يستحب الحسبة لقوله تعالى: وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ [لقمان: ۱۷] و لا يجب إلا أن يكون المكروه الذى يصيبه له درجات كثيرة يطول النظر فيها، ذكرناها فى كتاب الأمر بالمعروف من الإحياء. و على الجملة، فلا يسقط الوجوب إلا بمكروه فى بدنه بالضرب، أو فى ماله بالاستهلاك، أو فى جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح فى مروءته. فأما الخوف من استيحاش المنكر عليه، و خوف تعرضه له باللسان و عداوته له، أو توهم سعيه له فى المستقبل بما يسوؤه أو يحول بينه و بين زيادة خير يتوقعها، فكلّ ذلك موهومات و أمور ضعيفة لا يسقط الوجوب بها.

### فصل عمدة الحسبة شيئان

فصل عمدة الحسبة شيئان: أحدهما: الرفق و اللطف و البداية بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف، و الترفع و الإذلال بدالّة الصلاح، فإن ذلك يؤكد داعية المعصية، و يحمل العاصى على المناكرة و على الإيذاء. ثم إذا أذاه و لم يكن حسن الخلق غضب لنفسه، و ترك الإنكار للّه تعالى، و اشتغل بشفاء غليله منه، فيصير عاصيا، بل ينبغى أن يكون كارها للحسبة، يودّ لو ترك المعصية بقول غيره، فإنه إذا أحب أن يكون هو المتعرض، كان ذلك لما فى نفسه من دالة الاحتساب و عزته. و قال عليه السلام: «لا يأمر بالمعروف و لا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه». و وعظ المأمون- رحمة اللّه عليه- واعظ الاربعين فى اصول الدين، ص: ۵۵ بعنف فقال: «يا رجل ارفق فقد بعث اللّه تعالى من هو خير منك إلى من هو شرّ منى فأمره بالرفق. فقال اللّه تعالى: فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى [طه: ۴۴]». و روى أبو أمامة الباهلى- رضى اللّه عنه- أن غلاما شابّا أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال: أ تأذن لى بالزنا؟ فصاح الناس به؛ فقال النبى

عليه السلام: «أقرّوه أقرّوه أدن منى» فدنا منه، فقال عليه السلام: «أ تحبه لأمّك؟» فقال: لا- جعلنى اللّه فداك، قال عليه السلام: «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم»، ثم قال: «أ تحبه لابنتك؟»، قال: لا، قال: «كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم»؛ حتى ذكر له الأخت و العمة و الخالة و يقول عليه السلام: «كذلك الناس لا يحبونه»، ثم وضع يده على صدره و قال: «اللهم طهر قلبه، و اغفر ذنبه، و حصّن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض إليه من الزنا. و قال بعضهم للفضيل: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان، فقال: ما أخذ منهم إلا- دون حقه. ثم خلا- به و عاتبه بالرفق. فقال: «يا أبا على، إن لم نكن من الصالحين فإنا نحب الصالحين». العمدة الثانية: أن يكون المحتسب قد بدأ بنفسه فهذبها، و ترك ما ينهى عنه أولا- قال الحسن البصرى: «إذا كنت تأمر بالمعروف فكن من آخذى الناس به و إلا هلكت» فهذا هو الأولى حتى ينفع كلامه و إلا استهزئ به. و ليس هذا شرطا، بل يجوز الاحتساب للعاصى أيضا؛ قال أنس: قلنا يا رسول اللّه، ألا- نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله؟ و لا- ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله؟ قال عليه السلام: «بلى مروا بالمعروف و إن لم تعملوا به كله، و انهوا عن المنكر و إن لم تجتنبوه كله». و قال الحسن البصرى: يريد أن لا- يظفر الشيطان منكم بهذه الخصلة، و هو أن لا- تأمروا بالمعروف حتى تأتوا به كله، يعنى أن هذا يؤدى إلى حسم باب الحسبة. فمن ذا الذى يعصم عن المعاصى؟

## الأصل العاشر فى اتّباع السنة

### فصل السبب المرغّب فى الاتباع فى هذه الأفعال

[فصل السبب المرغّب فى الاتباع فى هذه الأفعال] لعلك تشتهى الآن الوقوف على السبب المرغّب فى الاتباع فى هذه الأفعال، و تستبعد أن يكون تحت ذلك أمر مهم يقتضى هذا التشديد العظيم فى المخالفة. فاعلم أن ذكر السر فى آحاد تلك السّنن طويل لا يحتمل هذا الكتاب شرحه. لكن ينبغى أن تفهم أن ذلك ينحصر فى ثلاثة أنواع من الأسرار: السرّ الأول: أنّا قد نبّهناك فى مواضع على العلاقة التى بين الملك و الملكوت، و بين الجوارح و القلب، و كيفية تأثر القلب بعمل الجوارح، فإن القلب كالمرآة، و لا تتجلى فيه حقائق الأشياء إلا بتصقيله و تنويره و تعديله. أما تصقيله، فبإزالة خبث الشهوات و كدورة الأخلاق الذميمة. و أما تنويره فبأنوار الذكر و المعرفة، و يعين على ذلك العبادة الخالصة إذا أدّيت على كمال الخدمة بمقتضى السّنّة. و أما تعديله، فبأن يجرى فى جميع حركات الجوارح على قانون العدل، إذ اليد لا تصل إلى القلب حتى تقصد بتعديله و تحدث فيه هيئة معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها، و إنما التصرف فى القلب بواسطة تعديل الجوارح و تعديل حركاتها، و لهذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة. و لهذا تعظم حسرة من مات قبل التعديل، لانسداد طريق التعديل بالموت، إذ تنقطع علاقة القلب عن الجوارح؛ فمهما كانت حركات الجوارح، بل حركات الخواطر أيضا موزونة بميزان العدل، حدث فى القلب هيئة عادلة مستوية، تستعد لقبول الحقائق على الاربعين فى اصول الدين، ص: ۵۷ نعت الصحة و الاستقامة، كما تستعد المرآة المعتدلة لمحاكاة الصور الصحيحة من غير اعوجاج. و معنى العدل: وضع الأشياء مواضعها، و مثاله أن الجهات مثلا أربعة، و قد خص منها جهة القبلة بالتشريف؛ فالعدل أن تستقبل فى أحوال الذكر و العبادة و الوضوء، و أن تنحرف عنها عند قضاء الحاجة، و كشف العورة، إظهارا لفضل من ظهر فضله. و لليمين زيادة على اليسار- غالبا لفضل القوة- فالعدل أن تفضلها على اليسار، و تستعملها فى بعض الأعمال الشريفة، كأخذ المصاحف و الطعام، و تترك اليسار للاستنجاء و تناول القاذورات؛ و تقليم الظفر مثلا، تطهيرا لليد، فهو إكرام. فينبغى أن تبتدىء بالأكرم و الأفضل؛ و ربما لا يستقل عقلك بالتفطّن للترتيب فى ذلك و كيفية البداية، فاتبع فيه السّنّة و ابتدئ بالمسبّحة من اليمنى؛ لأن اليد أفضل من الرّجل، و اليمنى أفضل من اليسرى. و المسبّحة- التى بها الإشارة فى كلمة التوحيد- أفضل من سائر الأصابع. ثم بعد ذلك تدور من يمين المسبّحة. و للكفّ ظهر و وجه، فوجهه ما تقابله، فإذا جعلت الكفّ وجه اليد، كان يمين المسبّحة من جانب الوسطى، فقدّر اليدين متقابلتين بوجهيهما، و قدّر الأصابع

كأنها أشخاص، فتدور بالمقراض من المسبّحة إلى أن تختم بإبهام اليمنى. كذلك فعل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و الحكمة فى ذلك ما ذكرناه، فإذا أنت تعوّدت رعاية العدل فى دقائق الحركات، صارت العدالة و الصحة هيئة راسخة فى قلبك، و استوت صورها، و بذلك تستعد لقبول صورة السعادة؛ و لذلك قال اللّه تعالى: فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر: ۲۹، ص: ۷۲]. فروح اللّه عزّ و جلّ مفتاح أبواب السعادة، و لم يكن نفخها إلا بعد التسوية. و معنى التسوية يرجع إلى التعديل؛ و فى ذلك سر طويل يطول شرحه، و إنما نريد الرمز إلى أصله؛ فإن كنت لا تقوى على فهم حقيقته، فالتجربة تنفعك. فانظر إلى من تعوّد الصدق كيف تصدق رؤياه غالبا؛ لأن الصدق حصل فى قلبه هيئة صادقة، يتلقى لوائح الغيب فى النوم على الصحة. و انظر كيف تكذب رؤيا الكذاب، بل رؤيا الشاعر، لتعوّده التخيلات الكاذبة، فاعوجّ لذلك صورة قلبه. فإن كنت تريد أن تلمح جنات القدس، فاترك ظاهر الإثم و باطنه، و اترك الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و اترك الكذب حتى فى حديث النفس أيضا. السرّ الثانى: أن تعلم أن الأشياء المؤثّرة فى بدنك بعضها إنما يعقل تأثيرها بنوع من الاربعين فى اصول الدين، ص: ۵۸ المناسبة إلى الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة، كقولك: إن العسل يضرّ المحرورين و ينفع البارد مزاجه. و منها ما لا يدرك بالقياس، و يعبّر عنه بالخواص، و تلك الخواص لم يوقف عليها بالقياس، بل مبدأ الوقوف عليها وحى أو إلهام؛ فالمغناطيس يجذب الحديد، و السقمونيا «۱» تجذب خلط الصفراء من أعماق العروق، لا- على القياس، بل بخاصية وقف عليها إما بالإلهام أو بالتجربة. و أكثر الخواص عرفت بالإلهام، و أكثر التأثيرات فى الأدوية و غيرها من قبل الخواص. فلذلك، فاعلم أن تأثيرات الأعمال فى القلب، تنقسم إلى ما هو يفهم وجه مناسبته، كعلمك بأن اتباع الشهوة الدنيوية يؤكد علاقته مع هذا العالم، فيخرج من العالم منكوس الرأس موليا وجهه إلى هذا العالم إذ فيه محبوبه؛ و كعلمك أن المداومة على ذكر اللّه تعالى تؤكد الأنس باللّه تعالى، و توجب الحب حتى تعظم اللذة به عند فراق الدنيا، و القدوم على اللّه سبحانه. إذ اللذة على قدر الحب، و الحب على قدر المعرفة و الذّكر. و من الأعمال ما يؤثر فى الاستعداد لسعادة الآخرة أو لشقاوتها بخاصية ليست على القياس، لا يوقف عليها إلا بنور النبوة؛ فإذا رأيت النبيّ صلى اللّه عليه و سلم قد عدل عن أحد المباحين إلى الآخر، و آثره عليه مع قدرته عليهما، فاعلم أنه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه، و كوشف به من عالم الملكوت، كما قال صلى اللّه عليه و سلم: «يا أيها الناس إن اللّه أمرنى أن أعلمكم مما علمنى، و أؤدبكم مما أدبنى، فلا يكثرنّ أحدكم الكلام عند المجامعة، فإنه يكون منه خرس الولد، و لا ينظرن أحدكم إلى فرج امرأته إذا هو جامعها، فإنه يكون منه العمى، و لا يقبّلنّ أحدكم امرأته إذا هو جامعها فإنه يكون منه صمم الولد، و لا يديمنّ أحدكم النظر فى الماء فإنه يكون منه ذهاب العقل». و هذا مثال مما ذكرناه و أردنا تنبيهك على اطلاعه على خواص الأشياء، بالإضافة إلى أمور الدنيا لتقيس به اطلاعه صلى اللّه عليه و سلم على ما يؤثر بالخاصية فى السعادة و الشقاوة فلا ترضى، فترضى لنفسك أن تصدق محمد بن زكريا الرازى المتطبب فيما يذكره من خواص الأشياء فى الحجامة و الأحجار و الأدوية، و لا تصدق سيد البشر محمد بن عبد اللّه الهاشمى المكّى المدنىّ- صلوات اللّه عليه و سلامه- فيما يخبر به عنها؛ و أنت تعلم أنه صلى اللّه عليه و سلم مكاشف من العالم الأعلى بجميع الاربعين فى اصول الدين، ص: ۵۹ الأسرار. و هذا ينبهك على الاتباع فيما لا يفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه فى السرّ الأول. السر الثالث: أن سعادة الإنسان أن يتشبه بالملائكة فى النزوع عن الشهوات و كسر النفس الأمّارة بالسوء، و يبعد عن مشابهة البهيمة المهملة سدى، التى تسترسل فى اتباع الهوى بحسب ما يقتضيه طبعها من غير حاجز. و مهما تعوّد الإنسان فى جميع الأمور أن يفعل ما يشاء من غير حاجز، ألف اتباع مراده و هواه، و غلب على قلبه صفة البهيمة، فمصلحته أن يكون فى جميع حركاته ملجما يصدّه عن طريق إلى طريق؛ كيلا تنسى نفسه العبودية، و لزوم الصراط المستقيم، فيكون أثر العبودية ظاهرا عليه فى كل حركة. إذ لا يفعل شيئا بحسب طبعه بل بحسب الأمر، فلا ينفك فى جميع أحواله عن مصادمات الزمان بإيثار بعض الأمور على بعض. و من ألقى زمامه إلى يد كلب مثلا حتى لم يكن تصرفه و تردده بحكم طبعه بل بحكم غيره، فنفسه أقوم إلى قبول الرياضة الحقيقية، و أقرب و أقوى ممن جعل زمامه فى يد هواه، يسترسل بها استرسال البهيمة. و تحت هذا سرّ عظيم فى تزكية النفس، و هذه فائدة تحصل بوضع الشارع صلى اللّه عليه و سلم كيفما وضعه. و الفائدة الحكمية و

الخاصية لا تتغير بالوضع، و هذا يتغير بالوضع، فإن المقصود أن لا يكون مخلّى مع اختياره، و ذلك المقصود يحصل بالمنع عن أحد الجانبين أىّ جانب كان، و فى مثل هذا يتصور أن تختلف الشرائع لأنه ثمرة الوضع. فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع فى جميع الحركات و السكنات.

## فصل التحريض كله الذى ذكر إنما هو فى العادات

[فصل التحريض كله الذى ذكر إنما هو فى العادات] هذا التحريض كله الذى ذكرته إنما هو فى العادات. و أما فى العبادات، فلا أعرف لترك السنة من غير عذر وجها إلا كفر خفىّ أو حمق جلىّ، بيانه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم إذ قال: «تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ «۱» بسبع و عشرين درجة». فكيف تسمح نفس المؤمنين بتركها من غير عذر؟ نعم، يكون السبب فى ذلك إما حمق أو غفلة بأن لا يتفكر فى هذا التفاوت العظيم. و من يستحمق غيره- إذا آثر واحدا على اثنين- كيف لا الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۰ يستحمق نفسه إذا آثر واحدا على سبع و عشرين! لا سيما فيما هو عماد الدين و مفتاح السعادة الأبدية. و أما الكفر، فهو أن يخطر بباله أن هذا ليس كذلك، و إنما ذكره للترغيب فى الجماعة، و إلا فأىّ مناسبة بين الجماعة و بين هذا العدد المخصوص من بين سائر الأعداد؟ و هذا كفر خفىّ قد ينطوى عليه الصدر، و صاحبه لا يشعر به، فما أعظم حماقة من يصدق المنجم و الطبيب فى أمور أبعد من ذلك، و لا- يصدق النبى المكاشف بأسرار الملكوت! فإن المنجّم لو قال لك: إذا انقضى سبعة و عشرون يوما من أول تحويل طالعك، أصابتك نكبة فاحترز فى ذلك اليوم، و اجلس فى بيتك! فلا تزال فى تلك المدة تستشعر و تترك جميع أشغالك؛ و لو سألت المنجم عن سببه لقال لك: إنما قلت ذلك لأن بين درجة الطالع و موضع زحل سبعا و عشرين درجة، فتتأخر النكبة فى كل درجة يوما أو شهرا، فإذا قيل لك هذا هوس، إذ لا مناسبة له فلا تصدقن به، فلا يخلو قلبك عن الاستشعار. و تقول فى أفعال اللّه تعالى عجائب لا تعرف مناسبتها، و لعلها خواصّ لا تدرك؛ و قد عرف بالتجربة أن ذلك مما يؤثر، و إن لم تعرف مناسبته. ثم إذا آل الأمر إلى خبر النبوة عن الغيب، أنكرت مثل هذه الخواص و طلبت المناسبة الصريحة؛ فهل لهذا سبب إلا شرك خفىّ، لا بل كفر جلىّ؟ إذ لا- محمل له سواه. و سبب هذا التكاسل كله، أنك لا يهمك أمر آخرتك، فإن أمر دنياك لما كان يهمك، فتحطاط فيه بقول المنجم و الطبيب، و بالاختلاج «۱» و الفأل و الأمور البعيدة عن المناسبة غاية البعد، و تنقاد إلى الاحتمالات البعيدة؛ لأن الشفيق بسوء الظن مولع، و لو تفكرت لعلمت أن هذا الاحتياط بالخطر الأبدى أليق. فإن قلت: ففى أى جنس من الأعمال ينبغى أن تتّبع السنّة؟ فأقول: فى كل ما وردت به السنّة؛ و الأخبار فى ذلك كثيرة، و ذلك لقوله صلى اللّه عليه و سلم: «من احتجم يوم السبت و الأربعاء فأصابه برص فلا يلومنّ إلا نفسه». و قد احتجم بعض المحدثين يوم السبت، و قال: هذا الحديث ضعيف، فبرص و عظم ذلك عليه، حتى رأى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى المنام فشكا إليه ذلك، فقال لم احتجمت يوم السبت؟ فقال: لأن الراوى كان الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۱ ضعيفا. قال: أ ليس كان قد نقل عنّى؟ فقال: تبت يا رسول اللّه. فدعا له رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالشفاء فأصبح و قد زال ما به. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «من احتجم يوم الثلاثاء لسبعة عشر كان دواء السّنة». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومنّ إلا نفسه». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إذا انقطع شسع نعل أحدكم فلا يمش فى نعل واحد حتى يصلح شسعه». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «و إذا ولدت امرأة فليكن أول ما تأكل الرطب، فإن لم يكن فتمر، فإنه لو كان شىء أفضل منه لأطعمه اللّه عزّ و جلّ مريم حين ولدت عيسى عليه السلام». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إذا أتى أحدكم بالحلواء فليصب منه، و إذا أتى أحدكم بالطيب فليمسّ منه». و أمثال ذلك فى العادات كثيرة، و لا يخلو شىء منها عن سرّ.

## خاتمة فى ترتيب الأوراد و تنعطف على الأمور العشرة

خاتمة فى ترتيب الأوراد و تنعطف على الأمور العشرة: اعلم أن هذه العبادات التى فصلناها، منها ما يمكن الجمع بينها، كالصوم و

الصلاة و القراءة، و منها ما لا يمكن الجمع بينها، كالقراءة و الذكر و القيام بحقوق الناس و الصلاة «۱»؛ فينبغى أن يكون من أهم أمورك توزيع أوقاتك على أصناف الخيرات من صباحك إلى مسائك؛ و من مسائك إلى صباحك. و تعلّم أن مقصود العبادات تأكيد الأنس بذكر اللّه عز و جل، للإنابة إلى دار الخلود، و التجافى عن دار الغرور. و لن يسعد فى دار الخلود إلا من قدم على اللّه سبحانه محبّا له. و لا يكون محبّا له إلا من كان عارفا به، مكثرا لذكره. و لا يحصل المعرفة و الحب، إلا بالفكر و الذكر الدائم. و لن يدوم الذكر فى القلب، إلا بالمذكّرات، و هى العبادات المستغرقة للأوقات على التعاقب. و لاختلاف أصنافها زيادة تأثير فى التذكير، و منع الملال، و سقوط أثره عن القلب بالدوام الذى ينتهى إلى حد الاعتياد. نعم، إن كنت والها باللّه عز و جل، مستغرقا به، لم تفتقر إلى ترتيب الأوراد، بل الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۲ وردك واحد، و هو ملازمة الذكر. و ما أراك تكون كذلك، فإن ذلك من أعز الأمور. فإن لم تكن والها مستهترا، فعليك أن ترتب أورادك، فأحد الأوراد هو من وقت انتباهك من النوم، إلى طلوع الشمس. و ينبغى أن تجمع فى هذا الوقت الشريف بعد الفراغ من الصلاة بين الذكر و الدعاء و القراءة و التفكير، فإن لكل واحد أثرا آخر فى تنوير القلوب، و تعرف كيفية ذلك و تفصيله من كتاب بداية الهداية و كتاب ترتيب الأوراد. و كذلك تفعل بين الطلوع و الزوال، و بين الزوال و الغروب و بين الغروب و العشاء، فإنها من أشرف الأوقات؛ لأن النشاط إنما يتوفر بأن تميّز ورد كلّ وقت، لتكون فى كل وقت عبادة أخرى تنتقل من بعضها إلى بعض. هذا إن كنت من العبّاد، فإن كنت معلّما أو متعلما أو واليا، فالاشتغال بذلك أولى فى بياض النهار، و أفضل من العبادات البدنية، لأن أصل الدين العلم الذى به يحصل التعظيم لأمر اللّه سبحانه، و النفع الذى يصدر عن الشفقة على خلق اللّه تعالى. و كذلك إن كنت معيلا محترفا، فالقيام بحق العيال بكسب الحلال أفضل من العبادات البدنية. و لكن فى جميع ذلك لا ينبغى أن تخلو و تنفكّ عن ذكر اللّه تعالى، بل تكون كالمستهتر بمعشوقه، المدفوع إلى شغل من الأشغال لضرورة وقته، فهو يعمل ببدنه، و هو غائب عن عمله، حاضر بقلبه مع معشوقه. حكى عن أبى الحسن الجرجانى أنه كان يعمل بالمسحاة «۱» دائما و كان يقول: «أعطينا اليد و اللّسان و القلب: فاليد للعمل، و اللسان للخلق، و القلب للحق». و لنقتصر على هذا القدر فى قسم الطاعات الظاهرة، ففيه الكفاية إن شاء اللّه. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۳

## القسم الثالث فى تزكية القلب عن الأخلاق المذمومة

### اشاره

القسم الثالث فى تزكية القلب عن الأخلاق المذمومة قال اللّه تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى [الأعلى: ۱۴]، و قال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها [الشمس: ۹]. و التزكية هى التطهير. و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «الطهور شطر الإيمان». فافهم منه أن كمال الإيمان، بتزكية القلب عما لا يحبه اللّه عز و جل، و تحليته بما يحبه اللّه؛ فالتزكية شطر الإيمان. و كيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة. فلنذكر الأخلاق المذمومة، و هى كثيرة، و لكن نحتاج أن نردّ شعبها إلى عشرة أصول:

## الأصل الأول شره الطعام

### اشاره

الأصل الأول شره الطعام: و هو من الأمهات؛ لأن المعدة ينبوع الشهوات، إذ منها تتشعب شهوة الفرج. ثم إذا غلبت شهوة المأكول و المنكوح، يتشعب منها شره المال، إذ لا يتوصل إلى قضاء الشهوتين إلا به. و يتشعب من شهوة المال شهوة الجاه، إذ يعسر كسب المال دونه. ثم عند حصول المال و الجاه و طلبهما، تزدحم الآفات كلها، كالكبر و الرياء و الحسد و الحقد و العداوة و غيرها. و منبع جميع ذلك البطن؛ فلهذا عظّم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أمر الجوع، فقال عليه السلام: «ما من عمل أحبّ إلى اللّه تعالى من الجوع و

العطش»، و قال: «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه»، و قال عليه السلام: «سيد الأعمال الجوع»، و قال عليه السلام: «الفكر نصف العبادة، و قلة الطعام هى العبادة»، و قال عليه السلام: «أفضلكم عند اللّه تعالى أطولكم جوعا و تفكرا، و أبغضكم إلى اللّه تعالى كلّ أكول شروب نؤوم «۱»»، و قال عليه السلام: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرّا من بطنه، حسب الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۴ ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، و إن كان لا محالة فثلاث لطعامه و ثلاث لشرابه و ثلاث لنفسه»، و قال عليه السلام: «إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجارى الشيطان بالجوع و العطش»، و قال عليه السلام لعائشة- رضى اللّه عنها-: «أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم»، قالت: كيف نديم؟ قال عليه السلام: «بالجوع و الظمأ». و قال عليه السلام: «كلوا و اشربوا فى أنصاف البطون، فإنه جزء من النبوة».

## فصل السر فى تعظيم الجوع و مناسبته لطريق الآخرة

[فصل السر فى تعظيم الجوع و مناسبته لطريق الآخرة] لعلك تشتهى أن تعلم السر فى تعظيم الجوع و مناسبته لطريق الآخرة. فاعلم أن له فوايد كثيرة، و لكن يرجع أصولها إلى سبع: إحداها: صفاء القلب و نفاذ البصيرة، فإن الشّبع يورث البلادة و يعمى القلب؛ قال صلى اللّه عليه و سلم: «من أجاع بطنه عظمت فكرته و فطن قلبه». و لا يخفى أن مفتاح السعادة المعرفة، و لا تنال إلا بصفاء القلب، فلذلك كان الجوع قرع باب الجنة. الثانية: رقة القلب؛ حتى يدرك به لذة المناجاة، و يتأثر بالذكر و العبادة؛ و قال الجنيد: «يجعل أحدكم بينه و بين قلبه مخلاة من الطعام، و يريد أن يجد حلاوة المناجاة». و لا يخفى عليك أن أحوال القلب من الخشية و الخوف و الرقة و المناجاة و الانكسار بالهيبة، من مفاتيح أبواب الجنة، و إن كان باب المعرفة فوقه، و الجوع قرع لهذا الباب. الثالثة: ذل النفس و زوال البطر و الطغيان منها؛ فلا تكسر النفس بشىء كالجوع. و الطغيان داع إلى الغفلة عن اللّه تعالى، و هو باب الجحيم و الشقاوة؛ و الجوع إغلاق لهذا الباب. و فى إغلاق باب الشقاوة فتح باب السعادة؛ و لذلك لمّا عرضت الدنيا عليه صلى اللّه عليه و سلم قال: «لا بل أجوع يوما و أشبع يوما، فإذا جعت صبرت و تضرعت، و إذا شبعت شكرت». الرابعة: أن البلاء «۱» من أبواب الجنة، لأن فيه مشاهدة طعم العذاب، و به يعظم الخوف من عذاب الآخرة، و لا يقدر الإنسان على أن يعذّب نفسه بشىء كالجوع، فإنه لا الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۵ يحتاج فيه إلى تكلف، و ترتبط بها فوائد أخرى، فيكون مشاهدا بلاء اللّه تعالى على الدوام. الخامسة: و هى من كبار الفوائد- كسر شهوات المعاصى، و الاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء، و كسر سائر الشهوات التى هى منابع المعاصى؛ قال علىّ- رضى اللّه عنه- «ما شبعت قط إلا عصيت أو هممت بالمعصية». و قالت عائشة- رضى اللّه عنها- «أول بدعة حدثت بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الشبع، إن القوم إذا شبعت بطونهم، جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا». السادسة: خفة البدن للتهجد و العبادة و زوال النوم المانع من العبادة؛ فإن رأس مال السعادة العمر، و النوم ينقص العمر إذ يمنع من العبادة و أصله كثرة الأكل. قال أبو سليمان الدارانىّ: «من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة العبادة، و تعذّر حفظ الحكمة، و حرمان الشفقة على الخلق؛ لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباعا، و ثقل العبادة، و زيادة الشهوات، و أن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد و هو يدور حول المزابل». السابعة: خفة المئونة، و إمكان القناعة بقليل من الدنيا، و إمكان إيثار الفقر، فإن من تخلص من شره بطنه لم يفتقر إلى مال كثير، فيسقط عنه هموم الدنيا؛ فمهما أراد أن يستقرض لقضاء شهوة البطن، استقرض من نفسه، و ترك شهوته. كان إذا قيل لإبراهيم بن أدهم- رحمة اللّه عليه- فى شىء إنه غال، قال: «أرخصوه بالترك».

## فصل كيفية ترك عادة الشبع و الإكثار

[فصل كيفية ترك عادة الشبع و الإكثار] لعلك تقول: قد صار الشبع و الإكثار فى الأكل عادة، فكيف أتركها؟ فاعلم أن ذلك يسهل على من أراده بالتدريج؛ و هو أن ينقص كل يوم من طعامه لقمة، حتى ينقص رغيفا فى مقدار شهر، فلا يظهر أثره، و يصير التقليل

عادته. ثم إذا أذعنت بالتقليل، فلك النظر فى الوقت و القدر و الجنس؛ أما القدر، فله ثلاث درجات: أعلاها- و هى درجة الصديقين- : الاقتصار على قدر القوام، و هو الذى يخاف النقصان منه على العقل أو الحياة، و هو اختيار سهل التسترىّ، و كان يرى أن الصلاة قاعدا لضعفه بالجوع، أفضل من الصلاة قائما مع قوة الأكل. الثانية: أن تقنع بنصف مدّ كل يوم و هو ثلث الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۶ البطن، و على ذلك كانت عادة عمر- رضى اللّه عنه- و جماعة من الصحابة، إذ كان قوتهم فى الأسبوع صاعا من شعير. الثالثة: المدّ الواحد و ما جاوز ذلك، فهو مشاركة مع أهل العادة، و ميل عن طريق السالكين المسافرين إلى اللّه تعالى. و قد يؤثّر فى المقادير اختلاف الأحوال و الأشخاص، و عند ذلك فالأصل فيه أن يمدّ اليد إذا صدق جوعه، و يكفّ و هو بعد صادق الاشتهاء. و علامة صدق الجوع أن تشتهى أىّ خبز كان من غير أدم «۱»، فإذا استثقل الأكل بغير أدم، فهو علامة الشبع. و أما الوقت، ففيه أيضا ثلاث درجات: أعلاها أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها، فقد كان الصدّيق- رضى اللّه عنه- يطوى «۲» ستة أيام، و إبراهيم بن أدهم و الثورى سبعا، و بعضهم انتهى إلى أربعين يوما. و قيل من طوى أربعين يوما ظهرت له لا محالة أشياء من عجائب الملكوت، و لا يمكن ذلك إلا- بالتدريج. و أما الأوسط بأن يطوى يومين، و الأدنى بأن يأكل فى اليوم مرة واحدة، فمن أكل مرتين لم تكن له حالة جوع أصلا، فيكون قد ترك فضيلة الجوع. و أما الجنس، فأعلاه خبز البرّ «۳» مع الإدام، و أدناه خبز الشعير بلا إدام. و المداومة على الإدام مكروه جدا؛ قال عمر- رضى اللّه عنه- لولده: كلّ مرة خبزا و لحما، و مرة خبزا و سمنا، و مرة خبزا و لبنا، و مرة خبزا و ملحا، و مرة خبزا قفارا «۴». فهذا تنبيه على الأحسن فى أهل العادة. و أما السالكون الطريق، فقد بالغوا فى ترك الإدام، بل فى ترك الشهوات جملة، حتى كان بعضهم يشتهى الشهوة عشر سنين و عشرين سنة، و هو يخالف نفسه و يمنعها شهواتها. و قد قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «شرار أمتى الذين غذّوا بالنعيم و نبتت عليه أجسامهم، و إنما همتهم ألوان الطعام و أنواع اللباس و يتشدقون فى الكلام». و قد شرحنا طريق السلف فى ترك الشهوات فى كتاب كسر الشهوتين. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۷

## الأصل الثانى شره الكلام

### اشاره

الأصل الثانى شره الكلام: و ذلك لا بد من قطعه، فإن الجوارح كلها تؤثر أعمالها فى القلب، و لكن اللسان أخص به، لأنه يؤدى عن القلب ما فيه من الصور، فتقتضى كل كلمة صورة فى القلب محاكية لها، فلذلك إذا كان كاذبا حصل فى القلب صورة كاذبة، و اعوجّ به وجه القلب، و إذا كان فى شىء من الفضول مستغنى عنه، اسودّ به وجه القلب و أظلم، حتى تنتهى كثرة الكلام إلى إماتة القلب؛ و لذلك عظم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أمر اللسان فقال: «من يتوكل لى بما بين لحييه «۱» و رجليه أتوكل له بالجنة». و سئل عن أكثر ما يدخل النار، فقال عليه السلام: «الأجوفان: الفم و الفرج». و قال عليه السلام: «و هل يكبّ الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟». و قال: «من صمت نجا». و قال له معاذ: أى الأعمال أفضل؟ فأخرج لسانه و وضع عليه يده، و قال: «إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه». و قال عليه السلام: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». و قال عليه السلام: «من كثر كلامه كثر سقطه، و من كثر سقطه كثرت ذنوبه، و من كثرت ذنوبه فالنار أولى به». و لهذا كان الصدّيق- رضى اللّه عنه- يضع حجرا فى فيه ليمنع نفسه من الكلام

### فصل أن للسان عشرين آفة

[فصل أن للسان عشرين آفة] اعلم أن للسان عشرين آفة شرحناها فى كتاب آفات اللسان. و يطول ذكرها، و يكفيك العمل بآية واحدة؛ قال اللّه تعالى: لا- خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ [النساء: ۱۱۴] الآية. و معناه أن لا- تتكلم فيما لا

يعنيك، و تقتصر على المهم، ففيه النجاة. قال أنس- رضى اللّه عنه: استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه و قالت: هنيئا لك الجنة يا بنيّ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «و ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، و يمنع ما لا يضره». و حدّ ما لا يعنى هو الذى لو ترك لم يفت به ثواب، و لم تنتجز به ضرورة. و من اقتصر من الكلام على هذا قلّ كلامه، فليحاسب العبد نفسه عند ذكره ما لا يعنيه؛ إنه لو ذكر اللّه تعالى بدلا عن تلك الكلمة، لكان ذلك كنزا من كنوز السعادة، فكيف يسمح الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۸ العقل بترك كنز مكنوز، و أخذ مدرة «۱»؟ هذا لو لم يكن فيه إثم، فإن كان إثم، فقد استبدل بترك كل كنز و أخذ شعلة من النار. و من جملة ما لا يعنى حكاية الأسفار و أحوال أطعمة البلاد و عاداتهم، و أحوال الناس، و أحوال الصناعات و التجارات؛ و هو من جملة ما ترى الناس يخوضون فيه.

## فصل تفصيل هذه الآفات

### اشاره

[فصل تفصيل هذه الآفات] لعلك تريد أن تعرف تفصيل بعض هذه الآفات؛ فاعلم أن الغالب على الألسنة من جملة العشرين آفة خمسة: الكذب، و الغيبة، و المماراة، و المدح، و المزاح.

## [الآفة] الأولى الكذب

### اشاره

[الآفة] الأولى الكذب: و قد قال صلى اللّه عليه و سلم: «لا يزال العبد يكذب و يتحرّى الكذب حتى يكتب عند اللّه كذابا». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «ويل للذى يحدّث فيكذب ليضحك منه الناس، ويل له ويل له». و قيل: يا رسول اللّه، أ يزنى المؤمن؟ أ يسرق المؤمن؟ قال عليه السلام: «قد يكون ذلك»، فقيل له أ يكذب؟ فقال: «لا، إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات اللّه». و قال عليه السلام: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك باللّه، و عقوق الوالدين»، و كان متكئا فقعد، و قال عليه السلام: «ألا و قول الزّور»، و قال عليه السلام: «كل خصلة يطبع اللّه عليها المؤمن إلا الخيانة و الكذب».

## فصل الكذب حرام فى كل شىء، إلا لضرورة

فصل الكذب حرام فى كل شىء، إلا لضرورة اعلم أن الكذب حرام فى كل شىء، إلا لضرورة، حتى قالت امرأة لولدها الصغير تعال حتى أعطيك، فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «و ماذا كنت تعطينه لو جاء؟» قالت: تمرة. قال: «أما لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة». فليحذر الإنسان الكذب حتى فى التخيّل و حديث النفس، فإن ذلك يثبت فى النفس صورة معوجّة حتى تكذب الرؤيا فلا تنكشف فى النوم أسرار الملكوت، و التجربة تشهد بذلك. نعم إنما يرخص فى الكذب إذا كان الصدق يفضى إلى محذور آخر أشد من الكذب، فيباح كما تباح الميتة إذا أدى تركها إلى محذور أشد من أكلها، و هو فوات الرّوح. قالت أم كلثوم- رضى اللّه عنها: «ما الاربعين فى اصول الدين، ص: ۶۹ رخّص رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى شىء من الكذب إلا فى ثلاث: الرجل يقول القول يريد الإصلاح، و الرجل يقول القول فى الحرب، و الرجل يحدث امرأته». و هذا لأن أسرار الحرب لو وقف عليها العدوّ اجترأ، و أسرار الزوج لو وقفت عليها المرأة نشأ منها فساد أعظم من فساد الكذب، و كذلك المتخاصمان تدوم بينهما المعصية و العداوة، فإذا أمكن

الإصلاح بكذب، فذلك أولى. فهذا ما ورد فيه الخبر. و ما فى معناه: كذب الإنسان ليستر مال غيره عن ظالم، أو إنكاره لسر غيره، بل إنكاره لمعصية نفسه عن غيره، فإن المجاهرة بالفسق و إظهاره حرام، و إنكاره جناية نفسه على غيره لتطيّب قلبه، و كذلك إنكاره مع زوجته أن تكون ضرّتها أحبّ إليه، و كل ذلك يرجع إلى دفع المضرّات. و لا يباح لجلب زيادة مال و جاه، و فيه يكون كذب أكثر الناس. ثم إذا اضطر إلى الكذب فليعدل إلى المعاريض «۱» ما أمكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب. كان إبراهيم بن أدهم إذا طلب فى الدار قال لخادمته: قولى له اطلبه فى المسجد. و كان الشعبى يخطّ دائرة، و يقول لخادمته: «ضعى الإصبع فيها، و قولى: ليس هاهنا». و كان بعضهم يعتذر عن الأمير و يقول: منذ فارقتك ما رفعت جنبى من الأرض إلا ما شاء اللّه تعالى. و كان بعضهم ينكر ما قال فيقول: إن اللّه ليعلم ما قلت من ذلك من شىء، فيوهم النفى بحرف «ما» و هو يريد غير ذلك «۲». و تباح المعاريض لغرض خفيف، لقوله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تدخل الجنة عجوز، و نحملك على ولد البعير، و فى عينى زوجك بياض» لأن هذه الكلمات أوهمت خلاف ما أراد، فيباح مثل ذلك مع النساء و الصبيان لتطييب قلوبهم بالمزاح. و كذلك من يمتنع عن أكل الطعام فلا ينبغى أن يكذب و يقول: لا أشتهى إذا كان يشتهى، بل يعدل إلى المعاريض؛ قال النبى عليه السلام لامرأة قالت ذلك: «لا تجمعى كذبا و جوعا».

## الآفة الثانية الغيبة

### اشاره

الآفة الثانية الغيبة: قال اللّه تعالى: أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ [الحجرات: ۱۲]. و قال عليه السلام: «الغيبة أشد من الزنا»، و أوحى اللّه تعالى إلى موسى- عليه السلام-: «من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، و من مات الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۰ مصرّا عليها فهو أول من يدخل النار». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم، فقيل لى: هؤلاء الذين كانوا يغتابون الناس». و اعلم أن حدّ الغيبة- كما بيّنه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم- أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، و إن كنت صادقا، سواء ذكرت نقصانا فى نفسه، أو عقله، أو ثوبه، أو فعله، أو قوله، أو داره، أو نسبه، أو دابته، أو شيئا مما يتعلق به، حتى قولك إنه واسع الكم، أو طويل الذّيل؛ حتى ذكر عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رجل فقيل: ما أعجزه، فقال عليه السلام: «اغتبتموه». و أشارت عائشة- رضى اللّه عنها- بيدها إلى امرأة أنها قصيرة، فقال عليه السلام: «اغتبتها». فبهذا يعلم أن الغيبة لا تقتصر على اللسان، بل لا فرق بين أن يحصل التفهيم باليد أو بالرمز أو بالإشارة أو بالحركة أو بالمحاكاة أو التّعريض المفهم، كقولك: إن بعض أقربائنا و بعض أصدقائنا كذا كذا. و اعلم أن أخبث أنواع الغيبة غيبة القرّاء، يقولون مثلا: الحمد للّه الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا؛ أو: نعوذ باللّه من قلة الحياء؛ و هم يفهمون المقصود بذلك، يقولون: ما أحسن أحوال فلان لولا أنه بلى بمثل ما ابتلى به أمثالنا، و هو قلة الصبر عن الدنيا، فنسأل اللّه تعالى أن يعافينا؛ و غرضهم بذلك الغيبة، فيجمعون بين الغيبة و الرياء، و إظهار التشبه بأهل الصّلاح فى الحذر من الغيبة. و هذه خبائث يغترّون بها و هم يظنون أنهم تركوا الغيبة. و كذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون فيقول: سبحان اللّه ما أعجب هذا، حتى ينتبه القوم إلى الإصغاء، فيستعمل ذكر اللّه فى تحقيق خبثه، و يقول: قلبى مشغول بفلان تاب اللّه علينا و عليه، و ليس غرضه الدعاء بل التعريف؛ و لو قصد الدعاء لأخفاه، و لو اغتمّ قلبه لأجله لكتم عيبه و معصيته. و كذلك المستمع، قد يظهر تعجبا من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه فى الغيبة؛ و المستمع أحد المغتابين، كذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فكيف إذا حرّك نشاطه بالتعجب! و كذلك قد يقول: دع غيبة فلان؛ و هو بقلبه غير كاره لغيبته، إنما غرضه أن يعرف بالتورع؛ و ذلك لا يخرجه عن إثم الغيبة ما لم يكرهها بقلبه و يورطه فى إثم الرياء، بل يخرج من الإثم بأن يكرهه قلبه، و يكذب المغتاب و لا يصدّقه عليه، لأنه فاسق يستحق التكذيب. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۱ و

المسلم المذكور بالغيبة يستحق إحسان الظنّ به؛ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إن اللّه حرم من المسلم دمه و عرضه و ماله و أن يظنّ به ظنّ السوء». فالغيبة بالقلب حرام، كما أنه باللسان حرام إلا أن يضطرّ إلى معرفته بحيث لا يمكنه التجاهل.

## فصل يرخص فى الغيبة فى ستة مواضع

[فصل يرخص فى الغيبة فى ستة مواضع] إنما يرخص فى الغيبة فى ستة مواضع: الأول منها: المتظلم يذكر ظلم الظالم عند سلطان ليدفع ظلمه؛ فأما عند غير سلطان و عند غير من لا يقدر على الدفع فلا. اغتيب الحجاج عند بعض السلف، فقال: إن اللّه لينتقم للحجاج ممن اغتابه، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه. الثانى: الذى يستعان به على تغيير المنكر يجوز أن يذكر له أيضا. الثالث: المستفتى إذا افتقر إلى ذكر السؤال كما قالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى. و هذا كله شكاية، و لكن إنما يحل إذا كانت فيها فائدة. الرابع: تحذير المسلم من شر الغير إذا علم أنه لو لم يذكره لقبلت شهادته. كما يذكر المزكّى إذ يعامل و يناكح فيتضرر به فيذكر لمن يتوقع ضرره به فقط. الخامس: أن يكون معروفا باسم فيه عيب كالأعمش و الأعرج، فالعدول إلى اسم آخر أولى. السادس: أن يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه أن يذكر، كالمخنث و صاحب الماخور «۱». قال الحسن: ثلاثة لا غيبة لهم: صاحب الهواء، و الفاسق المعلن بالفسق، و الإمام الجائر. و هؤلاء يجمعهم أنهم مجاهرون لا يكرهون الذكر. و الصحيح أن ذكر الفاسق بمعصية يخفيها و يكره ذكرها لا يجوز من غير عذر.

## فصل علاج النفس فى كفّها عن الغيبة

فصل علاج النفس فى كفّها عن الغيبة أن يتفكر فى الوعيد الوارد فيها فى قوله صلى اللّه عليه و سلم: «إن الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۲ الغيبة أسرع فى حسنات العبد من النار فى اليبس». و ورد أن حسنات المغتاب تنقل إلى ديوان المظلوم بالغيبة، فينظر فى قلة حسناته و كثرة غيبته، و أنه ينتهى إلى إفلاسه على القرب، ثم يتفكر فى عيوب نفسه، فإن كان فيه عيب فيشتغل عن غيره، و إن كان قد ارتكب صغيرة فيعلم أن ضرره من صغيرة نفسه أكثر من ضرره من كبيرة غيره، و إن لم يكن فيه عيب، فيعلم أن جهله بعيوب نفسه أعظم عيب. و متى يخلو الإنسان من عيب؟ ثم إن خلا منه فليشكر اللّه تعالى بدلا من الغيبة، فإن ثلب الناس و أكل لحم الميتة، من أعظم العيوب، فليحذر منه. ثم مهما سبق لسانه إلى الغيبة، فينبغى أن يستغفر اللّه تعالى، و يذهب إلى المغتاب و يقول: ظلمتك فاعف عنى! فيستحله؛ فإن لم يصادفه فليكثر من الثناء عليه، و من الدعاء له، و من الحسنات، حتى إذا نقل بعضها إلى ديوان المظلوم، بقى له ما يكفيه؛ فهى كفّارة الغيبة.

## الآفة الثالثة المراء و المجادلة

الآفة الثالثة المراء و المجادلة: قال صلى اللّه عليه و سلم: «من ترك المراء و هو محقّ بنى له بيت فى أعلى الجنة، و من تركه و هو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة» و هذا لأن الترك على المحق أشد. و قال عليه السلام: «لا يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء و هو محق». و حدّ المراء هو الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما فى اللفظ، و إما فى المعنى. و الباعث عليه تارة الترفع بإظهار الفضل، و سببه خبث الرعونة، و إما السّبعية «۱» التى فى الطبع المتشوفة إلى تنقيص الغير و قهره. فالمراء و المجادلة تقوية لهذين الخبيثين المهلكين، بل الواجب أن يصدّق ما سمعه من الحق، و يسكت عما سمعه من الخطأ، إلا إذا كان فى ذكره فائدة دينية، و كان يسمع منه، فيذكره برفق لا بعنف.

### الآفة الرابعة المزاح

الآفة الرابعة المزاح: و الإفراط فيه يكثر الضحك، و يميت القلب، و يورث الضغينة، و يسقط المهابة و الوقار؛ قال صلى اللّه عليه و سلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوى بها أبعد من الثريا». و قال عليه السلام: «لا تمار أخاك و لا تمازحه». و اعلم أن اليسير منه فى بعض الأوقات لا بأس به، لا سيما مع النساء و الصبيان تطييبا لقلوبهم، نقل ذلك عن رسول الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۳ اللّه صلى اللّه عليه و سلم لكنه قال: «إنى لأمزح و لا أقول إلا حقّا»، و يعسر على غيره ضبط ذلك. و قد روى أنه سابق عائشة- رضى اللّه عنه- بالعدو. و قال عليه السلام لعجوز: «لا يدخل الجنة عجوز»، أى لا يبقى عجوز فى الجنة «۱». و قال لصبىّ: «يا أبا عمير ما فعل النّغير؟»، و النغير ولد العصفور كان يلعب به الصبى. و قال صلى اللّه عليه و سلم لصهيب و هو يأكل التمر: «أ تأكل التمر و أنت رمد؟»، و قال: إنما آكل بالشق الآخر، فتبسم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فهذا و أمثاله من المفاكهة لا بأس بها، بشرط أن لا يتخذها عادة.

### الآفة الخامسة المدح

الآفة الخامسة المدح: كما جرت به عادة الناس عند المحتشمين «۲» من أبناء الدنيا، و كما جرت به عادة القصّاص و المذكرين، فإنهم يمدحون من يحضر مجالسهم من الأغنياء. و فى المدح ست آفات: أربع على المادح، و اثنتان على الممدوح. و أما المادح، فالآفة الأولى فيه أنه قد يفرّط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كذّابا. الثانية: أنه قد يظهر له من الحب ما لا يعتقده فيكون منافقا مرائيا. الثالثة: أنه يقول ما لا يتحققه، فيكون مجازفا، كقوله إنه عدل و إنه ورع و غير ذلك مما لا يتحقق فيه. مدح رجل بين يدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رجلا، فقال عليه السلام: «ويحك قطعت عنق صاحبك! إن كان لابد من كون أحدكم مادحا أخاه فليقل: أحسب فلانا و لا أزكّى على اللّه أحدا، حسيبه اللّه إن كان يرى أنه كذلك». الرابعة: أن يفرح الممدوح به، و ربما كان ظالما فيعصى بإدخال السرور على قلبه؛ و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إن اللّه ليغضب إذا مدح الفاسق». و قال الحسن: «من دعا لفاسق بالبقاء فقد أحب أن يعصى اللّه». فالظالم الفاسق ينبغى أن يذم لتفتر رغبته فى الظلم و الفسق. و أما الممدوح، فإحدى الآفتين أن يحدث فيه كبرا أو إعجابا و هما مهلكان؛ و لذلك قال عليه السلام: «قطعت عنق صاحبك». الثانية: أن يفرح به فيفتر عن العمل و يرضى عن نفسه؛ قال صلى اللّه عليه و سلم: «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف، كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه». و أما إذا سلم المدح من هذه الآفات فى المادح و الممدوح، فلا بأس به، و ربما الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۴ يندب إليه؛ قال صلى اللّه عليه و سلم: «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «لو لم أبعث لبعثت يا عمر». و قد أثنى على كثير من الصحابة إذ علم أن ذلك يزيد فى نشاطهم و لا يورثهم عجبا.

### فصل حق على الممدوح أن يتأمل فى خطر الخاتمة

فصل حق على الممدوح أن يتأمل فى خطر الخاتمة ، و دقائق الرياء، و آفات الأعمال، و يتذكر ما يعرفه من نفسه من القبائح الباطنة، لا سيما فى أفكاره و حديث نفسه، ما لو عرفه المادح لكفّ عن المدح. و ينبغى أن يظهر كراهة المدح و يكرهه بالقلب؛ و إليه الإشارة بقوله صلى اللّه عليه و سلم: «أحثوا التراب فى وجوه المدّاحين». و قال بعضهم لمّا أثنى عليه: اللهم إن عبدك هذا تقرّب إلىّ بمقتك، و أنا أشهدك على مقته. و قال علىّ- رضى اللّه عنه- لمّا أثنى عليه: «اللهم اغفر لى ما لا يعلمون، و لا تؤاخذنى بما يقولون، و اجعلنى خيرا مما يظنون».

## الأصل الثالث فى الغضب

### اشاره

الأصل الثالث فى الغضب: اعلم أن الغضب شعلة نار اقتبست من نار اللّه الموقدة التى تطّلع على الأفئدة. و من غلب عليه فقد نزع إلى عرق الشيطان فإنه مخلوق من النار. و كسر شدّة الغضب من المهمات فى الدين؛ قال صلى اللّه عليه و سلم: «ليس الشديد بالصّرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب». و قال عليه السلام: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصّبر العسل». و قال عليه السلام: «ما غضب أحد قط إلا أشفى على جهنم». و قال رجل: يا رسول اللّه، أى شىء أشد؟ قال: «غضب اللّه». قال: فما ينقذنى من غضب اللّه؟ قال: «أن لا تغضب». و قال رجل لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: مرنى بعمل و أقلّل! فقال عليه الصلاة و السلام: «لا تغضب»، فأعاد عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مرارا و هو يقول: «لا- تغضب». فكيف لا- تعظم آفة الغضب، و هو يحمل فى الظاهر على الضرب و الشتم و إطالة اللسان، و فى الباطن، على الحقد و الحسد و إظهار السوء و الشماتة و العزم على إفشاء السرّ و هتك الستر، و الفرح بمصيبة المغضوب عليه و الغم بمسرته. و كل واحدة من هذه الخبائث مهلك.

### فصل عليك فى صفة الغضب وظيفتان

فصل عليك فى صفة الغضب وظيفتان: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۵ إحداهما: كسره بالرياضة؛ و لست أعنى بكسره إماطته «۱»، فإنه لا يزول أصله و لا ينبغى أن يزول، بل إن زال وجب تحصيله، لأنه آلة القتال مع الكفار، و المنع من المنكرات و كثير من الخيرات «۲». و هو ككلب الصائد، إنما رياضته فى تأديبه حتى ينقاد للعقل و الشرع فيهيج بإشارة العقل و الشرع، و يسكن بإشارتهما و لا يخالفهما، كما ينقاد الكلب للصياد. و هذا ممكن بالمجاهدة، و هو اعتياد الحلم و الاحتمال مع التعرض للمغضبات. الثانية: ضبط الغضب عند الهيجان بالكظم. و يعين عليه علم و عمل؛ أما العلم، فهو أن يعلم أنه لا سبب لغضبه إلا أنه أنكر أن يجرى الشىء على مراد اللّه لا على مراده، و هذا غاية الجهل. و الآخر أن يعلم أن غضب اللّه عليه أعظم من غضبه عليه، و أن فضل اللّه أكبر. و كم عصاه و خالف أمره! فلم يغضب عليه إن خالفه غيره؟ فليس أمره عليه ألزم على عبده و أهله و رفقته من أمر اللّه عليه. و أما العمل، فهو أن يقول: «أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم»، إذ يعلم أن ذلك من الشيطان؛ فإن لم يسكن، جلس إن كان قائما، و يضطجع إن كان قاعدا، و كذلك ورد الخبر باختلاف الحال أنه يؤثر فى التسكين، و إن لم يسكن فيتوضأ؛ قال عليه الصلاة و السلام: «إن الشيطان خلق من النار، و إنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»، و قال عليه السلام: «ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه، و انتفاخ أوداجه؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليضرب خدّه بالأرض». و هذه إشارة إلى تمكين أعز الأعضاء من أذلّ المواضع، لينكسر الكبر، فإنه السبب الأعظم فى الغضب، ليعلم أنه عبد ذليل فلا يليق به الكبر. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إن الرجل ليدرك بالحلم درجة القائم و الصائم، و إنه ليكتب جبارا و ما يملك إلا أهل بيته» و قال صلى اللّه عليه و سلم: من كظم غيظا و لو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ اللّه تعالى قلبه يوم القيامة أمنا و إيمانا»، و قال عليه السلام: «ما من جرعة أحب إلى اللّه تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد، و ما كظمها عبد إلا ملأ اللّه جوفه إيمانا». الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۶

## الأصل الرابع فى الحسد

### اشاره

الأصل الرابع فى الحسد: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»، و قال عليه السلام:

«ثلاث لا ینجو منهن أحد: الظن، و الطیرة، و الحسد، و سأحدثکم بالمخرج من ذلک، إذا ظننت فلا تحقّق، و إذا تطیّرت فامض، و إذا حسدت فلا تبغ». و قال علیه السلام: «دبّ إلیکم داء الأمم قبلکم: الحسد و البغضاء، و البغضة هی الحالقة «۱»». و قال زکریا علیه السلام: قال اللّه تعالی: «الحاسد عدو لنعمی، مسخط لقضائی، غیر راض بقسمتی التی قسمت بین عبادی». و اعلم أن الحسد حرام، و هو أن تحب زوال النعمة من غیرک، أو تحب نزول مصیبة به، و لا تحرّم المنافسة، و هی أن تغبط و تشتهی لنفسک مثله، و لا تحب زوالها منه. و یجوز أن تحب زوال النعمة ممن یستعین بها علی الظلم و المعصیة، لأنک لا نرید زوال النعمة، و إنما ترید زوال الظلم؛ و علامته أنه لو ترک الظلم و المعصیة لم تحب زوال نعمته. و سبب الحسد إما الکبر، و إما العداوة، و إما خبث النفس، إذ یبخل بنعمة اللّه علی عباده من غیر غرض فیه له.

## فصل الحسد من الأمراض العظیمة للقلب

[فصل الحسد من الأمراض العظیمة للقلب] اعلم أن الحسد من الأمراض العظیمة للقلب، و مرض القلب لا یداوی إلا بمعجون العلم و العمل: فأما العلاج العلمی: فهو أن یعلم أن حسده یضره و لا یضر محسوده بل ینفعه؛ أمّا أنه یضره، فهو أنه یبطل حسناته، و یعرضه لسخط اللّه تعالی، إذ یسخط قضاء اللّه و یشح بنعمته التی وسعها من خزائنه علی عباده، و هذا ضرر فی دینه. و أما ضرره فی دنیاه، فهو أنه لا یزال فی غم دائم و کمد لازم: و ذلک مراد عدوه منه، فإن أهم أغراض عدوه و أکمل النعمة علیه، حزن حاسده، فقد کان یرید المحنة لعدوه فحصلت له. و الحسود لا یخلو قط من الغم و المحنة؛ إذ لا یزال أعداؤه أو واحد منهم فی نعمة. و أمّا أنّه ینفع عدوه و لا یضره؛ لأن النعمة لا تزول بحسده، و أنه یضاعف حسناته؛ إذ تنتقل حسنات الحاسد الاربعین فی اصول الدین، ص: ۷۷ إلیه. لا سیما إذا طوّل اللسان فیه، فإنه مظلوم من الحاسد، فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنیا منه، فأضاف إلیه نعمة الآخرة و حصل لنفسه مع عذاب الدنیا عذاب الآخرة، فهو کمن رمی عدوه بحجر فلم یصب عدوه، و عاد إلی عینه فأعماها، و زادت علیه شماتة عدوه إبلیس، فإنه فاتته النعمة وفاته الرضاء بالقضاء، و لو رضی به لکان فیه ثواب، لا سیما إذا حسد علی العلم و الورع، فإن محب العلم یعظم ثوابه. و أما العلاج العملی: فهو أن یعرف حکم الحسد و ما یتقاضاه من قول و فعل، فیخالفه و یعمل بنقیضه، فیثنی علی المحسود، و یظهر الفرح بنعمته، و یتواضع له؛ و بذلک یعود المحسود صدیقا له، و یزایله الحسد، و یتخلص من إثمه و ألمه، قال اللّه تعالی: ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَةٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ [فصلت: ۳۴].

## فصل لعلّ نفسک لا تطاوعک علی التسویة بین عدوک و صدیقک

فصل لعلّ نفسک لا تطاوعک علی التسویة بین عدوک و صدیقک ، بل تکره مساءة الصدیق دون العدوّ، و تحب نعمة الصدیق دون العدوّ. و لست مکلفا بما لا تطیق، فإن لم تقدر علی ذلک فتتخلص من الإثم بأمرین: أحدهما، أن لا تظهر الحسد بلسانک و جوارحک و أعمالک الاختیاریة، بل تخالف موجبها. و الثانی، أن تکره من نفسک حبّها زوال نعمة اللّه تعالی عن عبد من عباده. فإذا اقترنت الکراهة عن باعث الدین بحب زوال النعمة التی اقتضاه الطبع، اندفع عنک الإثم. و لیس علیک تغییر الطبع، فإن ذلک لا تقدر علیه فی أکثر الأحوال. و علامة الکراهیة أن تکون بحیث لو قدرت علی إزالة نعمته لم تقدم علی الإزالة مع حبک لها، و لو قدرت علی معونته فی دوام نعمته أو فی زیادتها فعلت مع کراهیتک لذلک. فإذا کنت کذلک، فلا إثم علیک فیما یتقاضاه طبعک، فإن الطبع إنما یصیر مقهورا فی حق المستهتر باللّه، الذی انقطع نظره عن الدنیا و عن الخلق؛ بل علم أنّ المنعم علیه إن کان فی النار فما تنفع هذه النعمة، و إن کان فی الجنة فأی نسبة لهذه النعمة إلی الجنة؛ بل یری کلّ الخلق عباد اللّه تعالی فیحبهم لأنهم عباد لمحبوبه. و یحب أن یظهر أثر نعمة محبوبه علی عباده، و هذه حالة نادرة لا تدخل تحت التکلیف. الاربعین فی اصول الدین، ص: ۷۸

## الأصل الخامس فى البخل و حب المال

### اشاره

الأصل الخامس فى البخل و حب المال: و اعلم أن البخل من المهلكات العظيمة؛ قال اللّه تعالى: وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: ۹، التغابن: ۱۶]. و قال اللّه تعالى: وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [آل عمران: ۱۸۰] الآية. و قال اللّه تعالى: الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ [النساء: ۳۷، الحديد: ۲۴] الآية. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إياكم و البخل، فإنه أهلك من كان قبلكم». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنة إلا سخىّ، و البخل شجرة تنبت فى النار فلا يلج النار إلا بخيل». و قال عليه السلام «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، و هوى متّبع، و إعجاب المرء بنفسه». و قال عليه السلام: «شرّ ما فى الرّجل شحّ هالع و جبن خالع «۱»». و قال عليه السلام: «إن اللّه يمقت البخيل فى حياته، و يحب السخى عند موته». و قال عليه السلام: «السخى الفاجر أحب إلى اللّه من العابد البخيل». و قال عليه السلام: «لا يجتمع اثنان فى مؤمن: البخل و سوء الخلق».

### فصل أصل البخل حب المال

[فصل أصل البخل حب المال] اعلم أن أصل البخل حب المال، و هو مذموم. و من لا مال له لا يظهر بخله بالإمساك، و لكن يظهر بحب المال، و ربّ رجل سخى لكنه يحب المال، فيسخى به ليذكر بالسخاء؛ و ذلك أيضا مذموم، لأن حب المال يلهى عن ذكر اللّه عز و جل، و يصرف وجه القلب إلى الدنيا، و يحكم علاقته فيها، حتى يثقل عليه الموت الذى فيه لقاء اللّه تعالى؛ قال اللّه عز و جل: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ [المنافقون: ۹] و قال اللّه تعالى: إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ [التغابن: ۱۵] و قال تعالى: أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ [التكاثر: ۱]. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «لا تتخذوا الضيعة «۲» فتحبوا الدنيا». و قيل للنبى عليه الصلاة و السلام: أىّ أمتك أشرّ؟ فقال عليه السلام: «الأغنياء». و قال عليه السلام: «من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه، أخذ حتفه و هو لا يشعر». و قال رجل: يا رسول اللّه، إنى لا أحب الموت، قال عليه السلام: «هل الاربعين فى اصول الدين، ص: ۷۹ لك مال؟» قال: نعم، قال عليه السلام: «قدّم مالك، فإن قلب الرجل مع ماله، فإن قدمه أحب أن يلحقه، و إن أخره أحب أن يتخلف». و قال عليه الصلاة و السلام: «إذا مات العبد قالت الملائكة: ما قدّم؟ و قال الناس: ما خلّف؟»، و قال عليه الصلاة و السلام: «تعس «۱» عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس و انتكس، و إذا شيك فلا انتقش» «۲».

### فصل أن المال ليس مذموما من كل وجه

[فصل أن المال ليس مذموما من كل وجه] اعلم أن المال ليس مذموما من كل وجه، و قد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، و قال عليه الصلاة و السلام: «الدنيا مزرعة الآخرة». و كيف يكون مذموما مطلقا و العبد مسافر إلى اللّه تعالى، و الدنيا منزل من منازل سفره، و بدنه مركبه، و لا يمكنه السفر إلى اللّه إلا به، و لا يبقى البدن إلا بمطعم و ملبس، و لا وصول إليهما إلا بالمال؟ لكن من فهم فائدة المال و علم أنه آلة علف الدابة لسلوك الطريق، لم يعرّج عليه، و لم يأخذ منه إلا قدر الزاد، فإن اقتصر على ذلك سعد به كما قال النبى عليه السلام لعائشة- رضى اللّه عنها-: «إذا أردت اللحاق بى فاقنعى من الدنيا بزاد الراكب، و لا تجددى و لا تخلعى قميصا حتى ترقعيه»، و قال عليه الصلاة و السلام: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا، و إن زاد على قدر الكفاية هلك». كما قال عليه الصلاة و السلام: «من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه، أخذ حتفه و هلك و هو لا يشعر». و كذلك المسافر، إذا أخذ ما يزيد على زاد الطريق مات تحت ثقله، و لم يبلغ مقصد سفره. فالزيادة على قدر الكفاية مهلكة من ثلاثة أوجه: أحدها: أن يدعو إلى المعاصى، فإنه يمكن منها و من العصمة أن لا تقدر، و فتنة السرّاء «۳» أعظم من فتنة الضراء «۴»، و الصبر مع القدرة أشد.

الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۰ و الثانى: أن يدعو إلى التنعم بالمباحات، و هو أقل الدرجات، فينبت على التنعم جسده، و لا يمكنه الصبر عنه. و ذلك لا يمكن استدامته إلا بالاستعانة بالخلق و الالتجاء إلى الظلمة، و ذلك يدعو إلى النفاق و الكذب و الرياء و العداوة و البغضاء، و يتشعب منه جملة المهلكات؛ و لذلك قال صلى اللّه عليه و سلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئة». و الثالث: أن يلهى عن ذكر اللّه عز و جل الذى هو أساس السعادة الأخروية، إذ يزدحم على القلب خصومة الملاحين، و محاسبة الشركاء و التفكر فى تدبير الحذر منهم، و تدبير استنماء المال و كيفية تحصيله أولا، و حفظه ثانيا، و إخراجه ثالثا؛ و كل ذلك مما يسوّد القلب، و يزيل صفاءه و يلهى عن الذكر، كما قال اللّه تعالى: أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ إلى آخر السورة.

## فصل فى معرفة مقدار الكفاية

[فصل فى معرفة مقدار الكفاية] لعلك تشتهى أن تعرف مقدار الكفاية و تقول: ما من غنى إلا و يدّعى أن ما فى يده دون مقدار الكفاية. فاعلم أن الضرورة إنما تدعو إلى المطعم و الملبس فقط، فإن تركت التجمل فى الملبس، فيكفيك فى السنة ديناران لشتائك و صيفك، فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع عنك الحرّ و البرد؛ و إن تركت التنعم فى مطعمك و الشبع من الطعام فى جميع أحوالك، فيكفيك فى كل يوم مدّ، فيكون فى السنة خمسمائة رطل، و يكفيك لإدامك- إن لم توسّع فيه و اقتصرت على اليسير منه فى بعض الأوقات- ثلاثة دنانير على التقريب فى السنة، عند رخاء الأسعار. فإذا يبلغ كفايتك خمسة دنانير و خمسمائة رطل، و هو القدر الذى نقدره إذا فرضنا نفقة العزب. فإن كنت معيلا- فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك؛ فإذا كنت كسوبا و كسبت فى اليوم ما يكفيك ليومك، فانصرف و اشتغل بعبادتك، فإن طلبت الزيادة صرت من أهل الدنيا. و إن لم تكن كسوبا و كنت مشغولا بالعلم و العبادة، و اقتنيت ضيعة يدخل منها هذا القدر دائما، فأرجو أن لا تصير بذلك من أهل الدنيا، لا سيما فى هذه الأعصار «۱»، و قد تغيرت القلوب، و استولى عليها الشحّ، و انصرفت الهمم عن تفقد ذوى الحاجات. فاقتناء هذا القدر أولى من السؤال؛ و هذا بشرط أن يكون بودّك أن تتخلص من التعرض إلى الجوع و البرد، لتطرح الضيعة و تتركها، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۱ و لا- تكون كارها للموت، و لا محبا للضيعة. و لتكن الضيعة- و هى مدخل طعامك- كالخلاء الذى هو موضع فراغك، فإنما تريده للضرورة، و بودك لو تخلصت منه لتخرج عن النهى فى قوله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا»؛ فإنك إذا قصدت الفراغة للاستعانة بها على الدين، كنت متزودا مسافرا لا معرجا على الضيعة. و ربما لا يحتمل بعض الأشخاص القناعة بالقدر الذى ذكرته إلا بشدة و مشقة. و لا حرج فى الدين فى ازدياد الضعف على هذا القدر؛ إذ لا يصير من أبناء الدنيا و لا يخرج من حزب أبناء الآخرة و المسافرين إلى اللّه تعالى ما دام يقصد بذلك دفع الألم الشاغل عن الذكر و العبادة دون التلذذ و التنعم فى الدنيا. ثم ما فضل من الطعام صرفه إلى البائس و الأرامل، و لا يبقى بعد هذه الرخصة داعية إلى الزيادة إلا للتنعم أو للتصدق أو للاستظهار، لو أصاب المال آفة. أمّا التنعّم فإعراض عن اللّه تعالى، و اشتغال بالدنيا، و أما التصدق، فترك المال أفضل منه؛ قال عيسى عليه السلام: «يا طالب الدنيا لتبرّ فتركك لها أبرّ و أبرّ». و أما الاستظهار، لخوف آفة، فذلك لا مرد له، و هو سوء الظن لا آخر له، بل ينبغى أن تدفع ذلك بحسن الظن بتدبير اللّه عز و جل، و هو أن تتصور أن تصيب المال آفة من حيث لا- يتوقع فيتصور أن ينفتح للرزق أيضا باب لا يحتسب، وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ [الطلاق: ۲، ۳]. و إن فرض على الندور خلافه، فلا ينبغى أن يعتقد العبد أن سلامته- طول عمره- عن البلاء محتوم، بل البلاء هو الذى يصقل القلب و يزكيه، و يخلصه من الخبائث كلها؛ و لهذا كان موكلا بالأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل. فاتكل على فضل اللّه، و اعلم أنك لا يصيبك إلا ما فيه خيرك و خيرتك «۱»، فإن اللّه مدبّر الملك و الملكوت أعلم بمصالحك.

## فصل فى ان الذى ذكرت تقريب يمكن الزيادة عليه و النقصان منه

[فصل فى ان الذى ذكرت تقريب يمكن الزيادة عليه و النقصان منه] هذا الذى ذكرته تقريب يمكن الزيادة عليه و النقصان منه بالاجتهاد فى بعض الأشخاص و فى بعض الأحوال. و لكن اعتقد قطعا أن المال كالدواء النافع منه قدر مخصوص، و الإفراط فيه قاتل، و القرب من الإفراط ممرض إن لم يقتل. فعليك بالتقليل الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۲ و الحذر من الإفراط و الرفاهية، فذلك خطر عظيم. و ليس فى التقليل إلا مشقة قليلة فى أيام قلائل؛ و ذو الحزم لا يثقل عليه أن يجوع نفسه لوليمة الفردوس، لعلمه أن اللذة على قدر الجوع.

## فصل فى معرفة حدّ البخل

[فصل فى معرفة حدّ البخل] لعلك ترغب فى معرفة حدّ البخل، إذ الشخص الواحد قد تشك فى أنه بخيل أم لا، و يختلف الناس فيه. فاعلم أن حدّ البخل منع ما يوجبه الشرع أو المروءة. و لا تظن أن من سلّم إلى زوجته و قريبه ما فرضه القاضى، و ضايق وراء ذلك فى لقمة، فليس ببخيل، و أن من رد الخبز و اللحم إلى الخباز و القصاب لنقصان قدر منه يسير ليس ببخيل، و إن كان له ذلك فى الشرع، فإن معنى الشرع فى هذه الأمور قطع خصومة البخلاء بتقدير مقدار يطيقه البخيل؛ و لذلك قال اللّه تعالى: إِنْ يَسْئَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا [محمد: ۳۷]. بل لابدّ من مراعاة المروءة و دفع قبح الأحدوثة، و ذلك يختلف باختلاف الأشخاص و قدر المال. و من له مال و أمكنه أن يقطع هجو شاعر و ذمه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله، فهو بخيل، و إن لم يكن ذلك واجبا عليه، إذ قال صلى اللّه عليه و سلم: «ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة». و التحقيق فيه أن المال خلق لفائدة لأجلها يمسك، و فى بذله أيضا فائدة. فمهما ظهر له أن فائدة البذل أعظم من فائدة الإمساك، ثم شق عليه البذل فهو بخيل محب للمال. و المال لا ينبغى أن يحبّ لذاته بل لفائدته، فيصرف إلى أقوى فائدة. و حفظ المروءة أفضل و أقوى من التنعم بالأكل الكثير مثلا. و قد يحمله البخل و حبّ المال على أن يجهل أقوى الفائدتين و أولاهما و ذلك غاية البخل. فإن علم و عسر عليه البذل فهو بخيل أيضا، و إن بذل تكلّفا؛ بل إنما يبرأ من البخل بأن لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغى أن يبذل فيه عقلا و شرعا. و أما درجة السخاء، فلا تنال إلا ببذل ما يزيد على واجب الشرع و المروءة جميعا.

## فصل فى معرفة علاج البخل

[فصل فى معرفة علاج البخل] لعلك تريد أن تفهم علاج البخل. فاعلم أن دواءه معجون مركّب من العلم و العمل. أما العلم فهو أن تعلم ما فى البخل من الهلاك فى دار الآخرة، و المذمة فى الدنيا، و تعلم أن المال لا يتبعه- إن بقى- إلى قبره؛ و إنما المال للّه تعالى، مكّنه منه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۳ لصرفه إلى أهمّ أموره. و تعلم أن إمساك المال، إن كان للتنعم فى الشهوات، فحسن الأحدوثة و ثواب الآخرة أعظم و ألذّ منه. فقضاء الشهوة سجية البهائم، و هذه سجية العقلاء؛ و إن كان يمسكه ليتركه لولده فكأنه يترك ولده بخير و يقدم على ربه بشرّ، و هذا عين الجهل، و كيف و ولده إن كان صالحا فاللّه تعالى يكفيه، و إن كان فاسقا فيستعين به «۱» على المعصية، و يكون هو سبب تمكنه منها، فيتضرر هو و يتنعّم غيره!. و أما العمل، فهو أن يحمل نفسه على البذل تكلّفا، و لا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة. و من نوافذ حيله فيه أن يخدعه بحسن الاسم و توقع المكافأة حتى يرغب فى البذل، ثم بعد ذلك يتدرج أيضا إلى قمع هذه الصفات.

# الأصل السادس الرعونة و حب الجاه

## فصل حقيقة الجاه هى ملك القلوب لتتسخر لذى الجاه على حسب مراده

[فصل حقيقة الجاه هى ملك القلوب لتتسخر لذى الجاه على حسب مراده] حقيقة الجاه هى ملك القلوب لتتسخر لذى الجاه على حسب مراده، و تطلق اللسان بالثناء عليه، و تسعى فى حاجته. و كما أن معنى المال ملك الدراهم ليتوصل بها إلى الأغراض، كذلك معنى الجاه ملك القلوب، لكن الجاه أحب، لأن التوصل به إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، و لأنه محفوظ من أن يسرق و يغصب أو تعرض له الآفة، و لأنه يسرى و ينمو من غير تكلف؛ فإن من ملك قلبه باعتقاد التعظيم، فلا يزال يثنى و يقتنص قلوب سائر الناس لصاحبه. و فيه سرّ آخر، و هو أن الجاه معناه العلوّ و الكبرياء و العز، و هى من الصفات الإلهية، و الصفات الإلهية محبوبة للإنسان بالطبع؛ بل هى ألذّ الأشياء عنده؛ و ذلك لسرّ خفى فى مناسبة الرّوح للأمور الإلهية، و عنه العبارة بقوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [الإسراء: ۸۵]. فهو أمر ربانى شغفه من حيث الطبع للاستبداد و الانفراد بالوجود. و هو حقيقة الإلهية؛ إذ ليس مع اللّه موجود، بل الموجودات كلها كالظل من نور القدرة، فلها رتبة التبعية لا رتبة المعيّة. فليس فى الوجود مع اللّه غيره. و كان الإنسان يشتهى ذلك، بل فى كل نفس أن يقول أنا ربّكم الأعلى، لكن أظهره فرعون و أخفاه غيره. و لكن إن فاته الانفراد بالموجود، فيشتهى أن لا يفوته الاستعلاء و الاستيلاء على الموجودات كلها، ليتصرف فيها على حسب مراده و هو الإلهية. لكن تعذر على الإنسان ذلك فى السموات و الكواكب و البحار و الجبال، فاشتهى الاستيلاء على جميعها بالعلم، لأن العلم نوع استيلاء أيضا، كما أن من عجز عن وضع الأشياء العجيبة، فيشتهى أن يعرف كيفية الوضع. و كذلك يشتهى أن يعرف عجائب البحر و ما تحت الجبال، و يتصور أن يتسخر له الأعيان التى على وجه الأرض من الحيوان و المعادن و النبات. فيحبّ أن يتملكها و يقوّلها و يتصور أن يتسخر له الإنسان، فيحب أن يتسخره بواسطة قلبه. و يملك قلبه بإلقاء التعظيم فيه. و يحصل التعظيم بأن يعتقد فيه كمال الخصال، فإن الإجلال يتبع اعتقاد الكمال، فلهذا يحب الإنسان أن يتسع جاهه و ينتشر صيته حتى إلى البلاد التى يعلم قطعا أنه لا يطؤها و لا يرى أهلها، لأن كل ذلك يناسب صفات الربوبية. و كلما صار أعقل، كانت هذه الصفة عليه أغلب، و شهواته البهيمية فيه أضعف. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۵

## فصل لم كان طلب الرفعة مذموما

[فصل لم كان طلب الرفعة مذموما] لعلك تقول: فإذا كان كذلك، فلم كان طلب الرفعة مذموما و هو من نتائج العقل و خواص الروح المناسبة للأمور الربانية؟. فاعلم أن الرفعة الحقيقية طلبها محمود غير مذموم، إذ مطلوب الكل هو القرب من اللّه تعالى، و ذلك هو الرفعة و الكمال إذ هو عزّ لا ذل فيه، و غنى لا فقر معه، و بقاء لا فناء بعده، و لذة لا كدورة لها؛ و طلب ذلك محمود؛ و إنما المذموم طلب الكمال الوهمى دون الحقيقى، و الكمال الحقيقى يرجع إلى العلم و الحرية و القدرة؛ و هو أن لا يكون مقيدا بغيره. و لا يتصور للعبد حقيقة القدرة، فإن قدرته إنما تكون بالمال و الجاه، و ذلك كمال وهمىّ، فإنه أمر عارض لا بقاء له، و لا خير فيما لا بقاء له، بل قيل: أشدّ الغمّ عندى فى سرور تيقّن عنه صاحبه انتقالا كيف، و هذه القدرة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت و بآفاتها قبله، لا تصفو من الكدورات! فمن توهمها كمالا فقد زل، بل الكمال فى الباقيات الصالحات التى تنال بها القرب من اللّه سبحانه، و لا تزول بالموت، بل تتضاعف تضاعفا غير محدود. و ذلك هو المعرفة الحقيقية بذات اللّه تعالى، و صفاته و أفعاله، و هو العلم بكل الموجودات؛ إذ ليس فى الوجود إلا اللّه تعالى و أفعاله. لكن قد ينظر فيها الناظر لا من حيث إنها أفعال اللّه تعالى، كالذى ينظر فى التشريح لغرض الطب، أو ينظر فى هيئة العالم لمعرفة الاستدلال بأحكام النجوم، فهذا لا قدر له. و من الكمال الحقيقى الحرية، و هو انقطاع علاقتك عن جميع علائق الدنيا، بل عن كل ما يفارقك بالموت، و الاقتصار فى الالتفات إلى لازمك الذى لابد لك منه، و هو اللّه تعالى. كما أوحى اللّه إلى داود: «يا داود! أنا بدّك «۱» اللازم فالزم بدّك». فالعلم و الحرية من الباقيات الصالحات، و هما كمالان حقيقيّان؛ و المال و البنون زينة الحياة الدنيا، و هما كمالان وهميان. و المنكوسون هم الذين عكسوا الحقيقة، فأعرضوا عن طلب الكمال الحقيقى، و اشتغلوا بطلب الكمال الوهمىّ، و هم الذين يحترقون عند الموت بنيران الحسرة إذ يشاهدون الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۶ أنهم خسروا الدنيا و الآخرة: و أما الآخرة، فلأنهم يطلبونها و لم يحصّلوا أسبابها من المعرفة و الحرية؛ و أما

الدنيا، فلأنها و دعتهم و انقلبت إلى أعدائهم و هم ورثتهم. و لا- تظنن أن الإيمان و العلم يفارقانك بالموت، فالموت لا يهدم محل العلم أصلا، و ليس الموت عدما حتى تظن أنك إذا عدمت عدمت صفاتك؛ بل معنى الموت قطع علاقة الروح من البدن إلى أن تعاد إليه؛ و إذا تجرد عن البدن فهو على ما كان عليه قبل الموت من العلم و الجهل، و فهم هذا طويل، و تحته أسرار لا يحتمل هذا الكتاب كشفها.

## فصل فى ان طريق علاج حب الجاه هو قمع هذا الحب

[فصل فى ان طريق علاج حب الجاه هو قمع هذا الحب] إذا عرفت حقيقة الجاه و ماهيته، و أنه كمال وهميّ، فقد عرفت أن طريق العلاج فى قمع حبه من القلب. إذا علمت أن أهل الأرض لو سجدوا لك مثلا، لما بقى- إلا مدة قريبة- لا الساجد و لا المسجود له. كيف! و يشح الدهر عليك بأن يسلم لك الملك فى محلّتك فضلا عن قريتك أو بلدتك. فكيف ترضى أن تترك ملك الأبد و الجاه الطويل العريض عند اللّه تعالى و عند ملائكته، بجاهك الحقير المنغص عند جماعة من الحمقى لا ينفعونك و لا يضرونك و لا يملكون لك موتا و لا- حياة و لا نشورا و لا رزقا و لا أجلا؟ نعم ملك القلوب كملك الأعيان «۱»، و أنت محتاج منه إلى قدر يسير لتحرس نفسك عن الظلم و العدوان، و عما يشوش عليك سلامتك و فراغك التى تستعين بها على دينك. فطلبك لهذا القدر مباح، بشرط القناعة بقدر الضرورة كما فى المال، و بشرط أن لا تكتسبه بالمراءاة بالعبادات فذلك حرام كما سيأتى؛ و أن لا تكتسبه بالتلبيس «۲» بأن تظهر من نفسك ما أنت خال منه، فلا فرق بين من يملك القلوب بالتلبيس، و بين من يملك الأموال. فإذا حصّلت الجاه بطريقة و اقتصرت على قدر التحرز من الآفات فترجى لك السلامة، إلا أنك فى خطر عظيم أكثر من خطر المال، لأن قليل الجاه يدعو إلى كثيره، فإنه ألذّ من المال، و لذلك لا يسلم الدين مجانا غالبا إلا لخامل مجهول لا يعرف، كما فهمت ذلك من الأخبار.
الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۷

## فصل من البواعث على طلب الجاه حب المدح

[فصل من البواعث على طلب الجاه حب المدح] من البواعث على طلب الجاه حب المدح، فإن الإنسان يتلذذ به من ثلاثة أوجه: أحدها، انه يشعر صاحبه بكمال نفسه، و الشعور بالكمال لذيذ؛ لأن الكمال من الصفات الإلهية. و الثانى، أنه يشعر بملك قلب المادح و قيام الجاه عنده و كونه مسخرا له. الثالث، أنه يشعر صاحبه بأن المادح يصغى إلى مدحه فينتشر بسببه جاهه. فكذلك إذا صدر المدح من بصير بصفات الكمال واسع الجاه و القدرة فى نفسه، و كان على ملأ من الناس، تضاعفت لذة المدح. و تزول اللذّة الأولى بأن يصدر عن غير أهل البصيرة، فإنه لا يشعر بالكمال، و تزول الثانية بأن يصدر عن خسيس لا قدرة له، لأن ملك قلبه لا يعتدّ به. و تزول الثالثة بأن يمدح فى الخلوة لا فى الملأ، إلا من حيث يتوقع أنه أيضا ربما يمدح فى الملأ. و أما الذم، فإنه مكروه لنقيض هذه الأسباب. و أكثر الخلق أهلكهم حب المدح و كراهية الذم، و يحملهم ذلك على المراءاة و فنون المعصية. و علاج ذلك أن يتفكر فى اللذة الأولى، فإن مدح بكثرة المال و الجاه فيعلم أنه كمال وهميّ، و هو سبب فوات كمال حقيقى، فهو جدير بأن يحزن لأجله، لا أن يفرح به. و إن مدح بكمال العلم و الورع، فينبغى أن يكون فرحه بوجود تلك الصفات و يشكر اللّه تعالى عليها لا يشكر غيره، هذا إن كان متصفا به، و أما إن كان غير متصف به، ففرحه به حماقة كفرح من يثنى عليه غيره و يقول: ما أطيب العطر الذى فى أحشائك أو أمعائك، و هو يعلم ما فيها من الأقذار و الأنتان. و هذا حال من يفرح من المدح بالورع و الزهد و العلم و هو يعلم من باطن نفسه أنه خال عنه. و أما اللذة الثانية و الثالثة، و هو لذة الجاه عند المادح و غيره، فعلاجه ما ذكرناه فى حب الجاه.

## الأصل السابع حب الدنيا

## اشاره

الأصل السابع حب الدنيا: و اعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة. و ليس الدنيا عبارة عن المال و الجاه فقط، بل هما حظّان من حظوظ الدنيا، و شعبتان من شعبها؛ و شعب الدنيا كثيرة. و دنياك عبارة عن حالتك قبل الموت، و آخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت. و كل ما لك فيه حظ قبل الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۸ الموت فهو من دنياك؛ إلا العلم و المعرفة و الحرية. و ما يبقى معك بعد الموت فإنها أيضا لذيذة عند أهل البصائر، و لكنها ليست من الدنيا و إن كانت فى الدنيا. و لهذه الحظوظ الدنيوية تعاون و تعلق بما فيه الحظ، و تعلق بأعمالك المتعلقة بإصلاحها، فهى ترجع إلى أعيان موجودة، و إلى حظك فيها، و إلى شغلك فى إصلاحها. أما الأعيان، فهى الأرض و ما عليها؛ قال اللّه تعالى: إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها [الكهف: ۷] الآية، و مطلوب الآدمى من الأرض. أما عينها فللمسكن و المحرث. و أما نباتها فللتداوى و الاقتيات. و أما معادنها فللنقود و الأوانى و الآلات. و أما حيواناتها فللمركب و المأكل. و أما الآدميون منها فللمنكح و الاستحسان. و قد جمع اللّه سبحانه ذلك فى قوله: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ [آل عمران: ۱۴] الآية. و أما حظك منها، فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى فقال اللّه تعالى: وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى [النازعات: ۴۰] و قال تعالى تفصيلا له: أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ [الحديد: ۲۰] الآية. و ذلك يندرج فيه جميع المهلكات الباطنة من الغلّ و الكبر و الحسد و الرياء و النفاق و التفاخر و التكاثر و حب الدنيا و حب الثناء، و هى الدنيا الباطنة. و أما الأعيان، فهى الدنيا الظاهرة، و أما شغلك فى إصلاحها، فهى جملة الحرف و الصناعات التى الخلق مشغولون بها، و قد نسوا فيها أنفسهم و مبدأهم و معادهم، لاستغراقهم بأشغالهم بها، و إنما شاغلهم العلاقتان: علاقة القلب بحب حظوظها، و علاقة البدن بشغل إصلاحها. فهذه هى حقيقة الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة. و إنما خلقت للتزود منها إلى الآخرة؛ و لكن كثرة أشغالها و فنون شهواتها أنست الحمقى سفرهم و مقصدهم، فقصروا عليها همتهم، فكانوا كالحاج فى البداية، يشتغل بتعهد الناقة و علفها و تسمينها، فيتخلف عن الرفقة حتى يفوته الحج، و تهلكه سباع البادية.

## فصل فى ان هذه الدنيا المذمومة هى بعينها مزرعة الآخرة

[فصل فى ان هذه الدنيا المذمومة هى بعينها مزرعة الآخرة] هذه الدنيا المذمومة المهلكة، هى بعينها مزرعة الآخرة فى حق من عرفها، إذ الاربعين فى اصول الدين، ص: ۸۹ يعرف أنها منزل من منازل السائرين إلى اللّه عز و جل، و هى كرباط «۱» بنى على قارعة الطريق، أعد فيها العلف و الزاد و أسباب السفر. فمن تزود منها لآخرته و اقتصر منها على قدر الضرورة التى ذكرناها فى المطعم و الملبس و المنكح و سائر الضرورات، فقد حرث و بذر، و سيحصد فى الآخرة ما زرع. و من عرج عليها و اشتغل بلذاتها هلك. و مثل الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة، فأمرهم الملّاح بالخروج لقضاء الحاجة، و خوّفهم المقام و استعجال السفينة فتفرقوا فيها، فبادر بعضهم و قضى حاجته و رجع إلى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا، و وقف بعضهم فنظر فى أزهار الجزيرة و أنوارها و ظرائف أحجارها و عجائب غياضها و نغمات طيورها، فرجع إلى السفينة فلم يجد إلا مكانا ضيقا حرجا، و أكبّ بعضهم على تلك الأصداف و الأحجار و أعجبه حسنها فلم تسمح نفسه إلا بأن يستصحب شيئا منها، فلم يجد فى السفينة إلا مكانا ضيقا. و زادته الحجارة ثقلا و ضيقا، فلم يقدر على رميها و لم يجد لها مكانا، فحملها على عنقه و هو ينوء بأعبائها. و تولج بعضهم الغياض و نسى المركب و اشتغل بالتفرج فى تلك الأزهار و التناول من تلك الثمار و هو فى تفرجه غير خال من خوف السباع و الحذر من السقطات و النكبات، فلما رجع إلى السفينة لم يصادفها فبقى على الساحل، فافترسته السباع و مزقته الهوامّ. فهذه صورة أهل الدنيا بالإضافة إلى الدنيا و الآخرة، فتأملها و استخرج وجه الموازنة فيها إن كنت ذا بصيرة.

## فصل فى ان من عرف نفسه، و عرف ربه عرف وجه عداوة الدنيا للآخرة

[فصل فى ان من عرف نفسه، و عرف ربه عرف وجه عداوة الدنيا للآخرة] من عرف نفسه، و عرف ربه، و عرف زينة الدنيا و عرف الآخرة، شاهد بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة، إذ ينكشف له قطعا أن لا سعادة فى الآخرة إلا لمن قدم على اللّه سبحانه عارفا به محبّا له؛ فإن المحبة لا تناله إلا بدوام الذّكر، و إن المعرفة لا تنال إلا بدوام الطلب و الفكر، و لا يتفرغ لهما إلا من أعرض عن أشغال الدنيا. و لا تستولى المعرفة و الحب على القلب ما لم يفرغ من حب غير اللّه تعالى؛ ففراغ القلب عن غير اللّه ضرورة اشتغاله بحب اللّه تعالى و معرفته. و لن يتصور ذلك إلا لمعرض عن الدنيا، قانع منها بقدر الزاد و الضرورة. فإن كنت من أهل البصيرة فقد صرت من أهل الذوق و المشاهدة؛ و إن لم تكن كذلك، فكن من أهل التقليد و الإيمان، و انظر إلى الاربعين فى اصول الدين، ص: ۹۰ تحذير اللّه سبحانه إياك، و الكتاب و السنة، و قد قال عز و جل: مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها [هود: ۱۵] الآية. و قال تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ [النحل: ۱۰۷] الآية. و قال عز اسمه: فَأَمَّا مَنْ طَغى وَ آثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا [النازعات: ۳۷، ۳۸] الآية. و لعل ثلث القرآن فى ذم الدنيا و ذم أهلها، و قد قال صلى اللّه عليه و سلم: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما كان للّه تعالى منها». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «يا عجبا كلّ العجب للمصدق بدار الآخرة، و هو يسعى لدار الغرور». و قال عليه السلام: «الدنيا حلوة خضرة، و إن اللّه مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون». و قال عليه السلام: «إن اللّه عز و جل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا، و إنه لم ينظر إليها منذ خلقها». و قال عليه السلام: «من أصبح و الدنيا أكبر همّه فليس من اللّه فى شىء، و ألزم قلبه أربع خصال: همّا لا ينقطع عنه أبدا، و شغلا لا يتفرغ عنه أبدا، و فقرا لا يبلغ غناه أبدا، و أملا لا يبلغ منتهاه أبدا». و قال أبو هريرة: قال صلى اللّه عليه و سلم: «يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها؟ قلت: نعم. فأخذ بيدى إلى مزبلة فيها رؤوس أناس و عذرات «۱» و خرق و عظام، فقال عليه السلام: يا أبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرص كحرصكم و تأمل آمالكم، ثم هى اليوم عظام بلا جلد، ثم ستصير رمادا. و هذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم قذفوها من بطونهم، فأصبحت و الناس يتحامونها. و هذه الخرق البالية كانت رياشهم و لباسهم فأصبحت و الرياح تصفّقها. و هذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون «۲» عليها أطراف البلاد، فمن كان باكيا على الدنيا فليبك». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «ليجيئنّ أقوام يوم القيامة و أعمالهم كجبال تهامة، فيؤمر بهم إلى النار». قالوا: يا رسول اللّه: مصلين؟ قال: «نعم، كانوا يصلون و يصومون و يأخذون هنة «۳» من الليل، فإذا عرض لهم شىء من الدنيا وثبوا عليه». الاربعين فى اصول الدين، ص: ۹۱ و قال عيسى عليه السلام: «لا يستقيم حب الدنيا و الآخرة فى قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء و النار فى إناء واحد». و قال نبينا صلى اللّه عليه و سلم: «احذروا الدنيا، فإنها أسحر من هاروت و ماروت». و قال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريين ارضوا بدنىّ الدنيا مع سلامة الدين، كما رضى أهل الدّنيا بدنىّ الدين مع سلامة الدنيا». و قال عيسى عليه السلام للحواريين: «لأكل خبز الشعير بالملح الجريش «۱» و لبس المسوح و النوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا و الآخرة». و روى أن عيسى- عليه السلام- كوشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة، فقال لها: كم نكحت؟ فقالت: إنى لا أحصيهم، فقال يطلقونك أو ماتوا عنك؟ فقالت: بل قتلت كلهم. فقال عيسى- عليه السلام-: عجبا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين.

## فصل فى أن من ظن أنه يلابس الدنيا ببدنه و يخلو عنها بقلبه فهو مغرور

[فصل فى أن من ظن أنه يلابس الدنيا ببدنه و يخلو عنها بقلبه فهو مغرور] اعلم أن من ظن أنه يلابس الدنيا ببدنه و يخلو عنها بقلبه فهو مغرور. و قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء، هل يستطيع الذى يمشى فى الماء ألا يبتلّ قدماه؟». و كتب علىّ- رضوان اللّه عليه- إلى سلمان الفارسى- رضى اللّه عنه-: «مثل الدنيا مثل الحية، يلين مسها و يقتل سمها، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها، لما أيقنت من فراقها، و كن أسرّ ما تكون بها أحذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأنّ منها إلى سرور أشخصه «۲» عنه مكروه». و قال عيسى- عليه السلام-: «مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر،

كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله» و اعلم أن من اطمأن إلى الدنيا و هو يتيقن أنه راحل عنها هو فى غاية الحماقة، بل مثل الدنيا مثل دار هيأها صاحبها، و زينها لضيافة الواردين و الصادرين، فدخل واحد داره فقدم إليه طبقا من ذهب عليه بخور و ريحان ليشمها و يتركه لمن يلحقه لا- ليتملكه، فجهل رسمه فظن أنه وهب ذلك له، فلما تعلق به قلبه استرجع منه، فضجر الاربعين فى اصول الدين، ص: ۹۲ و توجع، و من كان عالما برسمه انتفع به و شكره و رده بطيبة قلبه و انشراح صدره، فكذلك سنّة اللّه فى الدنيا، فإنها دار ضيافته على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها ما ينتفعون به كما ينتفع بالعارية «۱»، ثم يتركونها لمن يلحق بعدهم بطيبة نفس من غير تعلق القلب بها لا كمن يتعلّق القلب بها.

## الأصل الثامن فى الكبر

### فصل فى حقيقة الكبر أن يرى نفسه فوق غيره فى صفات الكمال

[فصل فى حقيقة الكبر أن يرى نفسه فوق غيره فى صفات الكمال] حقيقة الكبر أن يرى نفسه فوق غيره فى صفات الكمال، فيحصل فيه نفخة و هزة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۹۳ من هذه الرذيلة و العقيدة، و لذلك قال صلى اللّه عليه و سلم: «أعوذ بك من نفخة الكبر»، و لذلك استأذن بعضهم عمر- رضى اللّه عنه- ليعظ الناس بعد الصبح، فقال: لأخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا، ثم هذه النفخة يصدر منها أفعال على الظاهر، كالترفع فى المجالس، و التقدم فى الطريق، و النظر بعين التحقير و الغضب إذا لم يبدأ السلام و قصّر فى حوائجه و تعظيمه، و يحمله على أن يأنف إذا وعظ، و يعنّف إذا وعظ و علّم، و يجحد الحق إذا ناظر، و ينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير. و إنما عظّم الكبر حتى لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة منه، لأن تحته ثلاثة أنواع من الخبائث العظيمة: أولها: أنه منازعة اللّه تعالى فى خصوص صفته، إذ الكبرياء رداؤه، كما قال اللّه؛ فإن العظمة لا تليق إلا به. و من أين تليق العظمة بالعبد الذليل الذى لا يملك من أمر نفسه شيئا، فضلا عن أمر غيره. الثانية: أن يحمله على جحد الحق و ازدراء الخلق. قال صلى اللّه عليه و سلم فى بيان الكبر: «الكبر من سفه الحقّ، و غمص «۱» الناس، و الأنفة من الحق، تغلق باب السعادة، و كذا استحقار الخلق». و قال بعضهم: إن اللّه سبحانه خبأ ثلاثا فى ثلاث: خبأ رضاه فى طاعته، فلا تحقرن شيئا منها لعل رضاء اللّه فيه، و خبأ سخطه فى معصيته، فلا تحقرن شيئا منها صغيرة، فلعل سخط اللّه تعالى فيها، و خبأ ولايته فى عباده، فلا تحقرن أحدا منهم فلعله وليّ اللّه تعالى. الثالثة: أنه يحول بينه و بين جميع الأخلاق المحمودة، لأن المتكبر لا يقدر أن يحب للناس ما يحب لنفسه، و لا يقدر على التواضع، و على ترك الأنفة و الحسد و الغضب، و لا- يقدر على كظم الغيظ، و على اللطف فى النصح، و على ترك الرياء. و بالجملة فلا- يبقى خلق مذموم إلا- و يضطر المتكبر إلى ارتكابه، و لا خلق محمود إلا و يضطر إلى تركه.

### فصل فى ان العلاج الجملى لقمع رذيلة الكبر أن يعرف الإنسان نفسه

[فصل فى ان العلاج الجملى لقمع رذيلة الكبر أن يعرف الإنسان نفسه] العلاج الجملى لقمع رذيلة الكبر أن يعرف الإنسان نفسه، و أن أوله نطفة مذرة «۲» الاربعين فى اصول الدين، ص: ۹۴ و آخره جيفة قذرة، و هو فيما بين ذلك يحمل العذرة، و يفهم قوله تعالى: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ [عبس: ۱۷- ۲۱]، فليعلم أنه خلق من كتم «۱» العدم، و أنه لم يك شيئا مذكورا؛ فلا شيء أقل من العدم. ثم خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ليس له سمع و لا- بصر و لا- حياة و لا قوة. و خلق له ذلك كله و هو بعد غاية النقصان تستولى عليه الأمراض و العلل، و يتضاد فيه الطبائع، فيهدم بعضها بعضا، فيمرض كرها و يجوع كرها، و يعطش كرها، و يريد أن يعلم الشيء فيجهله، و يريد أن ينسى الشيء فيذكره، و يكره الشيء فينفعه، و يشتهى الشيء فيضره، لا يأمن فى لحظة من أن يختلس روحه أو عقله أو صحته أو عضو من أعضائه، ثم آخره

الموت و التعرض للعقاب و الحساب. فإن كان من أهل النار فالخنزير خير منه، فمن أين يليق به الكبر و هو عبد مملوك ذليل لا يقدر على شيء. قال الحسن البصرى- رحمة اللّه عليه- لبعض من يتبختر فى مشيته: «ما هذه المشية لمن فى بطنه خراء»، فكيف يليق الكبر بمن يغسل العذرة بيده مرتين فى كل يوم، و هو حامل لها على الدوام؟

### فصل فى علاج الكبر على التفصيل

## الأصل التاسع العجب

### فصل فى ان حقيقة العجب استعظام النفس و خصالها

[فصل فى ان حقيقة العجب استعظام النفس و خصالها] حقيقة العجب استعظام النفس و خصالها التى هى من النعم، و الركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم و الأمن من زوالها. فإن أضاف إليه أن رأى لنفسه عند اللّه حقا و مكانا، سمى ذلك إدلالا؛ و فى الخبر أن صلاة المدلّ لا ترتفع فوق رأسه، و علامة إدلاله أن يتعجب من رد دعائه، و يتعجب من استقامة حال من يؤذيه. و العجب هو سبب الكبر، و لكن الكبر يستدعى متكبّرا عليه، و العجب مقصور على الانفراد. أما من رأى نعمة اللّه على نفسه بعمل أو علم أو غيره و هو خائف على زواله، و فرح بنعمة اللّه تعالى عليه من حيث إنها من اللّه، فليس بمعجب، بل العجب أن يأمن و ينسى الإضافة إلى المنعم.

### فصل العجب جهل محض، فعلاجه العلم المحض

[فصل العجب جهل محض، فعلاجه العلم المحض] العجب جهل محض، فعلاجه العلم المحض، فإنه إن أعجب بقوة و جمال أو أمر مما ليس يتعلق باختياره، فهو جهل أيضا، إذ ليس ذلك إليه، فينبغى أن يعجب بمن أعطاه ذلك من غير استحقاق، و ينبغى أن يتفكر فى زوال ذلك المخوف على القرب بأدنى مرض و ضعف، و إن أعجب بعلمه و عمله و ما يدخل تحت اختياره فينبغى أن يتفكر فى تلك الأعمال بماذا تيسرت له، و أنها لا تتيسر إلا بعضو و قدرة و إرادة و معرفة، و أن جميع ذلك من خلق اللّه عز و جل. و إذا خلق اللّه العضو و القدرة و سلّط الدواعى و صرّف الصوارف، كان حصول الفعل ضروريّا، و ليس للمضطر أن يتعجب بما يحصل منه اضطرارا، و هو مضطر إلى اختياره، فإنه لا يفعل إن شاء، و لكن إن يشأ اللّه، شاء أو لم يشأ، مهما خلقت فيه المشيئة، قال اللّه سبحانه و تعالى: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ [الإنسان: ۳۰، التكوير: ۲۹] فمفتاح العمل انجزام المشيئة و انصراف الدواعى الصارفة مع كمال القدرة و الأعضاء، و كل ذلك بيد اللّه تعالى. أ رأيت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فأعطاك إياه فأخذت منها أموالا. أتعجب بجوده إذا أعطاك المفتاح بغير استحقاق، أو بكمالك فى أخذه و أى كمال فى الأخذ بعد التمكّن؟

### فصل من العجائب أن يعجب العاقل بعلمه و عقله

[فصل من العجائب أن يعجب العاقل بعلمه و عقله] و من العجائب أن يعجب العاقل بعلمه و عقله، حتى يتعجب إن أفقره اللّه تعالى و أغنى بعض الجهال و يقول: كيف وسّع النعمة على الجاهل و حرمنى؟ فيقال له: كيف رزقك العلم و العقل و حرمهما الجاهل؟ فهذه عطية منه، أ فتجعلها سببا لاستحقاق عطية الاربعين فى اصول الدين، ص: ۹۹ أخرى؟ بل لو جمع لك بين العقل و الغنى و حرم الجاهل منهما جميعا كان ذلك أولى بالتعجب، و ما تعجب العاقل منه إلا كتعجب من أعطاه الملك فرسا و أعطى غيره غلاما، و يقول: كيف يعطى الغلام لفلان و لا فرس له، و يحرمنى و أنا صاحب الفرس؟ و إنما صار صاحب الفرس بعطائه، فيجعل عطاءه سببا لاستحقاق عطاء آخر، و هو عين الجهل، بل العاقل يكون أبدا تعجبه من فضل اللّه تعالى وجوده من حيث أعطاه العلم و العقل، و وفقه للعبادة من غير تقدم استحقاق منه، و حرم غيره ذلك و سلط عليه دواعى الفساد، و اضطره إليه بصرف دواعى الخير عنه، و ذلك بغير

جريمة سابقة منه. و إذا شاهد ذلك تحقيقا غلب عليه الخوف، إذ قد يقول: قد أنعم اللّه علىّ فى الدنيا من غير وسيلة، و خصّنى به دون غيرى، و من يفعل مثل هذا بغير سبب، فيوشك أن يعذب و يسلب النعم أيضا بغير جناية و سبب؛ فماذا أصنع إن كان ما أفاضه علىّ من النعم مكرا أو استدراجا بما فتحه؟ كما قال اللّه تعالى: فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً [الأنعام: ۴۴] و كما قال تعالى: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ [الأعراف: ۱۸۲].

## الأصل العاشر فى الرياء

### فصل

فصل حقيقة الرياء طلب المنزلة فى قلوب الناس بالعبادات و أعمال الخير. و ما يراءى به ستة أصناف: الأول: الرياء من جهة البدن: و هو إظهار النحول و الصغار ليظنّ به السهر و الصيام، و إظهار الحزن ليظن به أنه شديد الاهتمام بأمر الدين، و إظهار شعث الشعر ليظن به أنه لشدة استغراقه بالدين ليس يتفرّغ لنفسه، و إظهار ذبول «۱» الشفتين ليستدل به على صومه، و خفض الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة. الثانى: الرياء بالهيئة: كحلق الشارب و إطراق الرأس فى المشى، و الهدوء فى الحركة، و إبقاء أثر السجود على الوجه، و تغميض العينين ليظن به أنه فى الوجد و المكاشفة أو غائص فى الفكر. الثالث: الرياء فى الثياب: كلبس الصوف و الثوب الخشن و تقصيره إلى قريب من الساق، و تقصير الكمين و ترك الثوب مخرّقا و وسخا، ليظنّ أنه مستغرق الوقت عن الفراغ له، و لبس المرقّعة و السجادة، ليظنّ أنه من الصوفية مع إفلاسه عن حقائق التصوف، و لبس الدّراعة و الطيلسان «۲»، و توسيع الأكمام ليظن أنه عالم، و التقنّع فوق الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰۱ العمامة بإزار، و لبس الجوارب ليظنّ أنه متقشف لشدة ورعه من غبار الطريق. ثم منهم من يطلب المنزلة فى قلوب أهل الصلاح، فيلازم الثوب الخلق، و لو لبس ثوبا جديدا لكان عنده كالذبح، إذ يخاف أن يقول الناس قد بدا له من الزهد. و منهم من يطلب المنزلة من السلاطين و التجار، و لو لبس خلقان الثياب لازدروه، و لو لبس فاخر الثياب لم يعتقدوا زهده، فيطلب المرقعة المصبوغة و الفوطة الرقيقة، و الأصواف الرفيعة، فتكون ثيابهم فى القيمة و النفاسة كثياب الأغنياء، و فى اللون و الهيئة كثياب الصلحاء، و لو كلّفوا أن يلبسوا الخلق لكان عندهم كالذبح خيفة عن السقوط من أعين الأغنياء، و لو كلّفوا لبس الخزّ و القصبىّ و الديبقى و ما يباح لبسه، قيمته دون قيمة ثيابهم، لاشتد عليهم خوفا عن سقوط منزلتهم عن القلوب الصلحاء، إذ يقولون: بدا له من الزهد. الرابع: الرياء بالقول: كرياء أهل الوعظ و التذكير، و تحسين الألفاظ و تسجيعها، و النطق بالحكمة، و الأخبار، و كلام السلف، مع ترقيق الصوت و إظهار الحزن، مع الخلوّ عن حقيقة الصدق و الإخلاص فى الباطن، بل ليظنّ به ذلك، و كادّعاء حفظ الحديث و لقاء الشيوخ و المبادرة إلى الحديث أنه صحيح أو سقيم، ليظن به غزارة العلم. و كتحريك الشفتين بالذّكر، و الأمر بالمعروف بمشهد الناس مع خلوّ القلب عن التفجع بالمعصية. و كإظهار الغضب عن المنكرات و الأسف عن المعاصى مع خلوّ القلب عن التألم به. الخامس: الرياء بالعمل: كتطويل القيام و تحسين الركوع و السجود، و إطراق الرأس، و قلة الالتفات، و التصدّق، و الصوم، و الحج، و الإخبات «۱» فى المشى مع إرخاء الجفون، مع أن اللّه تعالى عالم أن باطنه لو كان خاليا لما فعل شيئا من ذلك، بل تساهل فى الصلاة و تسرّع فى المشى، و قد يفعل ذلك فى المشى «۲»، فإذا شعر باطلاع غيره عليه عاد إلى السكينة كى يظن به الخشوع. السادس: الرياء بكثرة التلامذة و الأصحاب و كثرة ذكر الشيوخ: ليظن أنه لقى شيوخا كثيرة، و كمن يحب أن يزوره العلماء و السلاطين ليقال إنه ممن يتبرّك به. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰۲ فهذه مجامع ما يراءى به فى الدين؛ و كل ذلك حرام، بل هو من الكبائر. و أما طلب المنزلة فى قلوب الناس بأفعال ليست من العبادات و أعمال الدين فليست بحرام، ما لم يكن فيه تلبيس كما ذكرناه فى طلب الجاه. فأهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة المال، و الغلمان، و حسن الثياب الفاخرة، و حفظ الأشعار، و علم الطب، و الحساب، و النحو، و اللغة، و غير ذلك من الأعمال و الأحوال. و لم يحرم ذلك ما لم ينته إلى الإيذاء بالتكبر و إلى أخلاق أخرى

مذمومة، و إنما استقصينا أقسام الرياء لأنه أغلب الأخلاق الذّميمة على النفوس، فمن لا يعرف الشرّ و مواقعه، لا يمكنه أن يتّقيه.

## فصل الرياء على درجات خبيثة

[فصل الرياء على درجات خبيثة] الرياء على درجات خبيثة: إحداها: أن لا يكون بالأمور الدينية و العبادات، كالذى يلبس عند الخروج ثيابا حسنة خلاف ما يلبسه فى الخلوة، و كالذى ينفق فى الضيافات و على الأغنياء أموالا، ليعتقد أنه سخى، لا ليعتقد أنه ورع صالح، فذلك ليس بحرام؛ فإنّ تملك القلوب كتملك الأموال. نعم، القليل منه صالح نافع، و الكثير منه يلهى عن ذكر اللّه، كالكثير من المال. و مهما انصرفت الهمة إلى سعة الجاه، فيجرّ ذلك إلى الغفلة و المعاصى، فيكون محذورا بذلك لا لنفسه، و أما إظهار الشمائل التى ذكرناها ليعتقد الناس فيه الدين و الورع فحرام لشيئين: أحدهما، أنه تلبيس إذا أراد أن يعتقد الناس أنه مخلص مطيع للّه محبّ، و هو بهذه النية فاسق ممقوت عند اللّه. و لو سلّم الرجل دراهم إلى جماعة يخيل إليهم أنه يجود عليهم بها، و إنما هى ديون لازمة، عصى لتلبيسه، و إن لم يطلب به أن يعتقد صلاحه لأن ملك القلوب بالتلبيس حرام. الثانى: أنه إذا قصد بعبادة اللّه خلق اللّه فهو مستهزىء، و من وقف بين يدى ملك فى معرض الخدمة و ليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك أو جارية من جواريه. فانظر ماذا يستحقه من النّكال لاستهزائه بالملك، فكأنه إذا قصد العباد بالعبادة فقد اعتقد أن عباد اللّه أقدر على نفعه و ضره من اللّه تعالى، إذ عظمة العباد فى قلبه دعته إلى أن يتجمل عندهم بعبادة اللّه، و لهذا سمى الرياء الشرك الأصغر، ثم يزداد الإثم بزيادة فساد القصد و النية. و من المرائين من لا يطلب إلا مجرد الجاه. و منهم من يطلب أن يودع الودائع الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰۳ و توقف عنده الأوقاف و مال الأيتام ليختزل منها، و ذلك أخبث لا محالة. و منهم من يرائى ليقصد إليه النساء و الصبيان، ليتمكن من الفجور، أو ليكثر عنده المال ليصرفه إلى الخمر و الملاهى، و هذا هو الأعظم، إذ جعل عبادة اللّه تعالى وسيلة إلى مخالفته، و العياذ باللّه.

## فصل يعظم بما به المراءاة و بقوة قصد الرياء

[فصل يعظم بما به المراءاة و بقوة قصد الرياء] كما يعظم الرياء و يتغلظ إثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه، فيعظم أيضا بما به المراءاة و بقوة قصد الرياء. أما ما به المراءاة فهى على ثلاث درجات: أغلظها أن يرائى بأصل الإيمان، كالمنافق يظهر أنه مسلم و ليس بمسلم بقلبه، و كالملحد و معتقد الإباحة يظهر أنه مستديم الإيمان و قد انسلّ منه باطنه. الثانية: الرياء بأصل العبادات، كمن يصلى و يخرج الزكاة بين يدى الناس، و اللّه يعلم من باطنه أنه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك. الثالثة: و هى أدناها، أن لا يرائى بالفرائض و يرائى بالنوافل، كالذى يكثر النافلة، و يحسن هيئة الفريضة، و يخرج الزكاة من أجود ماله، أو يتهجد أو يصوم يوم عرفة و عاشوراء، و اللّه يعلم من باطنه أنه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك؛ و هذا أيضا حرام، و إن كان لا ينتهى شدة العقوبة فيه إلى حدّ الرياء بالأصول. و أما تغليظه بدرجات القصد فهو أنه قد يتجرد قصد الرياء حتى يصلّى مثلا على غير طهارة لأجل الناس، أو يصوم و لو خلا بنفسه لأفطر، و قد يضاف إليه قصد العبادة أيضا، و له ثلاث أحوال: إحداها: أن تكون نية العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه، و لكن زاده رؤية غيره و مشاهدته نشاطا، و خف عليه العمل بسببه، فأرجو أن لا يحبط ذلك القدر عمله بل تصح عبادته و يثاب عليها، و يعاقب على قصد الرياء أو ينقص من ثوابه. الثانية: أن يكون قصد العبادة ضعيفا بحيث لو انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة؛ فهذا لا تصح عبادته، و القصد الضعيف لا ينفى عنه شدة المقت. الثالثة: أن يتساوى القصدان بحيث لا يستقلّ كلّ واحد بالحمل لو انفرد، أو لا ينبعث للفعل بأحدهما بل بمجموعهما. فهذا قد أصلح شيئا و أفسد مثله، فالغالب أنه لا يسلّم رأسا برأس، و يحتمل أن يقال إذا تساوى القصدان، فأحدهما كفّارة للآخر؛ و قوله تعالى: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» يدل على أنه لا يقبله و لا يثيبه عليه. أما إنه يعاقبه عليه ففيه نظر، فالأغلب عندى- و العلم عند اللّه- أنه لا يخلو عن إثم و عقاب. الاربعين فى اصول الدين، ص:

۱۰۴

## فصل

فصل اعلم أن بعض الرياء جلىّ، و بعضه أخفى من دبيب النمل. أما الجلىّ، فما يبعث على العمل، حتى لولاه لم يرغب فى العمل، و أخفى منه أن لا يستقل بالحمل عليه، و لكن يخفف العمل و يزيد فى نشاطه، كالذى يتهجد كل ليلة و إذا كان عنده ضيف زاد نشاطه؛ و أخفى منه أن لا يزيد نشاطه، و لكن لو اطّلع غيره على تهجده قبل فراغه أو بعده فرح به و وجد فى نفسه هزّة، و ذلك يدل على أن الرياء كان مستكنّا فى باطن القلب استكنان النار تحت الرماد حتى ترشّح منه السرور عند الاطلاع، و قد كان غافلا عنه قبله، و أخفى منه أن لا يسر بالاطلاع، لكن يتوقع أن يبدأ بالسلام و يوقر، و يتعجب ممن يسىء إليه و لا يسامحه فى المعاملة، و لا يحترمه، و ذلك يدل على أنه يمنّ على الناس بعمله، فكأنه يتوقع احترامهم و توقيرهم بعبادته مع إخفائه عنهم. و أمثال هذه الخفايا لا يخلو عنها إلا الصدّيقون، و جميع ذلك إثم، و يخاف منه إحباط العمل. نعم، لا بأس أن يفرح باطلاع غيره عليه إذا كان فرحه باللّه تعالى من حيث أظهر منه الجميل، و ستر منه القبيح، مع أنه قصد سترهما جميعا، فيفرح بلطف صنع اللّه تعالى؛ و كذلك يفرح لأنه يبشره بأنه حيث أحسن صنعه به فى الدنيا، فكذلك يصنع به فى الآخرة. أو يفرح ليقتدى به من يراه أو يطيع اللّه بحمده له عليه. و علامة هذا أن يفرح أيضا، إذا اطلع على غيره ممن يرتجى قدوته. و من أجل خفاء أبواب الرياء و شدة استيلائه على الباطن احترز أولو الحزم فأخفوا عبادتهم، و جاهدوا أنفسهم. و قد قال علىّ- رضى اللّه عنه-: إن اللّه عز و جل يقول للقراء يوم القيامة، «أ لم يكن يرخّص عليكم فى السعر، أو لم تكونوا تبدؤون بالسلام، أ لم تكن تقضى لكم الحوائج؟ لا أجر لكم فقد استوفيتم أجوركم». فاجتهد إن أردت الخلاص أن يكون الناس عندك كالبهايم و الصبيان. فلا تفرق فى عبادتك بين وجودهم و عدمهم، و علمهم بها أو غفلتهم عنها، و تقنع بعلم اللّه تعالى وحده، و تطلب الأجر منه، فإنه لا يقبل إلا الخالص كى لا تحرم من فائدته فى أحوج أوقاتك إليه.

## فصل ما أقدر على انفكاك الرياء الخفىّ

[فصل ما أقدر على انفكاك الرياء الخفىّ] لعلك تقول ما أقدر على انفكاك الرياء الخفىّ كما وصفته، و إن قدرت على الرياء الجلى، فهل تنعقد عبادتى مع ذلك؟ الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰۵ فاعلم أن وارد الرياء لا يخلو إما أن يرد مع أول العمل، أو فى دوامه، أو بعد الفراغ منه. أما ما يقارن الابتداء فيبطله و يمنع انعقاده إن صار باعثا مؤثرا فى الحمل على العمل، بل أول العقد يجب أن يكون خالصا، و إنما يبطل بالرياء الباعث على أصل العمل. و أما إذا لم يحمل إلا على المبادرة فى أول الوقت مثلا، فأظن- و العلم عند اللّه تعالى- أن أصل الصلاة يصح، و إنما تفوته فضيلة المبادرة، و يعصى بقصد المراءاة به، و لكن يقصد الفرض عنه. و أما ما يرد فى دوام الصلاة- إن أبطل باعث الصلاة- فتبطل الصلاة؛ مثاله: أن يحضر فى أثناء الصلاة أوطاره. أو يتذكر نسيان شىء، و لو خلا لقطع الصلاة، لكنه أتمّ حياء من الناس، فهذا لا يسقط الفرض عنه، لأن النية قد انقطعت و انقطع باعث العبادة؛ و أما إذا لم تنقطع نيته، لكن صار مغلوبا مغمورا كما لو حضر قوم فغلب على قلبه الفرح بإطلاعهم، و انغمر باعث العبادة، فغالب الظن أنه إن انقضى ركن و لم يعاوده الباعث الأصلى فسدت صلاته؛ لأنّا نستصحب نية البداية بشرط أن لا يطرأ ما لو قارن ابتداءها لمنع. و إن لم ينغمر باعث العبادة، و لكن حصل مجرد سرور و لم يؤثر فى العمل، بل فى تحسين الصلاة فقط، فغالب الظن أن الصلاة لا تفسد و يتأدّى الفرض. و أما ما يطرأ بعد الصلاة من ذكر و سرور و مراءاة فلا ينعطف على ما مضى و لكن يعصى به و يأثم، و يكون عقابه بقدر قصده و إظهاره. و مهما ظهرت له داعية ذكر العبادة إما بالتصريح و إما بالتعريض، فذلك يدل على أن الرياء كان خفيّا فى باطنه.

## فصل فى دفع الأسباب الباعثة عليه و هى ثلاث: حب المدح، و خوف الذم، و الطمع

## فصل علاج الريا

[فصل علاج الريا] لعلك تقول إنى قرّرت هذا كله فى نفسى، و نفر عن الرياء قلبى، و لكن ربما هجم علىّ وارد الرياء بغتة فى بعض العبادات عند اطّلاع الخلق، فما العلاج منه عند هجومه؟ فاعلم أن أصل هذا العلاج، أن تخفى عبادتك كما تخفى فواحشك، ففيه السلامة. روى أن بعض أصحاب أبى حفص الحداد ذمّ الدنيا و أهلها فقال له: أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه، لا تجالسنا بعد هذا. و إخفاء العبادة، إنما يشق فى البداية، فإذا صار عادة ألف الطبع لذة المناجاة فى الخلوة. و مهما هجم وارد الرياء فعلاجه أن تجدّد على قلبك ما رسخ فيه من قبل من المعرفة بالتعرض لمقت اللّه عز و جل، مع عجز الناس عن منفعتك و مضرّتك، حتى تنبعث منه كراهية لداعية الرياء. ثم الشهوة تدعو إلى إجابة الرياء بتحسين العمل و الفرح به، و الكراهية تدعو إلى رده و الإعراض عنه، و تكون اليد للأقوى. فإن قويت الكراهية حتى منعتك من الركون إليه، و استصحبت الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰۷ حالتك التى كنت عليها، فلم تزد و لم تنقص و لم تتكلف إظهار الفعل و إيثاره، فقد اندفع عنك الإثم و لم تكلف أكثر من ذلك. و أما دفع الخواطر و دفع الطبع عن الميل إلى أقوال الناس، فلا يدخل تحت التكليف، و إنما منتهى التكليف الكراهية و الإباء عن إجابة الداعية.

## فصل يجوز إظهار الطاعات لأجل اقتداء الناس و ترغيبهم إذا صحت النية

[فصل يجوز إظهار الطاعات لأجل اقتداء الناس و ترغيبهم إذا صحت النية] يجوز إظهار الطاعات لأجل اقتداء الناس و ترغيبهم إذا صحت النية، و لم يكن معه شهوة خفية، و علامته أن يقدّر أن الناس لو اقتدوا بأحد أقرانه و كفى مؤونة الترغيب، و أخبر بأن أجره فى الإسرار كأجره فى الإظهار فلا يرغب فى الإظهار؛ فإن كان ميله إلى أن يكون هو المقتدى به أكثر، ففيه داعية الرياء، لأنه إن كان يطلب سعادة الناس و خلاصهم، فقد حصل ذلك بغيره و لم يفته إلا إظهار نفسه. و كذلك يجوز كتمان المعاصى و الذنوب، و لكن بشرط أن يكون غرضه أن لا يعتقد فيه الورع، بل لا يعتقد فيه الفسق، و لا بأس بفرحه باستتار معاصيه، و حزنه بانكشافها، إما فرحا بستر اللّه عليه، و إما فرحا بموافقة أمر اللّه تعالى، فإنه تعالى يحب كتمان المعاصى، و ينهى عن المجاهرة بها. و إما لأنه يكره أن يذم فيتألم به، إذ التألم بذم الناس ليس بحرام بل يوجبه الطبع، و إنما الحرام الفرح بمدح الناس إياه بالعبادة؛ فإن ذلك كأجر يأخذه على العبادة. و إما لأنه يستحى من ظهورها، و الحياء غير الرياء، و لكن قد يمتزج به. و أما ترك الطاعة خوفا من الرياء فلا وجه له. قال الفضيل: الرياء ترك العمل خوفا من الرياء، أما العمل لأجل الناس فهو شرك، بل ينبغى أن يعمل و يخلص، إلا إذا كان العمل فيما يتعلق بالخلق كالقضاء و الإمامة و الوعظ. فإذا علم من نفسه أنه بعد الخوض فيه لا يملك نفسه، بل يميل إلى دواعى الهوى، فيجب عليه الإعراض و الهرب، كذلك فعل جماعة من السلف. و أما الصلاة و الصدقة فلا يتركهما إلا إذا لم تحضره أصلانية العبادة. بل لو تجرّد نية الرياء فلا يصح عمله فليتركه «۱». أما من اعتاد فعله فحضر جماعة فيخاف على نفسه من الرياء، فلا الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰۸ ينبغى أن يتركه بل ينبغى أن يستمر على عبادته و يجتهد فى دفع باعث الرياء.

## خاتمة فى مجامع الأخلاق و مواقع الغرور فيها

خاتمة فى مجامع الأخلاق و مواقع الغرور فيها: اعلم ان الأخلاق المذمومة كثيرة، و لكن ترجع أصولها إلى ما ذكرناه. و لا يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تتزكى عن جميعها. و لو تركت واحدا منها غالبا عليك، فذلك يدعوك إلى البقية، لأن بعض هذه يرتبط بالبعض، و يتقاضى بعض الأخلاق الذميمة بعضا، و لا ينجو إلا من أتى اللّه بقلب سليم، و السلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الأمراض، بل إنما تنال بالصحة المطلقة، كما أنّ الحسن لا يحصل بحسن بعض الأعضاء ما لم يحسن جميع الأطراف، و النجاة فى حسن الخلق. قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن»، و قد قال النبى عليه السلام: «بعثت لأتمم مكارم

الأخلاق». و قيل له: ما الدين؟ قال عليه السلام: «الخلق الحسن»، و قال عليه السلام: «حسن الخلق خلق اللّه تعالى». و قال عليه السلام: «أفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا». و قد كثرت الأقاويل فى حقيقته و بيان حدّه؛ و الأكثرون تعرضوا لبعض ثمراته، و لم يحيطوا بجميع تفصيله؛ و الذى يطلعك على حقيقته، أن تعلم أن الخلق و الخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، و بالخلق الصورة الباطنة، و ذلك لأن الإنسان مركّب من جسد يدرك بالبصر، و من روح و نفس يدرك بالبصيرة لا بالبصر، و لكل واحد منهما هيئة، إما قبيحة و إما حسنة. و النفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا، و لذلك أضافه اللّه عز و جل إلى نفسه، و أضاف البدن إلى الطين، فقال: إِنِّى خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى [ص: ۷۱، ۷۲]، و وصف الروح بأنه أمر ربانى فقال: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [الإسراء: ۸۵]، و أعنى بالرّوح و النفس هاهنا معنى واحدا و هو الجوهر العارف المدرك من الإنسان بإلهام اللّه تعالى، كما قال: وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها [الشمس: ۷- ۱۰]، و كما أن للحسن الظاهر أركانا كالعين و الأنف و الفم و الخد- و لا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها- فكذلك الصورة الباطنة لها أركان لا بدّ من حسن جميعها حتى يحسن الخلق، و هى أربعة معان: قوة العلم، و قوة الغضب، و قوة الشهوة، و قوة العدل، بين هذه القوى الأربع؛ فإذا استوت هذه الأركان الأربعة، و اعتدلت، و تناسقت، حصل حسن الخلق. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۰۹ أما قوّة العلم، فاعتدالها و حسنها أن تصير بحيث يدرك بها الفرق بين الصدق و الكذب فى الأقوال، و بين الحق و الباطل فى الاعتقادات، و بين الجميل و القبيح فى الأعمال. فإذا انحصلت هذه القوة كذلك، حصلت منها ثمرة الحكمة، و هى رأس الفضائل؛ قال اللّه عز و جل: وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً، وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ [البقرة: ۲۶۹]. و أما قوة الغضب فاعتدالها أن يحصل انقباضها و انبساطها على موجب إشارة الحكمة و الشرع، و كذلك قوة الشهوة. و أما قوة العدل فهى فى ضبط قوة الغضب. و قوة الشهوة تحت إشارة الدين و العقل، فالعقل منزلته منزلة الناصح، و قوة العدل هى القدرة، و منزلتها منزلة المنفذ الممضى لإشارة العقل، و الغضب و الشهوة، و هما اللذان تنفّذ بهما الإشارة، و هما كالكلب و الفرس للصياد. فإن حسن بعض هذه دون بعض، كان كما لو حسن بعض أعضاء الوجه، فلا يطلق اسم الحسن له إلا إذا حسن الجميع و اعتدل، فإذا حسنت و اعتدلت انشعب منه جميع الأخلاق. و أما قوة الغضب، فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة، و اللّه تعالى يحب الشجاعة، و إن مالت إلى طرف الزيادة سميت تهوّرا، و إن مالت إلى النقصان تسمّى جبنا. و يتشعب من اعتدالها: خلق الكرم، و النجدة، و الشهامة، و الحلم، و الثبات، و كظم الغيظ، و الوقار، و التّؤدة. و أما إفراطها فيحصل منه: خلق التهوّر، و الصّلف، و البذخ، و الاستشاطة، و الكبر، و العجب. و أما تفريطها فيحصل منه: الجبن، و المهانة، و الذلة، و الخساسة، و عدم الغيرة، و ضعف الحمية على الأهل، و صغر النفس. و أما الشهوة، فيعبر عن اعتدالها بالعفة، و عن إفراطها بالشّره، و عن تفريطها و ضعفها بالخمود، فيصدر من العفة: السخاء، و الحياء، و الصبر، و السماحة، و القناعة، و الورع، و المساعدة، و الظرف، و قلة الطمع. و يصدر عن إفراطها: الحرص، و الشره، و الوقاحة، و التبذير، و التقتير، و الرياء، و الهتكة، و المجانة، و الملق، و الحسد، و الشماتة، و التذلل للأغنياء، و استحقار الفقراء، و غير ذلك. و أما قوة العقل، فيصدر من اعتدالها: حسن التدبير، و جودة الذهن، و ثقابة الرأى، و إصابة الظن، و التفطن لدقائق الأعمال و خفايا آفات النفس. و أما إفراطها فيحصل منه: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۰ الجربزة «۱»، و الدهاء، و المكر، و الخداع. و يحصل من تفريطها و ضعفها: البله، و الحمق، و الغمارة «۲»، و البلادة، و الانخداع. فهذه هى روابط الأخلاق؛ و إنما معنى حسن الخلق فى الجميع وسط بين الإفراط و التفريط، فخير الأمور أوسطها. و كلا طرفى قصد الأمور ذميم، و لذلك قال عز و جل: وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ [الإسراء: ۲۹]، و قال تعالى: وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً [الفرقان: ۶۷]، و قال تعالى: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ [الفتح: ۲۹]. و مهما مال واحد من هذه الجملة إلى الإفراط و التفريط فبعد لم يكمل حسن الخلق.

### فصل طريق إصلاح هذه الأخلاق كلها المجاهدة و الرياضة

[فصل طريق إصلاح هذه الأخلاق كلها المجاهدة و الرياضة] طريق إصلاح هذه الأخلاق كلها المجاهدة و الرياضة. و معنى المجاهدة أن يكلّف الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها فتعمل بنقيض موجبها، فإن غلب البخل فلا تزال تتكلف البذل بالمجهود، و تداوم عليه مرة بعد أخرى، حتى يسهل عليك البذل فى محله؛ فإن غلب التبذير فلا تزال تتكلف الإمساك حتى يصير عادة فيسهل عليك الإمساك فى محله. و كذلك فى خلق الكبر و سائر الأخلاق، و قد ذكرناه فى كتاب رياضة النفوس على التفصيل. و ينبغى أن تعلم أن من يبذل تكلّفا فليس بسخىّ، و أن من يتواضع تكلفا فهو ثقيل على نفسه، و هو عاطل عن خلق التواضع، بل الخلق عبارة عن هيئة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة من غير رويّة و تكلف. لكن التكلف هو طريق تحصيل الخلق، فإنه لا يزال يتكلف أوّلا حتى يصير طبعا و عادة. فيفهم من هذا أن البخيل قد يبذل و أن السخىّ قد يمسك. فلا تنظر إلى الفعل بل إلى الهيئة الراسخة التى تصدر منها الأفعال بيسر من غير تكلف. و اعلم أن تفاوت الناس فى الحسن الباطن، كتفاوتهم فى الحسن الظاهر، و لن يسلم الحسن المطلق إلا على الندور، و إنما سلم ذلك لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حتى أثنى اللّه سبحانه عليه فقال: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ۴]. و ليست النجاة موقوفة على الكمال البالغ لكن على أن يكون الميل إلى الحسن أكثر، فإن القبيح الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۱ المطلق فى الظاهر ممقوت، و الحسن المطلق معشوق، و ما بينهما درجات، فالقريب من الحسن المطلق أسعد فى الدنيا من القريب إلى القبح المطلق. و كذلك تتفاوت سعادة الآخرة بحسب تفاوت حسن الصورة الباطنة.

## فصل

فصل اعلم أنك قد تظن بنفسك حسن الخلق و أنت عاطل عنه، فإياك أن تغتر، و ينبغى ان تحكّم فيه غيرك فتسأل عنه صديقا بصيرا لا يداهنك. و بالجملة إذا نسبك غيرك إلى سوء الخلق أوشك أن تكون كذلك؛ لأن أكثر الأخلاق يتعلق بالغير فينبغى أن تظهر لهم. و من مواقع الغرور فيه مثلا- أن تغضب فتظن أنك تغضب اللّه تعالى، و تظهر العبادة و تظن أنك تظهر للاقتداء، أو تكف عن الأكل أو طلب الدنيا أو تكظم الغيظ. و إنما يهون عليك ذلك أن تعرف به فيكون الرياء الباعث على الجميع. و كذلك يكثر مواقع الغرور فيه على ما ذكرناه فى كتاب الغرور؛ فإن هذا الكتاب لا يحتمل استقصاءه.

## فصل

فصل ينبغى أن تتفقد هذه الأخلاق فى قلبك، و تبدأ بالأهم فالأهم، فتقبل على أغلب هذه الصفات فتكسرها على التدريج. و أظن أن الأغلب عليك حبّ الدنيا، و سائر المعاصى و الأخلاق المذمومة تتبعها. و لا يمكنك الخلاص من حب الدنيا إلا بأن تطلب خلوة خالية، و تتفكر فى سبب إقبالك على الدنيا و إعراضك عن الآخرة، فلا تجد له سببا إلا محض الجهل و الغفلة، فإن أقصى عمرك فى الدنيا مائة سنة. فهب أن مملكة وجه الأرض تسلم لك من المشرق إلى المغرب فى مائة سنة، أ ليس يفوتك بها المملكة فى مدة لا آخر لها و هى مملكة الآخرة؟ فإن كان لا يدخل فى خيالك طول الأبد، فقدّر الدنيا كلّها مملوءة ذرة، فقدّر طائرا يأخذ فى كلّ ألف ألف سنة حبة واحدة فتفنى الذرة و لم ينقص من الأبد شىء، لأن الباقى أيضا لا نهاية له كما كان قبل ذلك. و أنت ترى نفسك ترضى بتعب الأسفار إمّا فى تجارة أو طلب رئاسة، و هذا التعب الناجذ «۱» لأجل شىء موهوم ربما يدركك الموت قبله، و ربما لا يصفو لك إن ظفرت به؛ و إنما ترضى الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۲ بذلك لأنك تستحقر التعب سنة مثلا بالإضافة إلى بقية العمر، و جملة عمرك بالإضافة إلى الأبد أقلّ من سنة بالإضافة إلى عمرك، بل لا إضافة بينهما، فتفكر فيه لينكشف لك جهلك على القرب. و لعلك تقول إنما أفعل ذلك على توقع العفو، فإن اللّه تعالى كريم رحيم. فأقول: و لم لا تترك الحراثة و التجارة و طلب المال على توقع العثور على كنز فى خراب، فإن اللّه كريم لا ينقص من ملكه شىء لو عرّفك فى منامك كنزا من الكنوز حتى تأخذه؟ فإن قلت: ذلك نادر و إن كان داخلا فى قدرة اللّه تعالى. فاعلم أن توقع العفو مع خراب الأعمال و الأخلاق كتوقع كنز فى خراب بل

أبعد منه و أندر؛ و قد نبهك اللّه تعالى عليه و قال: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى [النجم: ۳۹]، و قال اللّه تعالى: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ [ص: ۲۸] الآيـة. و رغبك عن طلب المال فقال اللّه تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها [هود: ۶]. فما بالك تكـذّب بكرمه فى الـدنيا و لا تتكل عليه، ثم تخدع نفسك بالكرم فى الآخرة و أنت تعلم أن رب الدنيا و الآخرة واحد؟

## فصل

فصل لعلك تقول: عواقب أمور الـدنيا قـد انكشـفت لى بالعيان و اطمأن قلبى إليها، و أما أمر الآخرة فلم أشاهده و لست أجد تصديقه الحقيقى فى قلبى؛ فلـذلك فترت رغبتى فى ترك الـدنيا نقـدا بمـا هو موعود نسيئة و لست أثق به. فـأقول: لو كنت من أرباب البصائر لانكشف لك أمر الآخرة صـريحا كما انكشف أمر الـدنيا؛ و إذا لم تكن من أهله فتفكر فى أقاويل أرباب البصائر، فإن الناس فى أمر الآخرة أربعـة أصـناف: صـنف أثبتوا الجنـة و النار كما ورد به القرآن، و قـد سـمعت أنواع نعيمها و أنكال جحيمها. و صـنف لم يثبتوا اللّـذات و الآلام الحسـية بل أثبتوهما على سبيل التخيل، كما فى المنام، حتى يكون كل واحـد فى جنة أو نار يراها وحده، و زعموا أن تـأثير ذلـك فيه كتأثير الحقيقـة، لأن تألم النائم كتألم اليقظان، و إنما يخلص عنه بالتنبه، و ذلك فى الآخرة دائم لا انقطاع له. الاربعين فى اصـول الـدين، ص: ۱۱۳ و صـنف ثـالث أثبتـوا آلامـا عقليـة و لـذات عقليـة، و زعمـوا أن ذلـك أعظم من الحسـية، و مثلوا ذلك باستشـعار لـذة الملـك و استشـعار زوالهـا؛ فإن زوال الملك يؤرث «۱» آلامـا كـثيرة بدنيـة على مـا يظفر به عـدوه و يأخـذ مملكته و يستسـخره، مع أن ظفر العـدوّ لا يؤلم البـدن. و هؤلاء هم أصـناف النظّار، أعنى الأصـناف الثلاثة، و هم الأنبياء و الأولياء و الحكماء، و كلّهم اتفقوا على إثبات سـعادة مؤبدة و شـقاوة مؤبدة. فإن السعادة لا تنال إلا بترك الدنيا و الإقبال على اللّه عزّ و جلّ، و لو مرضت و لم تكن من أهل البصـيرة فى طب و رأيت أفاضل الأطباء قد اتفقوا على شىء لم تتوقف فى اتباعهم. و صنف رابع ليسوا من النظّار فى الأمـور الإلهيـة، بـل من الأطبـاء و المنجمين اقتصـر نظرهم على الطبـائع الأربع و مزاجها، و رأوا قوام الروح موقوفا عليها، و لم يتفطنوا لحقيقـة الرّوح الإلهىّ الحقيقى الذى هو العارف باللّه تعالى، بل لم يدركوا إلا الروح الجسـمانى الذى هو بخار أنضـجته حرارة القلب، ينتشـر فى العروق الضوارب إلى جميع البـدن، فيقوم به الحس و الحركـة، و هى الروح التى توجـد للبهـائم أيضـا. فأمـا الروح الخـاص الإنسانى المنسوب إلى اللّه سبحانه، حيث قال: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر: ۲۹، ص: ۷۲]، فلم يتفطنوا لها، فظنوا أن الموت عدم، و أنه يرجع إلى فسـاد المزاج. و أنت فى حق هؤلاء بين أمرين: إمـا أن تجوّز غلطهم، أو تعلم قطعـا صـحة قولهم؛ فـإن جوّزت خطـأهم لزمك الإعراض عن الـدنيا بمجرد الاحتمال، فإنك لو كنت صادق الجوع و ظفرت بطعام و هممت بأكله، فأخبرك صبى أن فيه سـمّا و أن حيـة و لغت فيه، قاسـيت الجوع و تركت الأكـل، لأنـك تقول: إن كان كاذبا فليس تفوتنى إلّا لـذة الأكل، و إن كان صادقا ففيه الهلاـك؛ و بمثـل هـذا الاحتمـال لاـ يمكن الهجوم عليه. فليت شـعرى مع احتمال الخلود فى النار كيف يسـتجرئ العاقل الهجوم عليه، فكيف لاـ يكون كـاليقين التـام فى الحـذر منه، حتى تنبه الشاعر عليه مع ركاكـة عقله فقال: الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۱۴ زعم المنجم و الطبيب كلاهما لا تحشر الأموات قلت إليكما إن صحّ قولكما فلست بخاسر إن «۱» صحّ قولى فالخسار عليكما فإن قلت: إنى أعلم ضـرورة صـدق هؤلاـء، فـإن الموت عـدم و أنه لاـ عقـاب و لاـ ثواب، فـإن الأنبيـاء و الأوليـاء مغرورون أو ملبّسون، و إنما الـذى انكشـفت له حقيقـة الحق هو هذا الطبيب الجاهل، و زعمت أنى أعلم ذلك كما أعلم أن الاثنين أكثر من الواحد حتى لا يخالجنى فيه ريب، فيـدل هـذا على فساد المزاج و ركاكة العقل و البعد عن قبول العلاج. و لكن مع هذا يقال لك: إن كنت تطلب الراحة فى الدنيا فقد يتقاضاك عقلك أيضا مجاهدة الشـهوات و كسـرها؛ فإن الراحة فى الحرية، و الخلاص فى كسر الشهوات لا فى اتباعها، فإنها إذا سلطت على النفس فهى آلام ناجزة تحمل النفس على احتمال كل ذلّ و مشقة، و ما المستريح فى الدنيا إلا تاركها و الزاهد فيها، و أما طالبها فلا يزال منها فى عناء. فالمعطل أيضا- إن عقل قليلا- ترك الدنيا لكثرة عنائها و سـرعة فنائها و خسة شـركائها. فإن لم تكن فى

أمر الآخرة على تخمين، و لا من مشاهدة آفات الدنيا على يقين، فما أنت إلا من الحمقى المغرورين، و لتعلمنّ نبأه بعد حين، و لذلك قال اللّه تعالى: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر: ۳]. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۵

## القسم الرابع فى الأخلاق المحمودة و هى أيضا عشرة أصول

### الأصل الأول التوبة

#### فصل فى حقيقة التوبة

[فصل فى حقيقة التوبة] حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد إلى طريق القرب، و لكن لها ركن و مبدأ و كمال: أما مبدؤها فهو الإيمان، و معناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتّضح فيه أن الذنوب سموم مهلكة، فيشتعل منه نار الخوف و الندم، و ينبعث من هذه النار صدق الرغبة فى التلافى و الحذر. أما فى الحال فبترك الذنوب، و أما فى الاستقبال فبالعزم على الترك، و أما فى الماضى فبالتلافى على حسب الإمكان؛ و بذلك يحصل الكمال. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۶

#### فصل فى وجوب التوبة على كل احد

[فصل فى وجوب التوبة على كل احد] إذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك أنها واجبة على كل أحد، و فى كل حال؛ و لذلك قال اللّه تعالى: وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً [النور: ۳۱]، فخاطب الجميع مطلقا. أما وجوبها فلأن معناها معرفة كون الذنوب مهلكة، و الانبعاث لتركها، و هو جزء من الإيمان، أعنى هذه المعرفة، فكيف لا تجب؟ و أما وجوبها على كل واحد فهو أن الإنسان مركب من صفات بهيمية و سبعيّة و شيطانية و ربوبية، حتى يصدر من البهيمية الشهوة و الشره و الفجور، و من السّبعية الغضب و الحسد و العداوة و البغضاء، و من الشيطانية المكر و الحيلة و الخداع، و من الربوبية الكبر و العز و حب المدح و الاستيلاء. و أصول هذه الأخلاق هذه الأربع، و قد عجنت فى طينة الإنسان عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها، و إنما ينجو من ظلماتها بنور الإيمان المستفاد من العقل و الشرع. فأول ما يخلق فى الآدمى البهيمية فيغلب عليه الشّره و الشهوة فى الصبا، ثم يخلق فيه السّبعية فيغلب عليه المعاداة و المنافسة، ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر و الخداع، إذ تدعوه السبعية و البهيمية إلى أن يستعمل كياسته فى حيل قضاء الشهوة و تنفيذ الغضب. ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية، و هو الكبر و الاستيلاء و طلب العلو. ثم بعد ذلك يخلق العقل الذى يظهر فيه نور الإيمان و هو من حزب اللّه و جنود الملائكة. و تلك الصفات من جنود الشيطان. و جنود العقل يكمل عند الأربعين، و يبدو أصله عند البلوغ. و أما سائر جنود الشيطان يكون قد سبق إلى القلب قبل البلوغ، و استولى عليه و ألفته النفس، و استرسلت فى الشهوات متابعة لها، إلى أن يرد نور العقل فيقوم القتال و التطارد بينهما فى معركة القلب. فإن ضعف جند العقل و نور الإيمان لم يقو على إزعاج جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان مستقرة آخرا كما سبق إلى النزول أولا، و قد سلم للشيطان مملكة القلب. و هذا القتال ضرورى فى فطرة الآدمى، إذ لا يتّسع له خلقة الولد لما لا يتسع له خلقة الأب؛ و إنما حكى لك حال آدم صلوات اللّه عليه لتتنبّه به أن ذلك كان مكتوبا عليه، و هو مكتوب على جميع أولاده فى القضاء الأزلى الذى لا يقبل التبديل؛ فإذا لا يستغنى أحد عن التوبة.

#### فصل

فصل و أما وجوبها فى كل حال، فلأن الإنسان لا يخلو فى جميع أحواله عن ذنب فى جوارحه أو فى قلبه، و لا يخلو عن خلق من الأخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۷ فإنه مبعد عن اللّه، و الاشتغال بإماطته توبة، لأنه رجوع عن طريق البعد إلى طريق القرب. فإن خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن اللّه، و ذلك أيضا طريق البعد. و يلزمه

الرجوع عنه بالذكر، و لذلك قال اللّه تعالى: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ [الكهف: ۲۴]، و إن كان حاضرا على الدوام؛ و أنّى يتصور ذلك؟ فلا يخلو عن ملازمة مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراءه، و عليه أن يترقى منه إلى ما فوقه؛ و مهما ترقى منه استغفر عن مقامه الذى خلّفه، لأنه تقصير بالإضافة إلى ما أدركه؛ و ذلك لا نهاية له، فذلك قال عليه السلام: «و إنه ليغان «۱» على قلبى حتى أستغفر اللّه تعالى فى اليوم و الليلة سبعين مرة». و كل ذلك كان توبة منه؛ إلا أن توبة العوام عن الذنوب الظاهرة، و توبة الصالحين عن الأخلاق الذميمة الباطنة، و توبة المتقين عن مواقع الريبة، و توبة المحبين عن الغفلة المنسية للذكر، و توبة العارفين عن الوقوف على مقام يتصور أن يكون وراءه مقام: و المقامات فى القرب من اللّه لا نهاية لها، فتوبة العارف لا نهاية لها أيضا.

## فصل فى ان علاج التوبة حل عقدة الاصرار

[فصل فى ان علاج التوبة حل عقدة الاصرار] التوبة إذا اجتمعت شرائطها، فهى مقبولة لا محالة. و لا يخفى عليك ذلك إن فهمت معنى القبول؛ فمعنى القبول: أن يحصل فى قلبك استعداد القبول لتجلى أنوار المعرفة فى القلب، و إنما قلبك كالمرآة يحجبه عن التجلى كدورات الشهوة و الرغبة فيها، و يرتفع من كل ذنب ظلمة إليه، و من كل حسنة نور إليه، فالحسنات تصقل النفس، و لذلك قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «أتبع السيئة الحسنة تمحها». و نسبة التوبة إلى القلب نسبة الصابون إلى الثوب، و لا بد أن يزول منه الوسخ إذا استعمل فيه على وجهه. و من تاب فإنما يشك فى قبول التوبة لأنه ليس يستيقن تمام شروطها، كما أن من شرب المسهل لا يستيقن حصول الإسهال به لأنه لا يدرى وجود تمام الشرائط فى أدويتها، و لو تصور أن يعلم ذلك، لتصوّر أن يعلم القبول فى حق الشخص المعين. و لكن هذا الشك فى الأعيان لا يشكّكنا فى أنّ التوبة فى نفسها بطريق القبول لا محالة.

## فصل

فصل علاج التوبة حل عقدة الإصرار، فإنه لا مانع منها سوى الإصرار، و لا حامل عليه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۸ سوى الغفلة و الشهوة؛ و ذلك مرض فى القلب، و علاجه كعلاج أمراض البدن. لكن هذا المرض أكثر من مرض الأبدان لثلاثة أسباب: أحدها: أنه من مرض لا يعرف صاحبه أنه مريض، و هو كبرص على وجه من لا مرآة له، فإنه لا يعالجه لأنه لا يعرفه، و لو أخبره غيره ربما لم يصدقه. الثانى: أن عاقبة هذا المرض لم يشاهدها الإنسان و لم يجرّبها، فلذلك تراه يتكل على عفو اللّه و يجتهد فى علاج مرض البدن غاية الجهد. الثالث: و هو الداء العضال فقد الأطباء؛ فإن الطبيب هو العالم العامل. و قد مرض العلماء فى هذه الأعصار مرضا عسر عليهم علاج أنفسهم، لأن الداء المهلك هو حب الدنيا، و قد غلب ذلك على العلماء، و اضطرّوا إلى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا تنكشف فضيحتهم، فافتضحوا لمّا اصطلحوا على الإقبال على الدنيا و التجاذب لها و التكالب عليها. فبهذا السبب عم الداء و انقطع الدواء، و اشتغل الأطباء بفنون الإغواء، فليتهم إذا لم يصلحوا لم يفسدوا، و ليتهم سكتوا و ما نطقوا، بل صار كل واحد كأنه صخرة فى فم الوادى، لا هى تشرب و لا تترك الماء ليشرب به غيرها. و جملة القول فى علاجه أن تنظر فى سبب الإصرار و هو يرجع إلى خمسة أبواب: أولها: أن العقاب الموعود ليس بنقد، و الطبع يستهين بما لا يوجد محققا فى الحال. و علاجه أن تتفكر لتعلم أن كلّ ما هو آت قريب، و أن البعيد ما ليس بآت، و أن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله؛ فما يدريه لعله فى آخر أيامه، أو فى آخر سنة من عمره، ثم يتفكر أنه كيف يتعب فى الأسفار فيركب الأخطار خوفا من الفقر فى الاستقبال. الثانى: أن اللّذات و الشهوات أخذت بمخنقه فى الحال، فليس يقدر على قلعها، و علاجه أن يتفكر أنه لو ذكر له طبيب نصرانىّ بأن شرب الماء البارد يضره و يسوقه إلى الموت، و هو ألذّ الأشياء عنده، كيف يتركه! فليعلم أن اللّه تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و سلم أصدق من الطبيب النصرانى، و الخلود فى النار أشد من الموت بالمرض، و ليقرر على نفسه أنه إذا كان يشق عليه ترك اللذات أياما قلائل، فكيف لا يشق عليه ملابسة النار و الحرمان عن الفردوس و نعيمه أبد الدهر؟ الثالث: أنه يسوّف بالتوبة يوما فيوما؛ و علاجه أن يتفكر و يعلم أن بناء خطر

الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۱۹ السعادة و الشقاوة على ما ليس إليه جهل، فمن أين يعلم أنه يبقى إلى أن يتوب؟ و إنّ أكثر صياح أهل النار من التسويف، لأنهم سوّفوا حتى فاجأهم مرض ساقهم إلى الموت، كيف، و إنما يسوّف لأنه يعجز عن قمع الشهوات فى الحال! فإن كان ينتظر يوما يسهل فيه قمع الشهوات، فهذا يوم لم يخلق أصلا، بل مثاله مثال امرئ يريد أن يقلع شجرة عجز عنها لضعفه و قوة رسوخ الشجرة، فيؤخر إلى السنة القابلة و هو يعلم أن الشجرة تزداد كلّ يوم رسوخا، و قوته تزداد كل يوم قصورا و نقصانا، و ذلك غاية الجهل. الرابع: أن يعد نفسه بالكرم و العفو، و ذلك غاية الحمق أوردها الشيطان فى معرض الدّين؛ قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «الكيّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و الأحمق من أتبع نفسه هواها و تمنّى على اللّه تعالى». الخامس: أن يكون- و العياذ باللّه- شاكّا فى أمر الآخرة؛ و قد ذكرنا علاجه فى خاتمة الأخلاق الذميمة.

### فصل

فصل التوبة من الذنوب كلها مهمة واجبة، و عن الكبائر أهم؛ و الإصرار على الصغيرة أيضا كبيرة؛ فلا صغيرة مع إصرار و لا كبيرة مع رجوع و استغفار، و تواتر الصغائر عظيم التأثير فى تسويد القلب، و هو كتواتر قطرات الماء على الحجر، فإنه يحدث فيه حفرة لا محالة، مع لين الماء و صلابة الحجر. و تعظم الصغيرة بأسباب: إحداها: أن يستصغرها العبد و يستهين بها، فلا يغتم بسببها؛ قال بعضهم: الذنب الذى لا يغفر قول العبد ليت كل شىء عملته مثل هذا. الثانى: السرور بها، و التبجح بسببها، و اعتقاد التمكن منها نعمة، حتى أن المذنب ليفتخر فيقول: ما رأيتنى كيف شتمته، و كيف مزقت عرضه، و كيف خدعته فى المعاملة؟ و ذلك عظيم التأثير فى تسويد القلب. الثالث: أن يتهاون بستر اللّه عليه، و يظن أن ذلك لكرامة عند اللّه تعالى، و لا يدرى أنه ممقوت؛ و قد أمهل ليزداد إثما فيكون فى الدرك الأسفل من النار. الرابع: أن يجاهر بالذنب و يظهره، أو يذكره بعد فعله؛ و فى الخبر: كل الناس معافى إلا المجاهرون. الخامس: أن يصدر الصغيرة عن عالم يقتدى به، فذلك عظيم، لأنه يبقى بعد موته، فطوبى لمن مات و ماتت معه ذنوبه؛ و من سنّ سنّة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة. و روى أن بعض علماء بنى إسرائيل تاب عن ذنوبه و بدعته، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۰ فأوحى اللّه إلى نبىّ زمانه أن ذنبك لو كان فيما بينى و بينك لغفرته لك، و لكن كيف بمن أضللت من عبادى فأدخلتهم النار. و على الجملة، فلا باعث على التوبة إلا الخوف الصادر عن البصيرة و المعرفة، فلنذكر فضيلة الخوف.

## الأصل الثانى فى الخوف

### فصل فى حقيقة الخوف

[فصل فى حقيقة الخوف] اعلم أن حقيقة الخوف هو تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال. و قد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب، و قد يكون الخوف من اللّه تعالى بمعرفة صفاته التى توجب الخوف لا محالة، و هذا أكمل و أتم، لأن من عرف اللّه خافه بالضرورة، و لذلك قال اللّه تعالى: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [فاطر: ۲۸]. و قد أوحى اللّه تعالى إلى داود عليه السلام: «خفنى كما تخاف السّبع الضّارى»؛ و لذلك قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «أنا أخوفكم للّه تعالى». و اعلم أن الواقع فى مخالب السبع إنما لا يخافه إذا لم يعرف السّبع، فإنّ من علم أن من صفة السبع أنه يهلكه و لا يبالى، فإن تركه لم يكن لرقته عليه و شفقته، فإنه أحقر عنده من أن يشفق عليه، فلابد من أن يخاف، و للّه المثل الأعلى و هو العزيز الحكيم، و لكن من عرف أنه لو أهلك الأولين و الآخرين لم يبال و لم ينقص شىء من ملكه قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً [المائدة: ۱۷]. و كم أهلك من عباده فى الدنيا، و عرّضهم لأنواع العذاب و لم تأخذه رقة و لا شفقة، فإن ذلك محال عليه، فلابد و أن الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۱ يخاف. فمعرفة الجلال و العزة و الاستغناء، يورث الهيبة بالضرورة، و هذا أكمل أنواع

الخوف و أفضلها.

## فصل فى علاج الخوف و تحصيله

[فصل فى علاج الخوف و تحصيله] علاج الخوف و تحصيله على رتبتين: إحداهما، معرفة اللّه تعالى، فإنها توجب الخوف بالضرورة؛ فإن الواقع فى مخالب السبع لا يحتاج إلى علاج ليخاف إن كان يعرف السبع. و من عرف جلال اللّه تعالى و استغناءه و أنه خلق الجنة و خلق لها أهلا و خلق النار و خلق لها أهلا، و أنه تمت كلمته بالسعادة و الشقاوة فى حق كل أحد صدقا و عدلا، و أن ذلك لا يتصور تغييره و لا يصرفه عن تنفيذ قضائه الأزلىّ صارف، و هو لا يدرى ما الذى سبق به القضاء فى حقه، و لا يدرى ما الذى يختم له به، و احتمل عنده أن يكون مقضيّا له بشقاوة الأبد، فهذا لا يتصور أن لا يخاف. و أما من عجز عن حقيقة المعرفة فعلاجه النظر إلى الخائفين، و مشاهدة أحوالهم أو سماع ذلك؛ فإن أخوف خلق اللّه الأنبياء، و الأولياء، و العلماء، و أهل البصيرة، و أعظم الخلق أمنا الغافلون الأغبياء، الذين لا يمتد نظرهم لا إلى السابقة، و لا إلى الخاتمة، و لا إلى معرفة جلال اللّه تعالى. و هذا، كما أن الصبى لا يخاف الحية ما لم ينظر إلى أبيه يخافها و يهرب منها و ترتعد فرائصه إذا رآها، فينظر إليه فيقلده، و يستشعر خوفه، و إن لم يعرف بالحقيقة صفة الحية؛ و قد قال صلى اللّه عليه و سلم: «ما جاءنى جبرائيل عليه السلام قط إلا و هو يرتعد فرائصه فرقا «۱» من النار»، و قيل لما ظهر على إبليس ما ظهر، طفق جبرائيل و ميكائيل يبكيان، فأوحى اللّه سبحانه إليهما: ما لكما تبكيان؟ قالا: يا رب ما نأمن مكرك، فقال اللّه تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكرى! فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ [الأعراف: ۹۹]. و قيل لما خلق اللّه تعالى النار، طارت أفئدة الملائكة عن أماكنها، فلما خلق بنى آدم عادت. و كان أزيز «۲» قلب إبراهيم- عليه السلام- يسمع فى الصلاة من مسيرة ميل. و بقى داود- عليه السلام- أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت الرعى «۳» من الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۲ دموعه. و قال أبو بكر الصديق- رضى اللّه عنه- لطائر: «ليتنى مثلك يا طائر و لم أخلق». و قال أبو ذر- رضى اللّه عنه-: «وددت لو أنى شجرة تعضد» «۱». و قالت عائشة- رضى اللّه عنه: «وددت لو أنى نسيا منسيّا». و قد حكينا أحوال الخائفين فى كتاب الخوف فليتأمل القاصر عن ذروة المعرفة، أحوال الأنبياء و الأولياء و العارفين، ليعلم أنه أحقّ بالخوف منهم، و إذا تأمل ذلك بالحقيقة غلبه خوفه.

## فصل

فصل الخوف سوط يسوق العبد إلى السعادة. و لا ينبغى أن يفرط بحيث يورث القنوط، فذلك مذموم؛ بل إذا غلب ينبغى أن يمزج الرجاء به. نعم، ينبغى أن يغلب الخوف الرجاء ما دام العبد مقارفا للذنوب، فأما المطيع المتجرد للّه تعالى، فينبغى أن يعتدل خوفه و رجاؤه، مثل عمر- رضى اللّه عنه- حيث قال: «لو نودى ليدخلن الجنة جميع الخلق إلا رجل واحد لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل، و لو نودى ليدخلن النار جميع الخلق إلا رجل واحد لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل». و أما اذا قرب الموت فالرجاء و حسن الظن بربه أولى به، قال صلى اللّه عليه و سلم: «لا يموتن أحدكم إلا و هو يحسن الظن بربّه». و الرجاء يخالف التمنّى، فإن من لا يتعاهد الأرض و لا يبث البذر، ثم ينتظر الزرع، فهو متمنّ مغرور فليس براج، إنما الرّاجى من تعهد الأرض و سقاها، و بث البذر و حصل كل سبب يتعلّق باختياره، ثم بقى يرجو أن يدفع اللّه الصواعق و القواطع، و أن يمكّنه من الحصاد بعد الإنبات، و لذلك قال عز و جل: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [البقرة: ۲۱۸]. و بالجملة فثمرة الرجاء الترغيب فى الطلب، و ثمرة الخوف الترغيب فى الهرب. و من رجا شيئا طلبه، و من خاف شيئا هرب منه. و أقلّ درجات الخوف ما يحمل على ترك الذنوب، و على الإعراض عن الدنيا، و ما لا يحمل على ذلك فهو حديث نفس، و خواطر لا وزن لها، تشبه رقة النساء، و لا ثمرة لها؛ بل الخوف إذا تم أثمر الزهد فى الدنيا، فلنذكر الزهد و معناه: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۳

## الأصل الثالث فى الزهد

### اشاره

الأصل الثالث فى الزهد: قال اللّه تعالى: وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ، وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقى [طه: ۱۳۱]، و قال: مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها، وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ [الشورى: ۲۰]. و قال اللّه تعالى فى حق قارون: فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ، إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً [القصص: ۷۹، ۸۰]. فبيّن أن الزهد من ثمرات العلم. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «من أصبح و همّه الدّنيا شتّت اللّه عليه أمره، و فرّق عليه ضيعته، و جعل فقره بين عينيه، و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له. و من أصبح و همّه الآخرة، جمع اللّه له همه، و حفظ عليه ضيعته، و جعل غناه فى قلبه، و أتته الدنيا و هى راغمة». و لما سئل صلى اللّه عليه و سلم عن قوله تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ، وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً [الأنعام: ۱۲۵]، و عن معنى الشرح، قال عليه السلام: «إن النور إذا دخل القلب انشرح الصدر و انفسح، قيل: و هل لذلك من علامة؟ قال: نعم التجافى عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل نزوله». و قال عليه السلام: «استحيوا من اللّه حق الحياء». و قيل إنا نستحى، قال عليه السلام: «تبنون ما لا تسكنون، و تجمعون ما لا تأكلون». و قال عليه السلام: «من زهد فى الدنيا أدخل اللّه الحكمة قلبه، و أنطق بها لسانه، و عرّفه داء الدنيا و دواءها، و أخرجه منها سالما إلى دار السلام». و قال عليه السلام: «لا يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف، و حتى يكون قلة الشىء أحب إليه من كثرته». و قال عليه السلام: «إذا أراد اللّه بعبد خيرا، زهّده فى الدنيا، و رغّبه فى الآخرة، و بصّره بعيوب نفسه» و قال عليه السلام: «ازهد فى الدنيا يحبك اللّه تعالى، و ازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس». و قال عليه السلام: «من أراد أن يؤتيه اللّه علما بغير تعلم و هدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا».

### فصل فى ان للزهد فى الدنيا حقيقة و أصل و ثمرة

[فصل فى ان للزهد فى الدنيا حقيقة و أصل و ثمرة] للزهد فى الدنيا حقيقة و أصل و ثمرة؛ أما حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۴ و انزواؤها عنها طوعا مع القدرة عليها، و أصلها العلم و النور الذى يشرق فى القلب حتى ينشرح به الصدر، و يتضح به أنّ الآخرة خير و أبقى، و أن نسبة الدنيا إلى الآخرة أقلّ من نسبة خزفة إلى جوهرة، و ثمرتها القناعة من الدنيا بقدر الضرورة، و هو قدر زاد الراكب، فالأصل نور المعرفة، فيثمر حال الانزواء، و يظهر على الجوارح بالكفّ إلا عن قدر الضرورة فى زاد الطريق. و الضرورىّ من زاد الطريق مسكن و ملبس و مطعم و أثاث. أما المطعم، فله طول و عرض: أما طوله، فبالإضافة إلى الزمان، و أقصر درجاته الاقتصار على دفع الجوع فى الحال، فإذا دفعه غدوة لم يدخر شيئا لعشائه، و أوسطه أن يدّخر لشهر إلى أربعين يوما فقط؛ و أدناه أن يدّخر لسنة؛ فإن جاوز ذلك خرج عن جميع أبواب الزهد، إلا أن لا يكون له كسب و لا يأخذ من الأيدى، كداود الطائى، فإنه ملك عشرين دينارا، فأمسكها و قنع بها عشرين سنة؛ فذلك لا يبطل مقام الزهد و درجته فى الآخرة إلا عند من يشرط التوكل فى الزّهد. و أما عرضه فأقله نصف رطل، و أوسطه رطل، و أعلاه مدّ؛ و الزيادة عليه تبطل رتبة الزهد. و أما الجنس، فأقله ما يقوت و لو النخالة، و أوسطه خبز الشعير، و أعلاه خبز البرّ غير منخول، فإن نخل فهو تنعم لا زهد. فأما الإدام فأقله الخل و البقل و الملح، و أوسطه الأدهان، و أعلاه اللّحم؛ و ذلك فى الأسبوع مرة أو مرتين، فإذا دام لم يكن صاحبه زاهدا. قالت عائشة- رضى اللّه عنها-: «كان يأتى أربعون ليلة و ما يوقد فى بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مصباح و لا نار»، و قيل: ما شبع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر. و أما الملبس فأقله ما يستر العورة و يدفع الحرّ و البرد، و أعلاه قميص و

سراويل و منديل من الجنس الخشن، و يكون بحيث لو غسل ثوبه لم يجد غيره؛ فإن كان صاحب القميصين لم يكن زاهدا. قال أبو ذر: أخرجت عائشة- رضى اللّه عنها- كساء ملبدا و إزارا غليظا، فقالت: «قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى هذين». و صلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى خميصة «۱» لها علم، فلما سلم قال: «شغلنى النظر إلى هذه، اذهبوا بها إلى أبى جهم ..» الحديث. و كان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد، فلما سلم عن صلاته الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۵ قال: «أعيدوا الشراك الخلق، فإنى نظرت إليه فى الصلاة». و كان عليه السلام قد احتذى نعلين جديدين، فأعجبه حسنهما فخرّ ساجدا، فقال عليه السلام: «أعجبنى حسنهما فتواضعت لربى خشية أن يمقتنى»، ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه. و قد عدّ على قميص عمر- رضى اللّه عنه- اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم. و اشترى على- رضوان اللّه عليه- فى خلافته ثوبا بثلاثة دراهم، و قطع كميه من الرّسغين، و قال: الحمد للّه الذى هذا من رياشه. و قال بعضهم: قوّمت ثوب سفيان و نعله بدرهم و دانقين. و قال على- رضوان اللّه عليه-: إن اللّه عز و جل أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا فى مثل أدنى أحوال الناس، ليقتدى بهم الغنى و لا يزرى بالفقير فقره. و أما المسكن، فأدناه أن تقنع بزاوية فى مسجد أو رباط، كأهل الصّفّة، و أعلاه أن يطلب لنفسه موضعا خاصّا و هى حجرة إما بشراء أو إجارة، بشرط أن لا يزيد سعته على قدر الحاجة. و لا يرفع بناؤه، و لا يهتم بتجصيصه، و فى الأثر: أن من يرفع بناءه فوق ستة أذرع ناداه مناد إلى أين يا أفسق الفاسقين؟ و مات رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لم يضع لبنة على لبنة، و لا قصبة على قصبة. و قال عبد اللّه بن عمر- رضى اللّه عنهما-: مرّ بنا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و نحن نعالج خصّا «۱» فقال: إن الأمر أعجل من ذلك. و اتخذ نوح- عليه السلام- بيتا من خص، فقيل له: لو شئت لاتخذته من الطين، فقال: هذا كثير لمن يموت. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «من بنى فوق ما يكفيه كلّف أن يحمله يوم القيامة»، و قال عليه السلام: «كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنّ «۲» من حرّ و برد». و أما أثاث البيت ففيه أيضا درجات، و أدناها حال عيسى ابن مريم- عليه السلام- إذ لم يكن معه إلا مشط و كوز، فرأى إنسانا يمشط بأصابعه فرمى المشط، و رأى آخر يشرب بيده، فرمى الكوز. و أوسطه، أن يستعمل الجنس الخشن واحدا فى كلّ غرض، و يجتهد أن يستعمل واحدا فى أغراض. و قال عمر- رضى اللّه عنه- لعمير بن سعيد- و هو أمير حمص-: ما معك من الدنيا؟ فقال: معى عصاى أتوكأ عليها، و أقتل بها حية إن لقيتها، و معى جرابى أحمل فيها طعامى، و معى قصعتى آكل الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۶ فيها و أغسل رأسى و ثوبى، و معى مطهرتى أحمل فيها شرابى و وضوئى، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى. فقال: صدقت. و قال الحسن: أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه، و ما وضع أحدهم بينه و بين الأرض ثوبا. و كان فراش رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الذى ينام عليه و سادة من أدم حشوها ليف، و عباءة خشنة. فهذه سيرة الزهّاد فى الدنيا، فمن حرم هذه الرتبة فلا أقل من أن يتحسّر على فواتها، و يجتهد أن يكون قربه منهم أكثر من قربه من المتنعّمين فى الدنيا.

## فصل فى ان الزهد على درجات

[فصل فى ان الزهد على درجات] الزهد على درجات: إحداها: أن يزهد و نفسه مائلة إلى الدنيا و لكن يجاهدها؛ و هذا متزهد، و ليس بزاهد؛ و لكن بداية الزهد التزهد. الثانية: أن تفر نفسه عن الدنيا و لا تميل إليها، لعلمه أن الجمع بينها و بين نعيم الآخرة غير ممكن، فتسمح نفسه بتركها، كما تسمح نفس من يبذل درهما ليشترى جوهرة، و إن كان الدرهم محبوبا عنده؛ و هذا زهد. الثالثة: أن لا تميل نفسه إلى الدنيا و لا تنفر عنها، بل يكون وجودها و عدمها عنده بمثابة واحدة، و يكون المال عنده كالماء، و خزانة اللّه تعالى كالبحر، فلا يلتفت قلبه إليه رغبة و نفورا، و هذا هو الأكمل؛ لأن الذى يبغض شيئا فهو مشغول به، كالذى يحبه؛ و لذلك ذمّ الدنيا عند رابعة العدوية، فقالت: «لولا قدرها فى قلوبكم ما ذممتموها». و حمل إلى عائشة- رضى اللّه عنها- مائة ألف درهم فلم تنفر عنها، و لكن فرقتها فى يومها، فقالت خادمتها: لو اشتريت بدرهم لحما تفطرين عليه، فقالت: لو ذكرتنى لفعلت. فهذا هو الغنى، و هو أكمل من الزّهد؛ و لكنه مظنّة غرور الحمقى، إذ كل مغرور يستشعر فى نفسه أن لا علاقة لقلبه مع الدنيا؛ و علامة ذلك، أن لا يدرك الفرق

بين أن يسرق جميع ماله أو يسرق مال غيره، فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به.

### فصل

فصل كمال الزهد، هو الزهد فى الزهد، بأن لا يعتدّ به و لا يراه منصبا؛ فإن من ترك الدنيا و ظن أنه ترك شيئا فقد عظّم الدنيا، إذ الدنيا عند ذوى البصائر لا- شيء، و صاحبها كمن منعه عن دار الملك كلب على بابه، فألقى إليه لقمة خبز و شغله بها و دخل دار الملك و جلس على سرير الملك؛ فإن الشيطان كلب على باب اللّه تعالى، و الدنيا كلها أقل من لقمة بالإضافة إلى الملك، إذ اللقمة لها نسبة إلى الملك إذ يفنى بأمثالها، و الآخرة لا يتصور أن تفنى بأمثالها الدنيا لأنها لا نهاية لها. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۷

### فصل

فصل الزهد باعتبار الباعث عليه على ثلاث درجات: إحداها: أن يكون باعثه الخوف من النار و هذا زهد الخائفين. الثانية: و هى أعلى منه أن يكون باعثه الرغبة فى نعيم الآخرة، و هذا زهد الراجين. و العبادة على الرجاء أفضل منها على الخوف، لأن الرجاء يقتضى المحبة. الثالثة: و هى أعلاها، أن يكون الباعث عليه الترفع عن الالتفات إلى ما سوى الحق، تنزيها للنفس عنه، و استحقارا لما سوى اللّه؛ و هذا زهد العارفين، و هو الزهد المحقق، و ما قبله معاملة، إذ ينزل صاحبها عن شيء عاجلا ليعتاض عنه أضعافه آجلا

### فصل

فصل الزهد باعتبار ما فيه من الزهد على درجات، و كماله الزهد فى كلّ ما سوى اللّه تعالى فى الدنيا و الآخرة، و دونه الزهد فى الدنيا خاصة دون الآخرة. ثم يدخل فيه كل ما فيه حظ و تمتع فى الدنيا، من مال و جاه و تنعم. و دون ذلك أن يزهد فى المال دون الجاه، أو فى بعض الأشياء دون البعض، و ذلك ضعيف، لأن الجاه ألذّ و أشهى من المال، فالزهد فيه أهمّ.

### فصل

فصل الزهد أن تنزوى عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها، أما إن انزوت الدنيا عنك و أنت راغب فيها، فذلك فقر و ليس بزهد. و لكن للفقر أيضا فضل على الغنى، لأنه منع عن التمتع بالدنيا، و هذا هو أفضل ممن مكّن من الدنيا و التمتع بها حتى ألفها و اطمأن إليها، و لم يتجاف قلبه عنها، فيعظم الألم و الحسرة عند الموت، و تكون الدنيا كأنها جنة الغنىّ، و تكون كأنها سجن الفقير، إذ يشتهى الخلاص من آلامها. و الفقر من أسباب السعادة؛ قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «إن اللّه تعالى يحمى عبده عن الدنيا و هو يحبه، كما يحمى أحدكم مريضه عن الطعام و الشّراب»، و قال عليه السلام: «يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام»، و قال عليه السلام: «خير هذه الأمة فقراؤها»، و قال عليه السلام: «إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصّالحين، و إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجّلت عقوبته»، و قال موسى- عليه السلام-: يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟ فقال: كل فقير. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۸ و اعلم أن الفقير إن كان قانعا بما أعطى، غير شديد الحرص على الطلب، فدرجته قريب من درجة الزاهد. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «طوبى لمن هدى للإسلام و كان عيشه كفافا و قنع به». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «الفقراء الصبراء هم جلساء اللّه تبارك و تعالى». و قال عليه السلام: «أحب العباد إلى اللّه تعالى الفقير القانع». و أوحى اللّه تعالى إلى إسماعيل- صلوات اللّه عليه و سلامه- اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم، قال: و من هم؟ قال: الفقراء الصادقون. و على الجملة، إنما يعظم ثواب الفقير عند القناعة و الصبر، و الرضى و الصبر على الفقر مبدأ الزهد، و لا تتم هذه المقامات إلا بالصبر فلنذكره:

## الأصل الرابع فى الصبر

### اشاره

الأصل الرابع فى الصبر: قال اللّه تعالى: وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال: ۴۶]، و جمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم، فقال عزّ من قائل: أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ، وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [البقرة: ۱۵۷]. و قال تعالى: وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [النحل: ۹۶]. و قال تعالى: وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا [السجدة: ۲۴]. و قال تعالى: إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ [الزمر: ۱۰]. و ذكر اللّه سبحانه فى القرآن الصبر فى نيف و سبعين موضعا. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «الصبر نصف الإيمان»، و قال عليه السلام: «من أقلّ ما أوتيتم، اليقين و عزيمة الصبر، و من أعطى حظّه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل و صيام النهار». و قال عليه السلام: «الصبر كنز من كنوز الجنّة». و سئل النبى- عليه السلام- مرة عن الإيمان فقال: «هو الصبر». و قال عيسى- عليه السلام-: إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون.

### فصل فى حقيقة الصبر

[فصل فى حقيقة الصبر] حقيقة الصبر ثبات باعث الدّين فى مقابلة باعث الهوى، و هو من خاصية الآدميّ الذى هو كالمركّب من شعب ملكيّة و بهيمية، لأن البهيمة لم يسلّط عليها إلا دواعى الشهوة، و الملائكة لم يسلّط عليهم الشهوة بل جرّدوا للشوق إلى مطالعة جمال الحضرة الربوبية، و الابتهاج بدرجة القرب منها، فهم يسبّحون الليل و النهار لا يفترون؛ فليس فيهم داعية الشهوة. فلم يتصور الصبر لملك و لا بهيمة، بل الإنسان سلّط عليه جندان يتطاردان، أحدهما من حزب اللّه و ملائكته، و هو العقل و بواعثه، و الثانى من جنود الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۲۹ الشيطان و هى الشهوات و دواعيها بعد البلوغ يظهر بواعث الدين و العقل إذ يحمل على النظر إلى العواقب، و تبتدىء بقتال جند الشيطان، فإن ثبت باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى حتى غلبه، فقد حصل مقام الصبر، إذ لا يتصور الصبر، إلا عند تعارض الباعثين على التناقض، و ذلك كالصبر على شرب الدواء البشيع، إذ يدعو إليه داعى العقل، و يمنع منه داعى الشهوة. و كل من غلبته شهوته لم يعزم عليه، و من غلب عقله شهوته صبر على مرارته لينال الشفاء. و شطر الإيمان إنما يتم بالصبر؛ و لذلك قال النبى- عليه السلام-: «الصبر نصف الإيمان»، لأن الإيمان يطلق على المعارف و الأعمال جميعا، و سائر الأعمال فى طرفى الكف و الإقدام و التزكية و التحلية لا يتم إلا بالصبر؛ لأن جملة أعمال الإيمان على خلاف باعث الشهوة، فلا يتم إلا بثبات باعث الدين فى مقابلته؛ و لذلك قال- عليه السلام-: «الصوم نصف الصبر»، لأن الصبر تارة فى مقابلة داعى الشهوة، و تارة فى مقابلة داعى الغضب؛ و الصوم هو كسر لداعية الشهوة.

### فصل فى درجات الصبر

[فصل فى درجات الصبر] الصبر له ثلاث درجات بحسب ضعفه و قوته: الدرجة العليا: أن تقمع داعية الهوى بالكلية، حتى لا يبقى لها قوة للمنازعة. و يتوصل إليها بدوام الصبر و طول المجاهدة؛ و ذلك من الذين قيل لهم: إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا [فصلت: ۳۰، الأحقاف: ۱۳]، و إياهم ينادى المنادى: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً [الفجر: ۲۷، ۲۸]. الدرجة السفلى: أن تقوى داعية الهوى و تسقط منازعة باعث الدين، و يغلب الهوى و يسلم القلب لجند الشيطان؛ و ذلك من الذين قيل فيهم: وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ [السجدة: ۱۳]. و علامته شيئان: أحدهما، أن يقول: أنا أشتاق إلى التوبة و لكن تعذرت علىّ، فلست أطمع فيها؛ فهذا هو القانط و هو الهالك. الثانى: أن لا يبقى فيه شوق إلى التوبة، و لكن يقول: اللّه كريم رحيم و هو مستغن عن توبتى فلا تضيق الجنة الواسعة و المغفرة الشاملة عنّى. و هذا المسكين قد صار عقله أسير شهوته، و لا يستعمله

إلا فى استنباط حيل قضاء الشهوة، فصار عقله كالمسلم الأسير بين الكفّار، يستسخرونه فى رعاية الخنازير، و حفظ الخمور، و حملها على العنق و الظهر إلى بيوتهم. فانظر كيف يكون حال العبد إذا أخذ الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۰ أعز أولاد الملك و سلمه إلى أخس أعدائه حتى استرقه و استسخره، ففى مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك على اللّه تعالى. نعوذ باللّه منه. الدرجة الوسطى: أن لا يفتر على المحاربة، و لكن يكون الحرب بينهما سجالا، تارة له اليد، و تارة عليه اليد؛ و هذا من المجاهدين الذين خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً ... [التوبة: ۱۰۲] الآية. و علامة هذا أن يترك من الشهوات ما هو أضعف، و يعجز عما هو أغلب؛ و ربما يغلبها فى بعض الأوقات دون بعض، و هو فى جميع الأحوال متحسر على عجزه، و مستمر المعاودة إلى مجاهدته و قتاله، و ذلك هو الجهاد الأكبر. و مهما اتقى و صدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى. و بالجملة فقد قصر عن البهيمة إنسىّ لم يقاوم بقوة عقله شهوته و قد أيد بالعقل و حرم عنه البهيمة، و لذلك قال اللّه تعالى: «أولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا» «۱».

## فصل

فصل اعلم أن الحاجة إلى الصبر عامة فى جميع الأحوال، لأن جميع ما يلقى العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين: فإنه إمّا أن يوافق هواه أو يخالفه. فإن وافق هواه كالصحّة و السّلامة و الثروة و الجاه و كثرة العشيرة، فما أحوجه إلى الصبر معها، فإنه إن لم يضبط نفسه طغى و استرسل فى التنعم و اتباع الهوى، و نسى المبتدى و المنتهى؛ و لذلك قالت الصحابة- رضوان اللّه عليهم أجمعين- بلينا بفتنة الضرّاء فصبرنا، و بلينا بفتنة السرّاء فلم نصبر؛ و لذلك قيل: يصبر على البلاء كلّ مؤمن، و لا يصبر على العافية إلا صدّيق. و معنى الصبر فيها، أن لا يركن إليها، و يعلم أن كل ذلك وديعة عنده، و يسترجع على القرب، و أن لا ينهمك فى الغفلة و التنعّم، و يؤدى حق شكر النعمة، و ذلك مما يطول شرحه. النوع الثانى: ما يخالف الهوى، و ذلك أربعة أقسام: القسم الأول الطاعات: و النفس تنفر عن بعضها بمجرّد الكسل كالصلاة، و عن بعضها بالبخل كالزكاة، و عن بعضها بهما جميعا كالحج و الجهاد، و الصبر على الطاعة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۱ من الشدائد. و يحتاج المطيع إلى الصبر فى ثلاث أحوال: أحدها: أول العبادة بتصحيح الإخلاص، و الصبر عن شوائب الرياء و مكائد الشيطان، و مكائد النفس و غرورها. الثانية: حالة العمل كيلا يتكاسل عن تحقيق أدائه بفروضه و سننه، و يوقع على شرط الأدب مع حضور القلب و نفى الوسواس. الثالثة: بعد الفراغ، و هو أن يصبر عن ذكره و إفشائه للتظاهر به رياء و سمعة. و كل ذلك من الصبر الشديد على النفس. القسم الثانى المعاصى: و قد قال صلى اللّه عليه و سلم: «و المجاهد من جاهد هواه، و المهاجر من هجر السوء»، و الصبر عن المعاصى أشدّ، لا سيما عن معصية صارت عادة مألوفة، إذ يتظاهر فيه على بواعث الدين جندان: جند الهوى، و جند العادة. فإن انضم إلى ذلك سهولة و خفة المئونة فيه، لم يصبر عنها إلا الصدّيق؛ و ذلك كمعاصى اللسان، فإنها هيّنة سهلة؛ و ذلك كالغيبة و الكذب و المراء و الثناء على النفس. و يحتاج فى دفع ذلك إلى أشد أنواع الصبر. القسم الثالث: ما لا يرتبط باختيار العبد، و لكن له اختيار فى دفعه و تداركه، كالأذى الذى يناله من غيره بيد أو لسان. فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يجب، و تارة يستحب. قال بعض الصحابة: ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى. قال اللّه عز و جل: وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا، وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ [إبراهيم: ۱۲]. و قال اللّه تعالى: وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ [الأحزاب: ۴۸]. و قال تعالى: وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ [الحجر: ۹۷]. القسم الرابع: ما لا يدخل أوله و آخره تحت الاختيار، كالمصائب بموت الأعزّة، و هلاك الأموال، و المرض، و ذهاب بعض الأعضاء، و سائر أنواع البلاء، و الصبر عليه من أعلى المقامات. قال ابن عباس- رضى اللّه عنه-: الصبر فى القرآن على ثلاث مقامات: صبر على أداء الفرائض و له ثلاثمائة درجة، و صبر على محارم اللّه تعالى و له ستمائة درجة، و صبر على المصيبة عند الصدمة الأولى و له تسعمائة درجة. و قال صلى اللّه عليه و سلم: قال اللّه تعالى: «إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر و لم يشتك إلى عوّاده أبدلته لحما خيرا من لحمه، و دما خيرا من دمه، فإن أبرأته أبدلته و لا ذنب له، و إن توفيته فإلى رحمتى». و قال النبى- عليه السلام-: «قال اللّه تعالى: إذا وجهت إلى عبد من

عبيدى مصيبة فى بدنه أو الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۲ فى ماله أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا، أو أنشر له ديوانا». و قال عليه السلام: «انتظار الفرج بالصبر عبادة». و قال عليه السلام: «من إجلال اللّه تعالى و معرفة حقه أن لا تشكو وجعك، و لا تذكر مصيبتك». فقد عرفت أنك لا تستغنى عن الصبر فى جميع أوقاتك، و به يظهر أنه شطر الإيمان؛ و شطره الآخر فيما يتعلق بالأعمال و هو الشكر، فقد قال صلى اللّه عليه و سلم: «الإيمان نصفان: نصف صبر، و نصف شكر». و هذا باعتبار النظر إلى الأعمال و التعبير بالإيمان عنها.

## الأصل الخامس الشكر

### اشاره

الأصل الخامس الشكر: و قد قال اللّه تعالى: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ [سبأ: ۱۳] و قال: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [إبراهيم: ۷]، و قال: وَ اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ [البقرة: ۱۵۲]، و قال: وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران: ۱۴۴]، و قال: ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ [النساء: ۱۴۷]. و قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «للطاعم الشاكر منزلة الصائم الصابر عند اللّه». و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يبكى فى تهجده، فقالت عائشة- رضى اللّه عنها- و ما يبكيك؟ و قد غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخر. فقال- عليه السلام-: «أ فلا أكون عبدا شكورا؟»، و قال: «ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون، فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنّة»، فقيل و من الحامدون؟ قال: «الذين يشكرون اللّه على كل حال». و قال: «الحمد رداء الرحمن».

### فصل فى مقام الشكر

[فصل فى مقام الشكر] اعلم أن الشكر من المقامات العالية، و هو أعلى من الصبر و الخوف و الزهد و جميع المقامات التى سبق ذكرها، لأنها ليست مقصودة فى أنفسها، و إنما تراد لغيرها. فالصبر يراد منه قهر الهوى، و الخوف سوط يسوق الخائف إلى المقامات المقصودة المحمودة، و الزهد هرب من العلائق الشاغلة عن اللّه تعالى، و أما الشكر فمقصود فى نفسه و لذلك لا ينقطع فى الجنة، و ليس فيها توبة و لا خوف و لا صبر و لا زهد. و الشكر دائم فى الجنة، و لذلك قال اللّه تعالى: وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ [يونس: ۱۰]. و تعرف ذلك بأن تعرف حقيقة الشكر، و أنه ينتظم من علم و حال و عمل: أما العلم، فالعلم بالنعمة و المنعم، بأن النّعم كلها من اللّه تعالى، و هو المنفرد بجميعها. و الوسائط كلّهم مسخرون مقهورون. و هذه المعرفة وراء التقديس و التوحيد، الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۳ فإنهما داخلان فيه؛ بل الرتبة الأولى فى معارف الإيمان التقديس، ثم إذا عرفت ذاتا مقدسة و عرفت أنه لا مقدس إلا واحد، فهو التوحيد. ثم إذا علمت أن كل ما فى العالم فهو موجود من ذلك الواحد، و الكل نعمة منه خاصة، فهو الحمد. و إلى هذا الترتيب الإشارة بقوله صلى اللّه عليه و سلم: «من قال سبحان اللّه، فله عشر حسنات، و من قال لا إله إلا اللّه، فله عشرون حسنة، و من قال الحمد للّه، فله ثلاثون حسنة». و هذا لأن التقديس و التوحيد داخلان فى الحمد و زيادة، و هذه الدرجات بإزاء هذه المعارف. و أما حركة اللسان ففضلها بحسب صدورها عن المعرفة أو تجديدها للاعتقاد فى القلب، فإن الفم آلة لإزالة الغفلة لينمحى أثرها. و اعلم أنك إذا اعتقدت أن لغير اللّه دخلا فى النعمة الواصلة إليك لم يصح حمدك، و لم تتم معرفتك و شكرك، و كنت كمن يخلع عليه الملك و هو يرى أن لعناية الوزير دخلا فى خلعة الملك أو فى إيصاله إليه. أو فى تيسيرها؛ و كل ذلك اشتراك فى النعمة، و يتوزع فرحك فى النعمة عليهما. نعم، لو رأيت الخلعة الواصلة إليك بتوقيع الملك بقلمه، فذلك لا يقصر من شكرك، لأنك تعلم أن القلم مسخر له، لا دخل له فى النعمة بنفسه؛ و لذلك لا يلتفت قلبك إلى الفرح بالقلم و الشكر له؛ و لذلك قد لا يلتفت إلى الخازن و الوكيل إذ يعلم أنهما مضطران إلى العطاء بعد الأمر، مسخران لا مدخل لهما بأنفسهما فى النّعمة.

فكذلك من انفتحت بصيرته علم أن الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمر اللّه تعالى، كالقلم و الكاغد «۱» و الحبر فى التّوقيع؛ و أن قلوب الخلق خزائن اللّه تعالى، و مفاتيحها بيد اللّه عز و جل، فيفتحها بأن يسلط عليها دواعى جازمة حتى يعتقد أن خيرها فى البذل مثلا، و عند ذلك لا يستطيع ترك البذل، فيكون مضطرا إلى الاختيار لما سلط عليه من دواعى الاختيار، فإنه لا يعطيك أحد شيئا إلا لغرض نفسه ليستفيد به فى الآجل ثوابا، و فى العاجل ثناء و ذكرا، أو غير ذلك؛ و ما لم يعلم أن منفعته فى منفعتك، فلا يعطيك؛ فإذا ليس هو منعما عليك إذ يسعى لنفسه، إنما المنعم عليك من سخره و سلّط هذه الدواعى عليه، و قرر فى نفسه أن غرضه منوط بالأداء و الإنعام. فإن عرفت الأمور الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۴ كذلك، كنت موحّدا و تصوّر منك الشكر، بل هذه المعرفة هى عين الشكر. قال موسى- عليه السلام- فى مناجاته: إلهى خلقت آدم بيدك و فعلت و فعلت، فكيف شكرك؟ قال: علم أن ذلك منّى فكان معرفة ذلك شكرا. الركن الثانى: الحال المستثمرة من المعرفة، و هى الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع و الإجلال. و من يرسل إليه بعض الملوك فرسا فيتصور أن يفرح به من ثلاثة أوجه: إحداها من حيث أنه ينتفع بالفرس، أو من حيث يستدل به على عناية الملك بشأنه، و أنه سينعم عليه بما هو أعظم منه، أو من حيث أن الفرس يكون مركبا له حتى يسافر إلى حضرة الملك و يخدمه. و الأول ليس من الشكر فى شىء، فإنه فرح بالنعمة لا بالمنعم. و الثانى، داخل فى الشكر شيئا، لكنه ضعيف بالإضافة إلى الثالث، فكمال الشكر أن يكون الفرح بما يفتح اللّه تعالى من نعمه، لا بالنعمة من حيث هى نعمة، بل بها من حيث إنها وسيلة إليه، إذ بنعمته تتم الصالحات، و علامة هذا أن لا يفرح بكلّ نعمة تلهيه عن ذكر اللّه تعالى، بل يغتمّ بها و يفرح بما زوى «۱» اللّه تعالى عنه من شغل الدنيا و فضولها، و هذا أكمل الشكر. فمن لم يستطع فعليه بالثانى. و أما الأول، ففرح بالنّعمة لا بالمنعم، و ليس ذلك من الشكر فى شىء. الركن الثالث: العمل؛ و ذلك بأن يستعمل نعمه فى محابّه لا فى معاصيه، و هذا لا يقوم به إلا من يعرف حكمة اللّه تعالى فى جميع خلقه، و أنه لماذا خلق كل شىء؛ و شرح ذلك يطول. و قد ذكرنا منه طرفا فى الإحياء «۲»، و جملته أن يعلم مثلا أن عينه نعمة منه، فشكرها أن يستعملها فى مطالعة كتاب اللّه، و كتب العلم، و مطالعة السموات و الأرض، ليعتبر بهما و يعظم خالقها، و أن يستر كلّ عورة يراها من المسلمين، و يستعمل أذنه فى سماع الذكر، و ما ينفعه فى الآخرة، و يعرض عن الإصغاء إلى الهجر و الفضول، و يستعمل اللسان فى ذكر اللّه تعالى و الحمد له، فى إظهار الشكر منه دون الشكوى؛ و من سئل عن حاله فشكى فهو عاص، لأنه شكى ملك الملوك إلى عبد ذليل لا يقدر على شىء، فإن شكر فهو مطيع. و أما شكر القلب، فاستعماله فى الفكر و الذكر و المعرفة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۵ و إضمار الخير للخلق و حسن النية، و كذلك فى اليد و الرجل و سائر الأعضاء و الأموال، و غير ذلك مما لا ينحصر.

## فصل

فصل اعلم أنه إنما يتمكن فى كمال الشكر، من شرح اللّه صدره للإسلام، فهو على نور من ربه، يرى فى كل شىء حكمته و سره و محبوب اللّه فيه. و من لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع السنّة و حدود الشرع، فتحتها أسرار الشكر. و ليعلم أنه لو نظر إلى غير محرم مثلا فقد كفر نعمة العين، و نعمة الشمس، و كل نعمة لا يتم النظر إليها إلا بها، فإن الإبصار إنما يتم بالعين و نور الشمس، و الشمس إنما تتم بالسماوات، فكأنه كفر أنعم اللّه تعالى فى السموات و الأرض. و قس على هذا كل معصية، فإنها إنما تتمكن بأسباب تستدعى وجود جميعها خلق السموات و الأرض. و لهذا غور عميق أشرنا إليه فى كتاب الشكر من كتاب الإحياء؛ و يكفيك هاهنا مثال واحد: و هو أن اللّه تعالى خلق الدراهم و الدنانير لتكون حاكمة فى الأحوال كلها، يقدّر بها القيم، و لولاها لتعذرت المعاملات، إذ لا يدرى كيف يشترى الثياب بالزّعفران، و الدواب بالأطعمة، فإنها لا مناسبة بينهما، و إنما يشتركان فى روح المالية. و معيار مقدار أرواحهما هو النّقدان، فمن كنزهما كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الأحكام. و من اتخذ منهما آنية، كان كمن استعمل حاكما من حكام المسلمين فى الحياكة و الفلاحة التى يقدر عليها كلّ أحد حتى يتعطل الحكم، و ذلك أشد من الحبس. و من أربى فيهما و جعلهما مقصد تجارته بالمصارفة بين جيّدهما و رديئهما كان كمن شغل الحاكم عن الحكم، فاتخذه سخرة لنفسه

ليحتطب له، و يكنس له، و يكتسب له القوت. و كل ذلك ظلم و تغيير لحكم اللّه عز و جل فى خلقه و عباده و معاداة للّه تعالى فى محابه. و من لا ينكشف له بنور البصيرة هذه الأسرار، عرف على لسان الشرع صورته دون معناه، و قيل له: الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ إلى قوله تعالى: ... يَكْنِزُونَ [التوبة: ۳۴، ۳۵]. و قيل: «من شرب فى إناء من ذهب أو فضة، فكأنما يجرجر فى بطنه نار جهنم». و قيل: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ [البقرة: ۲۷۵] الآية. فالصالحون يقفون على الحدود و لا يعرفون أسرارها، و العارفون إذا الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۶ اطّلعوا على الأسرار بأنفسهم و شاهدوا شواهد الشرع ازدادوا نورا على نور، و العميان الجاهلون يحرمون الوقوف على الحدود، و العثور على الأسرار جميعا، فلا هم كعبيد أتقياء، و لا كأحرار كرام؛ و هم الذين قال فيهم: وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ... «۱» الآية. و قال تعالى: أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى ... [الرعد: ۱۹] الآية. و قال: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً، إلى قوله: فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى [طه: ۱۲۴- ۱۲۶]. و آيات اللّه حكمته فى خلقه. و قد ألقيت إلى الخلق على لسان الأنبياء- صلوات اللّه عليهم- كما فصلت فى جملة الشريعة من أولها إلى آخرها. و ما من حد من حدود الشرع إلا و فيه سر، و خاصية، و حكمة، يعرفها من يعرفها، و ينكرها من يجهلها. و شرح ذلك طويل، فليطلب من كتاب الشكر. و لا يتصور تمام الشكر إلا ممن قام للّه تعالى وحده، مخلصا لا رغبة فيه لغيره؛ فلنذكر الإخلاص و الصّدق:

## الأصل السادس الإخلاص و الصدق

### اركان الاخلاص

### الركن الأول النية

### اشاره

الركن الأول النية: و قد قال اللّه تعالى: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الأنعام: ۵۲] و معنى النية إرادة وجهه. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «إنما الأعمال بالنيات ...» الحديث. و قال: «إن الملائكة ترفع صحيفة عمل العبد فيقول اللّه تعالى: ألقوها، فإنه لم يرد بها وجهى، و اكتبوا له كذا و كذا، فيقول الملائكة: إنه لم يعمل منها شيئا، فيقول اللّه عز و جل: إنه نواه إنه نواه». و قال صلى اللّه عليه و سلم: «الناس أربعة: رجل أتاه اللّه علما و مالا، فهو يعمل بعلمه فى ماله، فيقول رجل: لو آتانى اللّه ما آتاه لعملت كما يعمل، فهما فى الأجر سواء، و رجل آتاه اللّه مالا، و لم يؤته علما فهو يخبط بجهله فى ماله، فيقول رجل: لو آتانى اللّه تعالى ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الوزر الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۷ سواء»، و قال عليه السلام: «من غزى و لا ينوى إلا عقالا فله ما نوى». و يقال إن رجلا فى بنى إسرائيل مرّ بكثبان رمل فى أيام قحط، فقال فى نفسه: لو كان لى هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس، فأوحى اللّه تعالى إلى نبيهم: «قل له إن اللّه تعالى قد قبل صدقتك، و شكر حسن نيتك، و أعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدّقت به». و قال عليه السلام: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل و المقتول فى النار». فقيل: ما بال المقتول؟ فقال: «أراد قتل صاحبه». و قال عليه السلام: «من تزوج امرأة على صداق و هو لا ينوى أداءه فهو زان، و من أدان دينا و هو لا ينوى قضاءه فهو سارق».

### فصل فى حقيقة النية

[فصل فى حقيقة النية] حقيقة النية هى الإرادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة. و بيانه أن جميع أعمالك لا تصح إلا بقدرة و إرادة و علم؛ و العلم يهيج الإرادة، و الإرادة باعثة للقدرة، و القدرة خادمة الإرادة بتحريك الأعضاء، مثاله: أنه خلق فيك شهوة الطّعام إلا أنها قد تكون فيك راكدة كأنها نائمة. و إذا وقع بصرك على طعام حصلت المعرفة بالطعام، فانتهضت الشهوة للطعام، فامتدت إليه اليد، و إنما امتدت اليد بالقوة التى فيها، المطيعة لإشارة الشهوة، و انتهضت الشهوة بحصول المعرفة المستفادة من طليعة الحسّ. و كما خلق فيك شهوة إلى الأشياء الحاضرة، خلق فيك أيضا ميل إلى اللذّات الآجلة ينتهض ذلك الميل بإشارة المعرفة الحاصلة من العقل، و القدرة أيضا تخدم هذا الميل بتحريك الأعضاء، فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة، و الذى يغزو قد يكون الباعث له ميلا إلى المال فذلك نيته، و قد يكون الباعث ميلا إلى ثواب الآخرة فذلك نيته؛ فإذا النية عبارة عن الإرادة الباعثة، و معنى إخلاصها تصفية الباعث عن الشّوب.

## فصل النية و العمل بهما تمام العبادة

[فصل النية و العمل بهما تمام العبادة] إذا حصل العمل بباعث النية، فالنية و العمل بهما تمام العبادة. فالنية أحد جزئى العبادة، لكنها خير الجزءين، لأن الأعمال بالجوارح ليست مرادة إلا لتأثيرها فى القلب، ليميل إلى الخير، و ينفر عن الشر، فيتفرغ للفكر و الذكر الموصلين له إلى الأنس و المعرفة، اللذين هما سبب سعادته فى الآخرة. فليس المقصود من وضع الجبهة على الأرض، وضع الجبهة على الأرض، بل خضوع القلب؛ و لكن القلب يتأثر بأعمال الجوارح. و ليس المقصود من الزكاة إزالة الملك، بل إزالة رذيلة البخل، و هو قطع الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۸ علاقة القلب من المال. و ليس المقصود من الضحية لحومها و لا دماؤها، و لكن استشعار القلب للتقوى بتعظيم شعائر اللّه تعالى. و النية عبارة عن نفس ميل القلب إلى الخير، فهو متمكّن من حدقة المقصود، فهو خير من عمل الجوارح الذى إنما يراد منه سراية أثره إلى محل المقصود و هو القلب؛ و لذلك يورث جميع أعمال القلب دون الجوارح فيه أثرا ما. و عمل الجارحة دون حضور القلب هباء و لا أثر له. و مهما قصد فمعالجة المعدة بما يصل من الأدوية بالشّرب إليها أنفع لا محالة مما يطلى به ظاهر المعدة ليسرى إليها أثره. و كذلك إذا لم يسر أثر الطلاء إلى المعدة كان باطلا. و بهذا التحقيق يعرف سر قوله صلى اللّه عليه و سلم: «نيّة المؤمن خير من عمله».

## فصل فى فضل النية

[فصل فى فضل النية] فى فضل النية و أنها تحل حدقة المقصود فيؤثّر فيها، فاجتهد أن تستكثر من النية فى جميع أعمالك، حتى تنوى بعمل واحد نيات كثيرة؛ و لو صدقت رغبتك هديت لطريقه. و يكفيك مثال واحد، و هو أن الدخول فى المسجد و القعود فيه عبادة. و يمكن أن تنوى فيه ثمانية أمور: أولها: أن تعتقد أنه بيت اللّه عز و جل، و أن داخله زائر اللّه تعالى فتنوى ذلك؛ قال عليه السلام: «من قعد فى المسجد فقد زار اللّه تعالى». و حقّ على المزور إكرام زائره، و ثانيها: نية المرابطة، لقول اللّه تعالى: وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا [آل عمران ۲۰۰]. و قيل معناه انتظار الصلاة بعد الصلاة. و ثالثها: الاعتكاف، و معناه كفّ السمع و البصر و الأعضاء عن الحركات المعتادة، فإنه نوع صوم؛ قال صلى اللّه عليه و سلم: «رهبانية أمّتى القعود فى المساجد». و رابعها: الخلوة، و رفع الشواغل للزوم السرّ للفكر فى الآخرة، و كيفية الاستعداد لها. و خامسها: التجرّد للذكر و سماعه أو إسماعه، لقوله صلى اللّه عليه و سلم: «من غدا إلى المسجد يذكر اللّه تعالى أو يذكر به، كان كالمجاهد فى سبيل اللّه تعالى:». و سادسها: أن يقصد إفادة علم و تنبيه من يسىء الصلاة و نهيا عن منكر و أمرا بمعروف، حتى يتيسر بسببه خيرات و يكون شريكا فيها. و سابعها: أن تترك الذنوب حياء من اللّه عز و جل بأن

يحسن نيته فى نفسه، و قوله و عمله، حتى يستحى منه من رآه أن يقارف «۱» ذنبا. و ثامنها: أن تستفيد أخا فى اللّه، فإن ذلك غنيمة و ذخيرة لدار الآخرة. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۳۹ و المسجد يعشّش أهل الدين المحبين للّه و فى اللّه. و قس على هذا سائر الأعمال، فباجتماع هذه النيات، تزكو الأعمال، و تلتحق بأعمال المقرّبين، كما أنه بنقيضها يلتحق بأعمال الشياطين، كمن يقصد من القعود فى المسجد التحدّث بالباطل، و التفكه بأعراض الناس، و مجالسة أخدان «۱» اللهو و اللّعب، و ملاحظة من يجتاز به من النّسوان و الصبيان، و مناظرة من ينازعه من الأقران على سبيل المباهاة و المراءاة، باقتناص قلوب المستمعين لكلامه و ما يجرى مجراه. و كذلك لا ينبغى أن يغفل فى المباحات عن حسن النية، ففى الخبر: أن العبد يسأل يوم القيامة عن كلّ شىء حتى عن كحل عينيه، و عن فتات الطين بإصبعيه، و عن لمسه ثوب أخيه. و مثال النية فى المباحات أن من يتطيب يوم الجمعة يمكنه أن يقصد التنعم بلذته و التفاخر بإظهار ثروته، أو التزويق للنساء و أخدان الفساد، و يتصور أن ينوى اتّباع السنّة و تعظيم بيت اللّه تعالى، و احترام يوم الجمعة، و دفع الأذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة، و إيصال الراحة إليهم بالرائحة الطيبة، و حسم باب الغيبة، إذا شموا منه رائحة كريهة. و إلى الفريقين الإشارة بقوله صلى اللّه عليه و سلم: «من تطيب فى اللّه جاء يوم القيامة و ريحه أطيب من ريح المسك، و من تطيب لغير اللّه جاء يوم القيامة و ريحه أنتن من الجيفة».

## فصل فى أن النية لا تدخل تحت الاختيار

[فصل فى أن النية لا تدخل تحت الاختيار] اعلم أن النية لا تدخل تحت الاختيار، فلا ينبغى أن تغتر فتقول بلسانك و قلبك: نويت من القعود فى المسجد كذا و كذا؛ و تظن أنك قد نويت، إذ عرفت من قبل أن النية هى الباعث المتحرك الذى لولاه لم يتصور وجود العمل. و النية المتكلّفة كقول القائل: نويت أن أحب فلانا و أعشقه و أعظّمه؛ أو نويت أن أعطش أو أجوع أو أشبع. فإن لكل هذه دواعى و صوارف، و تحقّقها أسبابها، إذ لا يتصور حصولها دون أسبابها. و قول القائل: نويتها قبل تحققها، حديث نفس لا نيّة. فمن وطئ لغلبة شهوة الوقاع من أين ينفعه قوله نويت الوطء لحراثة الولد و تكثير عدد من به المباهاة، بل لا تظفر بانبعاث هذه النيات من قلبك إلا- إذا قوى إيمانك و تمّت معرفتك بحقارة الحظوظ العاجلة، و عظم ثواب الآخرة، حتى إذا غلب ذلك عليك انبعث منك الرغبة ضرورة فى كل ما هو وسيلة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۰ إلى ثواب الآخرة، و إن لم ينبعث فلا نيّة لك. و لمثل هذا توقف السّلف فى جملة من الخيرات، حتى روى أن محمد بن سيرين لم يصلّ على جنازة الحسن البصرى، و قال ليس تحضرنى النيّة. و قيل لطاوس: ادع لنا! فقال: حتى أجد له نيّة. و قال بعضهم: أنا فى طلب نية لعيادة رجل منذ شهر، فما صحّت لى نية بعد. و من عرف حقيقة النية و علم أنها روح العمل، فلا يتعب نفسه بعمل لا روح له، و يحقق ذلك أن المباح قد يصير أفضل من العبادة إذا حضرت فيه نية. فمن له نية فى الأكل و الشرب ليقوى على العبادة، و ليس تنبعث له نية الصوم فى الحال، فالأكل أولى له. و من ملّ العبادة و علم أنه لو نام لعاد نشاطه، فالنوم أفضل له. بل لو علم مثلا أن الترفه بدعابة و حديث مزاح فى ساعة يرد نشاطه، فذلك أفضل له من الصلاة مع الملال. قال صلى اللّه عليه و سلم: «إن اللّه لا يملّ حتى تملوا». و قال أبو الدرداء: إنى لأستجمّ نفسى بشىء من اللّهو فيكون ذلك عونا لى على الحق. و قال على- رضى اللّه عنه-: «روّحوا النفوس، فإنها إذا أكرهت عييت». و هذه دقائق يستثقلها الظاهريون من الفقهاء، كما يستثقل الطبيب الضعيف من الأطباء معالجة المحرور باللّحم؛ و الحاذق منهم قد يأمر به ليعود قوة المريض حتى يحتمل الدواء النافع بعده.

## الركن الثانى فى إخلاص النية:

## اشاره

الركن الثانى فى إخلاص النيـة: و قد قال اللّه تعالى: وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ [البينة: ۵]، و قال اللّه تعالى: أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ [الزمر: ۳]، و قال: إِلَّا الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ [النساء: ۱۴۶]. و قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: قال اللّه تعالى: «الإخلاص سرّ من سرّى استودعته قلب من أحببت من عبادى». و قال- عليه السلام- لمعاذ: «أخلص العمل، يجزك القليل منه». و قال- عليه السلام: «ما من عبد يخلص العمل أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

## فصل فى حقيقة الإخلاص

[فصل فى حقيقة الإخلاص] حقيقة الإخلاص تجرد الباعث الواحد، و يضادّه الإشـراك، و هو أن يشترك الباعثان، و هو كل ما يتطور أن يمازجه غيره؛ فإن صفا من كل شوب منه يسمّى خالصا. و قد عرفت أن النية هى الباعث، فمن لا يعمل إلا للرياء فهو مخلص، و من لا يعمل إلا الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۴۱ للّه فهو مخلص، و لكن خصـص الاسم بأحـد الجانبين بالعادة، كالإلحاد، فإنه ميل، و لكن خصـص بالميـل إلى الباطـل. و زوال الإخلاـص بشوائب الريـاء قـد ذكرنـاه، و لكن قـد يزول أيضا بأغراض أخر؛ فإن الصائم قد يقصـد من العبادة أن ينتفع بالحميـة الصالحـة الحاصـلة بالصوم، و قـد يقصـد المعتق أن يتخلّص بالعتق من مؤونة العبد و سوء خلقه، و الحاجّ يحجّ ليصـحّ مزاجه بحركة السـفر، أو يهرب من مشـقة تعهد العيال، أو من إيذاء الأعداء، أو من التبرم «۱» بالمقام مع الأهل، و المتعلم يتعلم العلم ليسـهل عليه طلب المعـاش، أو يكـون محروسـا بعز العلم عن الظلم، أو يكتب مصـحفا ليجوّد خطّه، أو يحـج ماشـيا ليخفف مؤونـة الكراء، أو يتوضأ ليتنظف أو يتبرّد، أو يغتسل لتطيب رائحته، أو يعتكف ليخفف عليه كراء المسـكن، أو يصوم ليخفف عن نفسه تعب الطّبخ و شـراء الطعام، أو يتصدق ليدفع عن نفسه إبرام السائل، أو يعود مريضا ليعاد إذا مرض. فهذه الأغراض قد يتجرد منها و قـد يشوب قصـد العبادة شوبا خفيّا، فإذا خطر شـىء من هـذه الأغراض فى الفعل، فقـد ذهب الإخلاص، و ذلك عسـير جـدا، و لذلك قال بعضـهم: فى إخلاص ساعة، نجاة الأبد، و لكن ذلك عزيز. و قال أبو سـليمان الدارانى: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا اللّه عز و جل. و كان معروف الكرخى يضرب نفسه و يقول: يا نفسى أخلصى تتخلّصى.

## فصل

فصل اعلم أن امتزاج هذه الشّوائب على مراتب، فإنها قد تغلب و قد تكون مغمورة، و قد تكون مساوية لقصد العبادة، و لا تمحو أصل الثواب فى المباحات. و مهما بقى شوب من إرادة اللّه عز و جل، فله ثواب بقـدر ذلك الشوب، و الباقى لا ثواب عليه. فأما إذا كان فى العبـادة أمر بأن يخلصـها اللّه تعالى، فإن كان الشوب غالبا بطلت العبادة، و إن كان مساويا أو مغلوبا بطل الإخلاص. و لكن هل يتوقف انعقاد العبادة و حصول أصلها على انتفاء الشوائب كلها؟ فيه نظر أشرنا إليه فى الرياء. و يطلب استقصاؤه من كتاب الإحياء.

## الركن الثالث الصدق

الركن الثالث الصـدق: و هو كمال الإخلاص؛ قال اللّه تعالى: رِجالٌ صَدَقُوا ما الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۲ عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... [الأحزاب: ۲۳] الآيـة. و قال النبى عليه السـلام: «إن الرجل ليصـدق و يتحرّى الصـدق حتى يكتب عند اللّه صدّيقا». و قال اللّه تعالى: وَ اذْكُرْ فِى الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا [مريم: ۴۱]. و يكفى بفضـيلة الصدق أن يدرك به فضـيلة الصّدّيقين. و اعلم أن للصدق

مراتب ستّا من بلغ فى جميعها رتبة الكمال استحق اسم الصّدق: أولها: الصدق فى القول فى جميع الأحوال، ما يتعلق بالماضى و المستقبل و الحال. و لهذا الصدق كمالان: أحدهما: الحذر عن المعاريض أيضا، فإنه و إن كان صدقا فى نفسه، فيفهم خلاف الحق. و المحذور من الكذب تفهيم خلاف الحقّ، إذ يكتسب القلب صورة معوجّة كاذبة بإزاء كذب اللسان، و إذا مال وجه القلب من الصحة إلى الاعوجاج لم يتجلّ الحق له على الصحة حتى لا يصدق رؤياه أيضا. و المعاريض لا توقع فى هذا المحذور لأنه صدق فى نفسه، لكن توقع فى المحذور، الثانى: و هو تجهيل المعنى، فلا ينبغى أن يفعل ذلك إلا لغرض صحيح. و كمال الثانى، أن يرعى الصدق فى أقاويله مع اللّه تعالى، فإذا قال: «وجّهت وجهى»، و فى قلبه فى تلك الحالة شىء سوى اللّه عز و جل، فهو كاذب، و إذا قال: «إياك نعبد»، و هو مع ذلك عبد للدنيا أو لنفسه أو لغيره لم يمكنه تحقيق صدق هذه الكلمة فى القيامة؛ و لذلك قال عيسى- عليه السلام- يا عبيد الدنيا. و قال نبينا صلى اللّه عليه و سلم: «تعس عبد الدرهم و الدينار». الصدق الثانى: فى النية؛ و هو أن يتمحض فيه داعية الخير، فإن كان فيه شوب فقد فات الصدق للّه؛ يقال هذا صادق الحموضة، و صادق الحلاوة، إذا كان محضا، فيرجع هذا إلى نفس الإخلاص. و الصدق الثالث: فى العزم؛ فإن العبد قد يعزم على التصدّق إن رزق مالا، و على العدل إن رزق ولاية، و عزمه تارة يكون مع ضعف و تردد، و تارة يكون جزما قويّا لا تردد فيه. فالجزم القوىّ يسمى قويّا صادقا، كما وجده عمر من نفسه- رضى اللّه عنه- حيث قال: لأن أقدّم فيضرب عنقى أحبّ إلىّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر- رضى اللّه عنه-. و درجات عزم الصديقين فى القوة قد تتفاوت، و أقصاها أن ينتهى إلى الرضاء بضرب الرقبة دون الحقيقة. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۳ و الصدق الرابع: الوفاء بالعزم؛ فإن النفس قد تسخو بالعزم أوّلا، و لكن عند الوفاء ربما تتوانى عن كمال التحقيق؛ لأن المئونة فى العزم هيّن، و إنما الشدة فى التحقيق، و لذلك قال تعالى: رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب: ۲۳]، و قال: وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ... [التوبة: ۷۵] إلى قوله: فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ [التوبة: ۷۷]. الصدق الخامس: فى الأعمال؛ بأن يكون بحيث لا يدل على شىء من الباطن إلا و الباطن متصف به. و معناه استواء السريرة و العلانية فالماشى على هدوء يدل بحكمه على أنه ذو وقار فى باطنه، فإن لم يكن كذلك فى الباطن و التفت قلبه إلى أن يخيّل إلى الناس أنه ذو وقار فى باطنه فذلك الرياء. و إن لم يلتفت إلى الخلق قلبه، و لكنه غافل، فليس ذلك برياء، و لكن يفوت به الصدق؛ و لذلك قال صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى، و اجعل لى علانية صالحة». و قال عبد الواحد: كان الحسن البصرى إذا أمر بشىء كان من أعمل الناس به، و إذا نهى عن شىء كان من أترك الناس له، و لم أرقط أحدا أشبه سريرته بعلانيته منه. الصدق السادس:- و هو أعلى أبوابه- الصدق فى مقامات الدين؛ كالخوف و الرجاء و الحب و الرضاء و التوكل و غيرها، فإن لهذه المقامات أوائل ينطلق الاسم بها، و لها حقائق و غايات؛ إذ يقال هذا هو الخوف الصادق، و هى الشهوة الصادقة، و لذلك قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا ... إلى قوله: أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحجرات: ۱۵]، و قال تعالى: وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ... إلى قوله: أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ... [البقرة: ۱۷۷] الآية. فهذه درجات الصدق، فمن تحقق فى جميعها فهو صدّيق، و من لم يصب بعضها فمرتبته بقدر صدقه. و من جملة الصدق تحقيق القلب بأن اللّه هو الرزّاق و التوكل عليه! فلنذكره.

## الأصل السابع فى التوكّل

### فصل فى حقيقة التوكل

#### اشاره

[فصل فى حقيقة التوكل] حقيقة التوكل عبارة عن حالة تصدر عن التوحيد، و يظهر أثرها على الأعمال، فهى ثلاثة أركان: المعرفة، و الحال، و العمل.

## الركن الأول: المعرفة

### فصل التوحيد له لبّان و قشران

[فصل التوحيد له لبّان و قشران] هذا التوحيد له لبّان و قشران، و طباقه أربع، كاللوز، له لبّ ثم الدّهن لبّ لبّه، و القشرة العليا قشر قشره. فالقشرة العليا القول باللسان المجرّد. الثانية: الاعتقاد بالقلب جزما، و هو درجة عوام الخلق، و درجة المتكلمين، إذ لا يتميزون عن العوام إلا بمعرفة الحيلة فى دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات. الثالثة: و هى اللّب، أن ينكشف بنور اللّه عز و جل حقيقة هذا التوحيد و سرّه بالحقيقة. و ذلك بأن يرى الأشياء الكثيرة، و يعلم أنها بجملتها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب. و ذلك بأن يعرف سلسلة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۵ الأسباب و كيفية تسلسلها و ارتباط أول السلسلة بسبب الأسباب. و صاحب هذا المقام بعد فى تفرقة لأنه يرى الأفعال و كثرتها و ارتباطها بالفاعل. الرابعة: و هو لبّ اللب، أن لا يرى فى الوجود إلا واحدا و يعلم أن الموجود بالحقيقة واحد، و إنما الكثرة فيه فى حق من تفرق نظره كالذى يرى من الإنسان مثلا رجله، ثم يده، ثم وجهه، ثم رأسه، فيغلب عليه كثرته، فإن رأى الإنسان جملة واحدة لم يخطر بباله الآحاد، بل كان كمدرك الشيء الواحد. فكذلك الموحّد لا يفرق نظره بين السماء و الأرض و سائر الموجودات، بل يرى الكلّ فى حكم الشيء الواحد. و هذا له غور، و يستدعى كشفه تطويلا فاطلبه من كتاب التوحيد و الشكر من كتب الإحياء لتقف على تلويحات منه. و الفناء فى التوحيد إنما يقع فى هذا التوحيد؛ و ذلك بأن يصير مستغرقا بالواحد الحق، حتى لا يلتفت قلبه إلى غيره و لا إلى نفسه، فإن نفسه- من حيث هى نفسه- غير اللّه، و إن لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر آخر، و اعتبار على وجه آخر.

### فصل فى حقيقة التوكل

[فصل فى حقيقة التوكل] حقيقة التوكل إنما يستدعى توحيد الفعل و لا يستدعى الفناء فى توحيد الذات، بل المتوكل يجوز أن يرى الكثرة و الأسباب و المسببات، و لكن ينبغى أن يشاهد ارتباط السلسلة بمسببها. و ما عندى أن ذلك يخفى عليك فيما يدخل فيه اختيار الآدميين، فإنك إن رأيت المطر سببا فى النبات، فتعلم أن المطر مسخّر بواسطة الغيم، و الغيم مسخر بواسطة الريح و أبخرة الجبال، و كذلك الجبال جمادات مسخرة إلى أن ينتهى إلى الأول لا محالة. و إن كنت لا تعرف عدد الوسائط فلا يضرّك ذلك، و إنما الذى يخفى عليك أفعال الآدميين، فإنك تقول: من أطعمنى طعاما فإنه يطعمنى باختياره، إن شاء أعطى، و إن شاء منع، فكيف لا أراه فاعلا و إنما مثلك فى الالتفات إليه مثل النملة، ترى الخط على البياض يحصل من حركة القلم. فتضيف ذلك إلى القلم، إذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لا تمد إلى الإصبع، و منها إلى اليد، و منها إلى القدرة المحركة لليد، و منها إلى الإرادة التى القدرة مسخّرة لها، و منها إلى المعرفة التى يتوقف انبعاث الإرادة و انجزامها عليها، و منها إلى صاحب القدرة و العلم و الإرادة. فكذلك أنت تضيف أفعال العباد إلى إرادتهم و معرفتهم و قدرتهم، إذ ليس يمتد نظرك إلى القلم الذى تنسطر المعرفة به فى ألواح القلوب، و منه إلى الأصابع التى تنتهى إلى قلوب العباد، و منها إلى اليد التى بها خمرت طينة آدم، و منها إلى القدرة التى بها تتحرك اليد لتخمير الطينة، و منها إلى القادر الذى منه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۶ يبدأ و إليه يعود. و ذلك لأنك لا تعرف معنى قول النبى صلى اللّه عليه و سلم: «إن اللّه خلق آدم على صورته»، و لا معنى قوله «۱» تعالى: «خمرت طينة آدم بيدى»، و لا معنى قوله تعالى: عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ، كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى [العلق: ۴، ۵، ۶]. فإنك لا تعلم قلما إلا من قصب، و لا يدا و لا أصابع إلا من لحوم و عظام، و لا صورة إلا للألوان و الأشكال. فإن انكشف لك ذلك علمت أنك إذا رميت ما رميت، و لكن اللّه رمى، حيث سلط عليك

دواعى جازمة، و معرفة حاكمة على القطع، بأن نجاتك فى الرمى مثلا. حتى انبعثت القدرة التى انفرد بخلقها خادمة للإرادة، و المعرفة خادمة بالتّسخير و الاضطرار، علمت أنك مضطر إلى عين الاختيار، فتفعل إن شئت ذلك، و تشاء إذا شاء اللّه، شئت أم أبيت. و هذا الآن فيه سرّ يحرّك قاعدة الجبر و الاختيار، و يوهم تناقض التوحيد و تكليف الشرع، و قد شرحناه فى كتاب التوحيد و التوكل و الشكر من كتب الإحياء. فاطلبه منه إن كنت من أهله.

## فصل لا يكفى الإيمان بتوحيد الفعل و الذات

[فصل لا يكفى الإيمان بتوحيد الفعل و الذات] لا يكفى الإيمان بتوحيد الفعل و الذات فى إثارة حالة التوكل حتى ينضاف إليه الإيمان بالرحمة و الجود و الحكمة، إذ به تحصل الثقة بالوكيل الحق، و هو أن يعتقد جزما أو ينكشف لك بالبصيرة أن اللّه تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم بل على أكمل ما يتصور أن يكون عليه حال العقل، ثم زادهم أضعاف ذلك علما و حكمة، ثم كشف لهم عواقب الأمور و أطلعهم على أسرار الملكوت و لطائف الحكمة، و دقائق الخير و الشر، ثم أمرهم أن يدبّروا الملك و الملكوت، لما دبّروه بأحسن مما هو عليه، و لم يمكنهم أن يزيدوا عليه أو ينقصوا منه جناح بعوضة، و لم يستصوبوا البتة دفع مرض و عيب و نقص و فقر و ضر و جهل و كفر، و لا أن يغيروا قسمة اللّه تعالى من رزق و أجل و قدرة و عجز و طاعة و معصية، بل شاهدوا جميع ذلك عدلا محضا لا جور فيه، و حقّا صرفا لا نقص فيه، و استقامة تامة لا قصور فيها و لا تفاوت، بل كل ما يرون نقصا فيرتبط به كمال آخر أعظم منه، و ما ظنّوه ضررا فتحته نفع أعظم منه، لا يتوصل إلى ذلك النفع إلا به. و علموا قطعا أن اللّه تعالى حكيم جواد رحيم، لم يبخل على الخلق أصلا، و لم الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۷ يدّخر فى إصلاحهم أمرا، و هذا الآن بحر آخر فى المعرفة، يحرّك أمواجه سرّ القدر الذى منع من ذكره المكاشفون، و تحير فيه الأكثرون، و لا يعقله إلا العالمون، و لا يدرك تأويله إلا الرّاسخون. و أن حظ العوام، أن يعتقدوا أن كل ما يصيبهم لم يكن ليخطئهم، و ما يخطئهم لم يكن ليصيبهم. و أن ذلك واجب الحصول بحكم المشيئة الأزلية، و أنه لا رادّ لحكمه، و لا معقّب لقضائه، بل كل صغير و كبير مستطر «۱»، و حصوله بقدر معلوم منتظر، وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ [القمر: ۵۰].

## الركن الثانى: حال التوكل

### اشاره

الركن الثانى: حال التوكل ؛ و معناه أن تكل أمرك إلى اللّه عز و جل، و يثق به قلبك، و تطمئن بالتفويض إليه نفسك، و لا تلتفت إلى غير اللّه أصلا؛ و يكون مثالك مثال من وكّل فى خصومته فى مجلس القاضى من علم أنه أشفق الناس عليه، و أقواهم فى كشف الباطل، و أعرفهم به، و أحرصهم عليه، فإنه يكون ساكنا فى بيته، مطمئن القلب غير متفكر فى كل الخصومة، غير مستعين بآحاد الناس، لعلمه بأن وكيله حسبه و كافيه فى غرضه، و أنه لا يقاومه غيره. فمن تحققت معرفته بأن الرزق و الأجل و الخلق و الأمر بيد اللّه تعالى، و هو منفرد به لا شريك له، و أن جوده و حكمته و رحمته لا نهاية لها و لا يوازيها رحمة غيره و جوده، و اتّكل قلبه بالضرورة عليه، و انقطع نظره عن غيره؛ فإن لم ينقطع فلا يكون ذلك إلا لأحد أمرين: أحدهما: ضعف اليقين بما ذكرناه؛ و ضعف اليقين إنما يكون لتطرق شك إليه أو لعدم استيلائه على القلب. فإن الموت يقين لا شك فيه، و لكنه إذ لا يستولى على القلب فهو كشكّ لا يقين فيه. الأمر الثانى: أن يكون القلب فى الفطرة جبانا ضعيفا، فالجبن و الجرأة فطرتان، و الجبن يوجب كون النفس مطيعة لأوهام لا

شكّ فى بطلانها، حتى قد يخاف الإنسان أن يبيت مع الميت فى فراش، أو فى بيت، مع علمه بأن اللّه لا- يحييه، و أن قدرته عليه كقدرته على أن يقلب فى يده العصا حيّة، و هو لا- يخاف ذلك. بل قد يشبه العسل الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۴۸ بالعذرة فيتعذر عليه تناوله مع علمه بأنه تشبيه كاذب، و ذلك لخور النفس و طاعة الأوهام. فكما لا يخلو الإنسان عن شىء منه و إن ضعف، فكذلك لا يبعد أن يحصل اليقين بالتوحيد بحيث لا يخالجه ريب، و مع ذلك فيفرغ القلب إلى الأسباب.

## فصل فى درجات التوكل

[فصل فى درجات التوكل] إذا عرفت أن التوكل عبارة عن حالة القلب فى الثقة بالوكيل الحق، و قطع الالتفات إلى غيره، فاعلم أن فيه ثلاث درجات: إحداها ما ذكرناه، و هو كالثقة بالوكيل فى الخصومة، بعد اعتقاد كماله فى الهداية و القدرة و الشفقة. الثانية، و هى أقوى منها، تضاهى حالة الصبىّ فى ثقته بأمه، و فزعه إليها فى كلّ ما يصيبه، و ذلك لثقته بشفقتها و كفالتها؛ و لكنه فى توكله فان عن توكله «۱» فإنه ليس يحصله بفكر و كسب، و إن كان لا- يخلو توكله عن نوع إدراك؛ و أما التوكل على الوكيل بالخصومة، فكالمكتسب بالفكر و النظر. و الثالثة: و هى الأعلى، أن يكون بين يدى اللّه تعالى كالميت بين يدى الغاسل، لا كالصبى، فإنه يزعق بأمه و يتعلق بذيلها، بل هذا كالصبى علم أنه و إن لم يزعق بأمه فإنها تطلبه، و إن لم يتعلق بذيلها فهى تحمله، و إن لم يسألها فهى تبتدىء بإرضاعه، فيكون هذا الشخص فى حق اللّه عزّ و جلّ ساقط الاختيار، لعلمه بأنه مجرى القدر فلا يبقى فيه متسع لغير الانتظار لما يجرى عليه. و هذا المقام يأبى الدعاء و السؤال، و لا يمتنع الدعاء فى المقام الثانى و الأول، و يمتنع التدبير فى المقام الأخير، و يمتنع فى الثانى أيضا، إلا فى التعلق بالوكيل فقط. و فى الأول يمتنع التدبير بالتعلق بغيره، و لا يمتنع بالطريق الذى رسمه الوكيل و سنّه له و أمره به.

## الركن الثالث فى الأعمال

## فصل ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه

[فصل ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه] اعلم أن ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه، و قوى قلبه. و أما الضعيف الذى يضطرب قلبه لو لم يدخر لم يتفرغ للعبادة، فالأفضل له أن يدع طريق المتوكلين. و لا يحمّل نفسه ما لا يطيقه، إذ فساد ذلك فى حقه أكثر من صلاحه، بل يعالج كل واحد على حسب حاله و قوته. و قد تنتهى القوة إلى أن يجوز السفر فى البوادى من غير زاد، و ذلك لمن يصبر عن الطعام أسبوعا، و يقنع بالحشيش؛ فإن ذلك لا يعوزه غالبا فى البادية. فأما الضعيف إذا فعل ذلك فهو عاص ملق نفسه فى التهلكة. و القوىّ إن حبس نفسه فى كهف جبل ليس فيه حشيش و لا- يجتاز به إنسان، فذلك أيضا حرام؛ لأنه خالف سنّة اللّه تعالى فى خلقه؛ و إنما جاز له ذلك فى البوادى، لأن سنّة اللّه جارية بأنها لا تخلو عن الحشيش، و قد يجتاز بها الآدميون، فإذا قوى كان هلاكه نادرا، فلم يكن بذلك عاصيا، فله أن يسافر فى البادية متّكلا على لطيف صنع اللّه تعالى، و غير قاصر التفاته على الأسباب الجليّة الواضحة.

## الأصل الثامن فى المحب

### اشاره

الأصل الثامن فى المحبة: قال اللّه تعالى: يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ [المائدة: ۵۴]، و قال: قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكَمْ وَ أَزْواجُكَمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ... [التوبة: ۲۴] الآية. و قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون اللّه و رسوله أحب إليه مما سواهما». و قال عليه السلام: «أحبوا اللّه لما يغذوكم به من نعمة، و أحبونى لحب اللّه عز و جل». و قال أبو بكر الصديق- رضى اللّه عنه- «من ذاق خالص محبة اللّه عز و جل منعه ذلك من طلب الدنيا، و أوحشه من جميع البشر». و قال الحسن البصرىّ- رحمة اللّه عليه- من عرف الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۱ اللّه تعالى أحبّه، و من عرف الدنيا زهد فيها. و المؤمن لا يلهو حتى يغفل، و إذا تفكر حزن.

## فصل فى أن أكثر المتكلمين أنكروا محبّة اللّه تعالى

[فصل فى أن أكثر المتكلمين أنكروا محبّة اللّه تعالى] اعلم أن أكثر المتكلمين أنكروا محبّة اللّه تعالى و أوّلوها، و قالوا: لا معنى لها إلا لامتثال أوامره، و إلا فما لا يشبهه شىء و لا يشبه شيئا، و لا يناسب طباعنا، فكيف نحبه؟ و إنما يتصور منّا أن نحب من هو من جنسنا، و هؤلاء محرومون بجهلهم بحقائق الأمور. و قد كشف الغطاء عن هذا فى كتاب المحبة من كتب الإحياء فطالعها لتصادف منها أسرارا تخلو الكتب عنها. فاقنع فى هذا المختصر بتلويحات و إشارات.

## فصل فى أن كلّ لذيذ محبوب

[فصل فى أن كلّ لذيذ محبوب] اعلم أن كلّ لذيذ محبوب، و معنى كونه محبوبا ميل النفس إليه، فإن قوى الميل سمّى عشقا، و معنى كونه مبغوضا نفرة النفس عنه لكونه مؤلما. فإن قوى البغض و النّفرة سمى مقتا. و اعلم أن الأشياء التى تدركها بحواسك و جميع مشاعرك، إما أن تكون موافقة لك ملائمة، و هو اللذيذ، أو تكون منافية مخالفة، و هو المؤلم. أو لا موافقة و لا مخالفة، و هو الذى لا ألم فيها و لا لذة. و كل لذيذ محبوب، أى للنفس الملتذة به ميل لا محالة إليه. و اعلم أن اللذة تتبع الإدراك، و الإدراك إدراكان: ظاهر و باطن. أمّا الظاهر فبالحواس الخمس، فلا جرم لذة العين فى الصور الجميلة، و لذة الأذن فى النغمات الموزونة الطيبة، و لذة الذوق و الشم فى الطعوم و الروائح الملائمة الموافقة، و لذة جملة البدن فى ملابسة الناعم اللين، و جملة ذلك محبوبة للنفس، أى للنفس ميل إليها. و أما الإدراك الباطن، فهو اللطيفة التى محلها القلب، تارة يعبر عنها بالعقل، و تارة بالنور، و تارة بالحس السادس. و لا تنظر إلى العبارات فتغلط، بل قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «حبب إلىّ من دنياكم ثلاث: الطيب و النساء و قرة عينى فى الصلاة». فتعلم أن الطيب و النساء فيهما حظ الشم و اللمس و البصر، و الصلاة لا حظ فيها للحواس الخمس، بل للإدراك السادس الذى محله القلب، و لا يدركها من لا قلب له، و أن اللّه يحول بين المرء و قلبه. و من اقتصر من لذته على الحواس الخمس فهو بهيمة، لأن البهيمة تشاركه فيها؛ و إنما الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۲ خاصية الإنسان التميز بالبصيرة الباطنة. و لذة البصر الظاهر، فى الصور الجميلة الظاهرة، و لذة البصيرة الباطنة، فى الصور الجميلة الباطنة.

## فصل ما معنى الصور الجميلة الباطنة؟

[فصل ما معنى الصور الجميلة الباطنة؟] لعلك تقول: ما معنى الصور الجميلة الباطنة؟ فأقول ما عندى أنك لا تحس من نفسك حب الأنبياء و العلماء و الصحابة، و لا تدرك من نفسك تفرقة بين الملك العادل العالم الشجاع الكريم العطوف على الخلق، و بين الظالم الجاهل البخيل الفظّ الغليظ. و ما عندى أنك إذا حكى لك صدق أبى بكر، و سياسة عمر، و سخاوة عثمان، و شجاعة على- رضوان اللّه عليهم- لا تجد فى نفسك هزة و ارتياحا و ميلا إلى هؤلاء، و إلى كل موصوف بخلال الكمال من نبىّ و صدّيق و عالم. و كيف تنكر هذا، و فى الناس من يقتدى بنفسه أرباب المذاهب، و يحمله حبه لهم على البذل بالمال و النفس فى الذب عنهم، و تجاوز ذلك

حدّ العشق، و أنت تعلم أن حبك لهؤلاء ليس لصورهم الظاهرة، فإنك لم تشاهدها، و لو شاهدتها ربما لم تستحسنها، و إن استحسنت، فلو تشوهت صورهم الظاهرة، و بقيت صفاتهم المعنوية الباطنة، لبقى حبهم. و إذا فتشت عن محبوبك منهم، رجع- بعد التفصيل الطويل الذى لا يحتمله هذا الكتاب- إلى ثلاث صفات: العلم و القدرة و النزاهة عن العيوب. أما العلم، فكعلمهم باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و عجائب ملكوته و دقائق شريعة أنبيائه. و أما القدرة، فكقدرتهم على أنفسهم بكسر شهوتها، و حملها على الصراط المستقيم. و قدرتهم على العبادة بسياستهم، و إرشادهم إلى الحق. و أما النزاهة، فكسلامة باطنهم من عيب الجهل و البخل و الحسد و خبائث الأخلاق؛ و اجتماع كمال العلم و القدرة مع حسن الأخلاق، و هو حسن الباطن، و هى الصورة الباطنة التى لا تدركها البهيمة، و من فى مثل حالها بالبصر الظاهر. ثم إذا أحببت هؤلاء بهذه الصفات، و علمت أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان أجمع منهم لهذه الخصال، كان حبك له أشد بالضرورة، فارتفع نظرك الآن من النبى إلى مرسل النبى و خالقه و المتفضل على الخلق ببعثه، لتعلم أن بعثه الأنبياء حسنة من حسناته. ثم انسب قدرة الأنبياء و علمهم و طهارتهم إلى علم اللّه سبحانه و قدرته و قدسه، لتعلم أنه لا قدّوس سوى الواحد الحق، و أن غيره لا يخلو من عيب و نقص؛ بل العبودية أعظم أنواع الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۳ النقص، فأىّ كمال لمن لا- قوام له بنفسه، و لا- يملك لنفسه موتا و لا حياة و لا رزقا و لا أجلا! و أىّ علم لمن يشكل عليه صفات باطنه فى مرضه و صحته، بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة، و تفصيلها و حكمها بالتحقيق، فضلا عن ملكوت السموات و الأرض! و انسب هذا إلى العلم الأزلىّ المحيط بجميع الموجودات، و معلومات لا نهاية لها إلى الذى لا يعزب عنه مثقال ذرّة فى السموات و لا فى الأرض، و إلى قدرة خالق السموات و الأرض الذى لا يخرج موجود عن قبضة قدرته فى وجوده و بقائه و عدمه؛ و انسب نزاهته من العيوب إلى قدسه، لتعلم أنه لا قدس و لا قدرة و لا علم إلا للواحد الحق، و إنما لغيره القدرة التى أعطاه، وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ [البقرة: ۲۵۵] وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء: ۸۵] فانظر الآن هل يمكنك أن تنكر أن هذه الصفات و المحامد محبوبة، أو تنكر أن الموصوف بكمال الجلال هو اللّه تعالى؟ و انظر كيف تنكر حبه بعد ذلك!

## فصل الميل إلى المنعم المحسن

[فصل الميل إلى المنعم المحسن] إن قصّرت بصيرتك عن إدراك الجلال و الكمال و الميل إلى مطالعته و الفرح به و العشق له، فلا تقصر عن الميل إلى المنعم المحسن إليك، و لا تكونن أقلّ من الكلب، فإنه يحب صاحبه الذى يحسن إليه. و تأمل هذا فى العالم، هل لأحد إحسان إليك سوى اللّه تعالى؟ و هل لك حظ و لذة و تنعّم فى شىء و حرص على نعمة إلا و اللّه سبحانه خالقها و مبديها و مبقيها و خالق الشهوة إليها و التلذذ بها؟ و تفكر فى أعضائك و لطف صنع اللّه تعالى بك فيها، لتحبه بإحسانه إليك، فتكون من عوام الخلق إن لم تقدر أن تحبه لجماله و جلاله و كماله، كما تحبه الملائكة لذلك، و امتثال قوله عليه السلام: «أحبوا اللّه لما يغذوكم به من نعمه و أحبونى لحبّ اللّه». و عند هذا تكون كالعبد السوء، يحب و يعمل للأجرة و النفقة، فلا جرم يزيد حبّك و ينقص بزيادة الإحسان و نقصانه؛ و ذلك ضعيف جدا؛ بل الكامل من يحب اللّه لجلاله و جماله و محامد صفاته التى لا يتصور أن يشارك فيها. و لذلك أوحى اللّه تعالى إلى داود عليه السلام: «إن أودّ الأودّاء إلىّ من عبدنى بغير نوال، لكن ليعطى الربوبية حقها». و فى الزبور: «من أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار، لو لم أخلق جنة و لا نارا، أ لم أكن أهلا أن أطاع؟» و مرّ عيسى- عليه السلام- بطائفة من العبّاد و قد تخلّوا للعبادة، و قالوا نخاف النار و نرجو الجنة، فقال: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۴ مخلوقا خفتم و مخلوقا رجوتم. و مر بقوم آخرين كذلك، فقالوا: نعبده حبّا و تعظيما لجلاله، فقال: أنتم أولياء اللّه حقّا، و معكم أمرت أن أقيم.

## فصل العارف لا يحب إلا اللّه تعالى

[فصل العارف لا- يحب إلا- اللّه تعالى] العارف لا يحب إلا اللّه تعالى، فإن أحبّ غيره فيحبه للّه عز و جل، إذ قد يحبّ المحبّ عبد

المحبوب و أقاربه و بلده و ثيابه و ضيعته و تصنيفه، و كل ما هو منه و إليه نسبته. و كل ما فى الوجود صنع اللّه عز و جل و تصنيفه، و كل الخلق عباد اللّه تعالى؛ فإن أحبّ الرسول أحبّه لأنه رسول محبوبه و حبيبه. و إن أحب الصحابة فلأنهم محبوبو رسوله، و لأنهم محبوه و عبيده و المواظبون على طاعته. و إن أحب طعاما فلأنه يقوّى مركبه الذى به يصل إلى محبوبه، أعنى البدن. و إن أحب الدنيا، فلأنها زاده إلى محبوبه. و إن أحب النظر إلى الأزهار و الأنهار و الأنوار و الصور الجميلة، فلأنها صنعة محبوبه، و هى دلالات على جماله و جلاله، و مذكّرات لصفات المحامد التى هى المحبوبة فى ذاتها. و إن أحبّ المحسن إليه و المعلم إياه علوم الدين، فيحبه لأنه واسطة بينه و بين محبوبه فى إيصال علمه و حكمه إليه. و يعلم أنه الذى قيّضه لتعليمه و إرشاده، و الإنفاق عليه من ماله، و أنه لولا تسليط الدواعى إليه و اضطراره بسلسلة البواعث و الأغراض إلى إرشاده و الإنفاق عليه لما فعله. و أعظم الخلق إحسانا علينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و للّه المنّة و الفضل بخلقه و بعثه، كما قال: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعة: ۲]. و لذلك قال اللّه تعالى: إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ، وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ [القصص: ۵۶]. و تأمل سورة الفتح و قوله تعالى: وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً [النصر: ۲، ۳]. فقد أنزله منزلة النظارة و قال: إذا رأيت عباد اللّه يدخلون فى دين اللّه فقل بحمد اللّه لا بحمدى، و هو معنى التسبيح بحمد ربه. فإن التفت قلبك إلى نفسك و سعيك فاستغفره ليتوب عليك. و اعلم أنه ليس لك من الأمر شىء. و من هاهنا نظر عمر- رضى اللّه عنه- حيث وصل كتاب خالد بعد فتح مكة: «من خالد سيف اللّه المسلول على المشركين إلى أبى بكر أمير المؤمنين». فقال: إن نصر اللّه المسلمين نظر خالد إلى نفسه و يسميها سيفا مسلولا على المشركين. و لو لا حظ الحق كما هو لعلم أن ليس ذلك بسيفه و لكن للّه



تعالى سر فى إرادته بنصرة الإسلام، فينصره بخطرة واحدة و هو خاطر رعب يلقيه فى قلب كافر فينهزم، و ينظر إليه غيره فينهزم و تعم الهزيمة، فينظر خالد و من هو فى مثل حاله أنه علا كلمة الإسلام بصرامته وحدة سيفه، و يطلع عمر- رضى اللّه عنه- و من هو فى مثل حاله من الصّديقين و الأولياء على حقيقة الحال، و يعلم حاجة خالد إلى الاستغفار، و أن يسبح بحمد ربه إذا رأى ذلك كما أمر به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فإذا لا موجب للمحبة إلا أمران: أحدهما الإحسان و الآخر غاية الجلال و الجمال بكمال الجود و الحكمة و العلو و القدرة و التقديس من العيب و النقص. و لا إحسان إلا منه، و لا جلال و لا جمال و لا قدس إلا له. فكل ما فى العالم من حسن و إحسان فهو حسنة من حسنات جوده، يسوقها إلى عباده بخطرة واحدة يخلقها فى قلب المحسن. فكل ما فى العالم من صور مليحة، و هيئة جميلة يدرك بعين أو سمع أو شم، فأثر من آثار قدرته، و هى بعض معانى جماله. فليت شعرى! لمن عرف بالمشاهدة المحققة و البرهان القاطع جميع هذا، كيف يتصور أن يلتفت إلى غير اللّه تعالى، أو يحب غير اللّه عز و جل؟

## فصل اعلم أن لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية

[فصل اعلم أن لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية] اعلم أن لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية، أعظم من كل لذة يتصور أن يكون فى الدنيا سواها؛ و ذلك لأن اللذة على قدر الشهوة، و قوة الشهوة على قدر الملاءمة و الموافقة مع المشتهى. و كما أن أوفق الأشياء للأبدان الأغذية، فأوفق الأشياء للقلوب المعرفة، فالمعرفة غذاء القلب، و أعنى بالقلب الروح الربانى الذى قال اللّه تعالى فيه: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [الإسراء: ۸۵]، و قال تعالى: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى [الحجر: ۲۹، ص: ۷۲] فأضافه إلى نفسه. و هذا الروح لا يكون للبهائم و لمن هو فى مثل حالها من الإنس، بل يختص به الأنبياء و الأولياء؛ و لذلك قال تعالى: وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا [الشورى: ۵۲] فالمعرفة أوفق الأشياء لهذه الروح، لأن الأوفق لكل شىء خاصيته؛ فالصوت الطيب لا يوافق البصر، لأنه ليس من خاصيته. و خاصية روح الإنسانى معرفة الحقائق، و كلما كان المعلوم أشرف، كان العلم به ألذ؛ و لا أشرف من اللّه و ملكوته و لا

أجلّ منه، فمعرفته و معرفة صفاته و ذاته و عجائب ملكه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۶ و ملكوته ألذّ الأشياء عند القلب؛ لأن شهوة ذلك أشدّ الشهوات؛ و لذلك يخلق آخرا بعد سائر الشهوات. و كل شهوة تأخرت فهى أقوى مما قبلها؛ فأول ما يخلق شهوة الطعام، ثم يخلق له شهوة الوقاع، فيترك شهوة الطعام لأجله و يستحقر فيه. ثم يخلق له شهوة الرئاسة و الجاه و الغلبة، و يستحقر فيها شهوة المنكح و المطعم. ثم يخلق له شهوة المعرفة التى هى استيلاء على كلّ الموجودات، فيستحقر فيها الجاه و الرئاسة؛ و هى آخر شهوات الدنيا و أقواها. و كما أن الصبى ينكر شهوة الوقاع، و يتعجب ممن يتحمل مؤونة النكاح لأجلها، فإذا بلغ شهوة الوقاع أكبّ عليها و أنكر الجاه و الرئاسة و لم يبال بفواتها فى قضاء شهوة الفرج؛ فكذلك المشغوف «۱» بشهوة الجاه و الرئاسة، ينكر لذة المعرفة، إذ لم يخلق فيه بعد شهوتها؛ و قد تنتهى شهوة شرهه للجاه إلى مرض قلبه، حتى لا يقبل شهوة معرفة اللّه عز و جل أصلا، كما يفسد مزاج المريض شهوته للغذاء حتى يموت. و قد ينعكس طبعه، فيشتهى الطين و الأشياء المضرة المهلكة، و هى مقدّمات الموت. فكذلك مرض القلب، قد ينتهى إلى حد ينكر المعرفة و يبغضها، و يبغض أهلها و المقبلين عليها، و لا يدرك إلّا لذة الرئاسة أو المطعم و المنكح. و ذلك هو الميت الذى لا يقبل العلاج، و فى مثله قيل: إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً، وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً [الكهف: ۵۷] و فيهم قيل: أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النحل: ۲۱].

## فصل لذة النظر إلى وجه اللّه الكريم

[فصل لذة النظر إلى وجه اللّه الكريم] هذه المعرفة و إن عظمت لذتها، فلا نسبة لها إلى لذة النظر إلى وجه اللّه الكريم فى الدار الآخرة. و ذلك لا يتصور فى الدنيا لسرّ لا يمكن الآن كشفه، و لا ينبغى أن تفهم من النظر ما يفهمه العوام و المتكلمون، فيحتاج فى تقديره إلى جهة و مقابلة. فذلك من نظر من أقعده القصور فى بحبوحة عالم الشهادة، حتى لم يجاوز المحسوسات التى هى مدركات البهائم. لكن ينبغى أن تفهم أن الحضرة الربوبية، تنطبع صورتها و ترتيبها الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۷ العجيب على ما هو عليه من البهاء و العظمة و الجلال و المجد، فى قلب العارف، كما تنطبع مثلا صورة العالم المحسوس فى حواسك، فكأنك تنظر إليه و إن غمضت عينيك. فإن فتحت العين و وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها فى شىء إلّا أن الإبصار فى غاية الوضوح بالنسبة إلى التخيل. و كذلك ينبغى أن تعلم أن فى إدراك ما لا يدخل فى الخيال و الحس أيضا فى درجتين متفاوتتين فى الوضوح غاية التفاوت، و نسبة الثانية إلى الأولى كنسبة الإبصار إلى التخيل، فتكون الثانية غاية الكشف، فيسمى لذلك مشاهدة و رؤية. و الرؤية لم تسمّ رؤية لأنها فى العين، إذ لو خلقت فى الجبهة لكانت رؤية؛ بل لأنها غاية الكشف. و كما أن تغميض الأجفان حجاب من غاية الكشف فى المبصر، فكدورة الشهوات و شواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غاية المشاهدة؛ و لذلك قال اللّه تعالى: لَنْ تَرانِي [الأعراف: ۱۴۳]. و قال تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: ۱۰۳]. فإذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة، و يكون مشاهدة كل واحد على قدر معرفته؛ و لذلك تزيد لذة أولياء اللّه سبحانه فى النظر على لذة غيرهم، و يتجلّى اللّه تعالى لأبى بكر- رضى اللّه عنه- خاصة، و يتجلى للناس عامة. و كذلك لا يراه إلا العارفون؛ لأن المعرفة بدء النظر، بل هى التى تنقلب مشاهدة، كما ينقلب التخيل إبصارا. فلذلك لا يقتضى مقابلة وجهه. و سرّ هذا طويل، فاطلبه من كتاب المحبة فى الإحياء.

## فصل

فصل لو كان معشوقك و أنت تراه من وراء ستر رقيق فى وقت الإسفار و فى حالة ضعف الضوء، و فى حالة اجتمع عليك تحت ثوبك عقارب و زنابير تلدغك و تشغلك، فلا يخفى أن لذتك من مشاهدة معشوقك تضعف. فلو أشرقت الشمس دفعة واحدة فارتفع الستر الرّقيق، و انصرفت عنك العقارب و الزنابير، و هجم عليك العشق المفرط البليغ، فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة التى تحصل الآن إلى ما كان قبل ذلك. و كذلك فافهم أنه لا يشبه لذة النظر إلا لذة المعرفة بل هى أعظم منها كثيرا. و الستر الرّقيق قالبك. و

العقارب شواغل الدنيا و غمومها و شهواتها، و هجوم العشق شدة الشهوة لانقطاع المضعّفات و المنغّصات عنها، و إشراق الشمس هو استعداد حدقة القلب لاحتمال تمام التجلّى، فإنها فى هذه الحياة لا يحتمل بصر الخفّاش نور الشمس. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۸

## فصل إنما ضعفت شهوة معرفة اللّه تعالى لزحمة سائر الشهوات

[فصل إنما ضعفت شهوة معرفة اللّه تعالى لزحمة سائر الشهوات] إنما ضعفت شهوة معرفة اللّه تعالى لزحمة سائر الشهوات، و إنما خفيت معرفة اللّه تعالى مع جلائها لشدة ظهورها؛ و مثاله: أنك تعلم أن أظهر الأشياء المحسوسات، و منها المبصرات، و منها النور الذى به يظهر لك الأشياء. ثم لو كانت الشمس دائمة لا تغيب و لا يقع لها ظل، لكنت لا تعرف وجود النور، و كنت تنظر إلى الألوان فلا ترى إلا الحمرة و السواد و البياض. فأما النور فلا تدركه إلا بأن تغيب الشمس، أو يقع لها حجاب بما له ظل، فتدرك- باختلاف الأحوال بين الظلمة و الضياء- أن النور شىء آخر، يعرض للألوان فتصير مبصرة؛ و لو تصوّر للّه سبحانه غيبة أو لأنوار قدرته حجاب عن بعض الأشياء لأدركت من التفاوت ما يضطر معه إلى المعرفة. و لكن الموجودات كلها، لما تساوت فى الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت، خفى الأمر لشدّة جلائه. و لو تصور انقطاع أنوار قدرته عن السموات و الأرض، لانهدمت و انمحقت و أدرك فى الحال من التفاوت ما يضطر إلى المعرفة بالقدرة و القادر. و هذا مثال ما ذكرناه، و تحته أسرار، و فيه مواقع غلط؛ فاجتهد، لعلك تقف على أسراره، و لا ترتبك فى مواقع غلطه، فمنه غلط من قال: إنه فى كل مكان. و كل من نسبه إلى مكان أو جهة فقد ذلّ فضلّ، و رجع غاية نظره إلى التصرف فى محسوسات البهائم، و لم يجاوز الأجسام و علائقها. و أول درجات الإيمان مجاوزتها، فيه يصير الإنسان إنسانا فضلا عن أن يصير مؤمنا.

## فصل فى أن للمحبة علامات كثيرة

[فصل فى أن للمحبة علامات كثيرة] اعلم أن للمحبة علامات كثيرة، يطول إحصاؤها. و من علاماتها تقديم أوامر اللّه تعالى على هوى النفس، و التوقّى بالورع، و رعاية حدود الشرع. و من علاماتها الشوق إلى لقاء اللّه، و الخلو عن كراهية الموت إلا من حيث يتشوق إلى زيادة المعرفة، فإن لذة المشاهدة بقدر كمال المعرفة، فإنها بدء المشاهدة، فتختلف لا محالة باختلافها. و من علاماتها الرضاء بالقضاء بمواقع قدر اللّه عز و جل؛ فلنذكر معنى الرضاء حتى لا يغتر الإنسان بما يصادف فى نفسه من خطرات تخطر، فيظن أنها حقيقة الحب للّه تعالى، فإن ذلك عزيز جدّا. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۵۹

# الأصل التاسع، الرضاء بالقضاء

## فصل قد أنكر الرضا جماعة

[فصل قد أنكر الرضا جماعة] قد أنكر الرضا جماعة و قالوا: لا يتصور الرضاء بما يخالف الهوى، و إنما يتصور الصبر فقط. و إنما أوتوا من إنكار المحبة و نحن نحققها، و علامتها الرضاء بالبلاء و بما يخالف الطبع و الهوى، و ذلك يتصور من ثلاثة أوجه: أحدها: أن يدهشه مشاهدة الحب و إفراطها عن الإحساس بالألم، ذلك مشاهد فى حب المخلوقين و فى غلبة الشهوة و الغضب، حتى أن الغضبان تصيبه الجراحة فلا يحس بها فى الوقت، و حتى أن الحريص تصيبه شوكة فى رجله فلا يحس بها، ثم إذا سكن غضبه و ظفر بمراده عظم ألمه. و إذا تصور أن ينغمر ألم يسير بحب يسير، تصور أن ينغمر ألم كثير بحب قوى بالغ، فإن كل واحد- من الحب و الألم- يقبل الزيادة و الشدة. و مهما تصور مثل هذا فى عشق يرجع إلى الميل إلى صورة مركبة من لحم و دم الاربعين فى اصول الدين، ص:

۱۶۰ مشحون بالأقذار و الخبائث؛ و إنما يدرك بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها، حتى ترى الكبير صغيرا، و البعيد قريبا، و القبيح جميلا. فكيف لا يتصور بالإدراك جمال الحضرة الربوبية، و الجلال الأزلى الأبدى، الذى لا يتصور انقطاعه و نقصانه، المدرك بالبصيرة الباطنة، التى هى أصدق و أوضح عند أهلها من البصر الظاهر؟ و من هذا الأصل قال الجنيد- رحمه اللّه- قلت لسرّى السقطى- رحمه اللّه-: هل يجد المحب ألم البلاء؟ قال: لا. قلت: و إن ضرب بالسيف؟ قال: لا، و إن ضرب بالسيف سبعين ضربة، ضربة على ضربة. و قال بعضهم: أحببت كل شىء لحبه، حتى لو أحب النار أحببت الدخول فى النار. و قال عمر بن عبد العزيز- رحمه اللّه-: ما بقى لى فرح إلا فى موقع قدر اللّه تعالى. و ضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام، فقيل له: لو سألت اللّه تعالى أن يرده عليك! فقال: اعتراضى عليه فيما قضى أشدّ على من ذهاب ولدى. الوجه الثانى من الرضاء: أن يحس بالألم و يكرهه بالطبع، و لكن يرضى به بعقله و إيمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء، كما يرضى المريض بألم الفصد، و شرب الدواء، لعلمه بأنه سبب الشفاء، حتى إنه ليفرح بمن يهدى إليه الدواء و إن كان بشعا. و كذلك يرضى التاجر بمشقة السفر و هو خلاف طبعه. و هذا أيضا يشاهد مثله فى الأغراض الدنيوية، فكيف ينكر فى السعادة الأخروية؟ و روى أن امرأة فتح الموصلى الأنصارى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت، فقيل لها: أما تجدين ألم الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه. فإذا من أيقن أن ثواب البلاء أعظم مما يقاسيه، لم يبعد أن يرضى به. الوجه الثالث: أن تعتقد أن للّه تعالى تحت كل أعجوبة لطيفة بل لطايف، و ذلك يخرج عن قلبه. (لم و كيف) حتى لا يتعجب مما يجرى على العالم مما يظنه الجاهل تشويشا و اضطرابا، و ميلا عن الاستقامة و يعلم أن تعجبه كتعجب موسى من الخضر- عليه السلام- لما خرق سفينة الأيتام، و قتل الغلام، و أعاد بناء الجدار، كما فى سورة «الكهف». فلما كشف الخضر عن السر الذى اطلع عليه، سقط تعجبه، و كان تعجبه بناء على ما أخفى عنه من تلك الأسرار. و كذلك أفعال اللّه تعالى، مثاله: ما حكى عن رجل

الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۱ من الراضين أنه كان يقول فى كل ما يصيبه: «الخير فيما قدّره اللّه تعالى» و كان فى بادية و معه أهله و ليس له إلا حمار يحمل عليه خباءه، و كلب يحرسهم، و ديك يوقظهم، فجاء ثعلب و أخذ الديك فقال: خيرة، و جاء ذئب و قتل الحمار، فحزن أهله فقال: خيرة، ثم أصيب الكلب فمات، فقال: خيرة؛ فتعجب أهله من ذلك، حتى أصبحوا و قد سبى من حولهم، و استرقّ أولادهم، و كان قد عرف مكانهم بصوت الديك، و مكان بعضهم بنبيح الكلب، و مكان بعضهم بنهيق الحمار، فقال: قد رأيتم أن الخيرة فيما قدره اللّه سبحانه، فلو لم يهلكهم اللّه عز و جل لهلكتم و هلكنا. و روى أن نبيّا كان يتعبد فى جبل و كان بالقرب منه عين، فاجتاز بها فارس و شرب و نسى عندها صرة فيها ألف دينار، و جاء آخر فأخذ الصرة، ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب، فشرب و استلقى ليستريح فرجع الفارس فى طلب الصرة فلم يرها، فأخذ الفقير فطالبه و عذبه فلم يجدها عنده فقتله. فقال النبى: إلهى ما هذا؟ أخذ الصرة ظالم آخر، و سلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله! فأوحى اللّه إليه: اشتغل بعبادتك، فليس معرفة أسرار الملك من شأنك، إن هذا الفقير كان قد قتل أبا الفارس فمكّنته من القصاص، و إن أبا الفارس كان قد أخذ ألف دينار من مال آخذ الصرة، فرددته إليه من تركته. فمن أيقن بأمثال هذه الأسرار لم يتعجب من أفعال اللّه تعالى، و تعجب من جهل نفسه، و لم يقل لم و كيف فرضى بما دبره اللّه فى ملكوته. و هاهنا وجوه أربعة تتشعب عن محض المعرفة بكمال الجود و الحكمة، و بكيفية ترتيب الأسباب المتوجبة إلى المسببات، و معرفة القضاء الأول الذى هو كلمح البصر، و معرفة القدر الذى هو سبب ظهور تفاصيل القضاء، و أنها رتبت على أكمل الوجوه و أحسنها، و ليس فى الإمكان أحسن منها و أكمل. و لو كان و ادّخر، لكان بخلا لا جودا و عجزا يناقض القدرة، و ينطوى تحت ذلك معرفة سرّ القدر، و كما أن من أيقن ذلك، لم ينطو ضميره إلا على الرضا بكل ما يجرى من اللّه. و شرح ذلك يطول، و لا رخصة فيه أيضا فلنتجاوزه.

## فصل كيف أجمع بين الرضا بقضاء اللّه تعالى، و بين بغض أهل الكفر

[فصل كيف أجمع بين الرضا بقضاء اللّه تعالى، و بين بغض أهل الكفر] لعلك تقول: كيف أجمع بين الرضا بقضاء اللّه تعالى، و بين

بغض أهل الكفر الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۶۲ و العصـيان، و قد تعبدت به شرعا و ذلك مراد اللّه تعالى فيهم؟ فاعلم أن طائفة من الضـعفاء ظنوا أن ترك الأمر بالمعروف من جملة الرضا بالقضاء، و سـمّوه حسن الخلق و هو جهل محض، بل عليك أن ترضـى و أن تكره جميعا. و الرضا و الكراهيـة يتضادان إذا تواردا على شـيء واحـد من وجه واحد، و لا يتناقض أن يقتل عدوّك الذى هو عدوّ عـدوّك أيضا، فترضاه من حيث إنه عـدوّك، و تكرهه من حيث إنه عدوّ عدوّك. فكذلك للمعصـية وجهان: وجه إلى اللّه تعالى من حيث إنها بقضائه و مشيئته فهو من هذا الوجه مرضىّ به، و وجه إلى العاصى من حيث إنه صفته و كسبه، و علامة كونه ممقوتا من اللّه تعالى فهو من هـذا الوجه مكروه. و قد تعبّدك اللّه تعالى ببغض من يبغضه من المخالفين لأمره، فعليك بما تعبّدك به و الامتثال له. و لو قـال لك محبوبك إنى أريـد أن أمتحن حبك بأن أضـرب عبـدى و أرهقه إلى أن يشـتمنى فمن أبغضه فهو محبّى و من أحبه فهو عـدوى، فيمكنـك أن تبغض عبـده إذا شـتمه، مع أنك تعلم أنه الـذى اضـطره إلى الشـتم، و كان ذلك مرادا منه، فيقول: أمّا فعله فى الشتم فإنى أرضى به من حيث إنه تدبيرك فى عبدك، و مرادك ممن أردت إبعاده، و أما شتمه من حيث هو صفته و علامة عداوته، فإنى أبغضه لأنى أحبك، فأبغض لا محالة من عليه علامة عداوتك؛ و هذه دقيقة زلّ فيها الضعفاء، فلذلك يتهافتون فيها.

### فصل ينبغى أن لا يظن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء

[فصل ينبغى أن لا يظن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء] كذلك ينبغى أن لا تظن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء، بل ترك السـهم الـذى أرسل إليك حتى يصـيبك، مع قـدرتك على دفعه بالترس، بل تعبـدك اللّه عز و جل بالـدعاء، ليسـتخرج به من قلبك صفاء الذكر، و خشوع القلب و رقته، لتستعد به لقبول الألطاف و الأنوار. فمن جملة الرضا بقضائه، أن يتوصل إلى محبوباته بمباشرة ما جعله سببا له؛ بل ترك الأسباب مخالفة لمحبوبه و مناقضة لرضاه، فليس من الرضاء للعطشان أن لا يمدّ اليد إلى الماء البارد، زاعما أنه رضـى بـالعطش الـذى هو من قضـاء اللّه تعـالى؛ بـل من قضـاء اللّه تعـالى و محبته أن يزال العطش بالمـاء. فليس فى الرضا بالقضاء ما يوجب الخروج عن حدود الشـرع و رعاية سنة اللّه تعالى أصلا، بل معناه ترك الاعتراض على اللّه عز و جل إظهارا و إضمارا، مع بذل الجهد فى التوصل إلى محاب اللّه تعالى من عباده، و ذلك بحفظ الأوامر و ترك النواهى. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۳

## الأصل العاشر، ذكر الموت و حقيقته و أصناف العقوبات الروحانية

### فصل فى أن الموت عظيم هائل

[فصل فى أن الموت عظيم هائل] اعلم أن الموت عظيم هائل، و ما بعـده أعظم منه، و فى ذكره منفعـة عظيمـة، فإنه الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۴ ينغّص الـدنيا و يبغّضـها إلى القلب، و بغضـها رأس كـلّ حسـنة، كما أن حبها رأس كل خطيئـة، و للعارف فى ذكره فائـدتان: إحـداهما: النفرة من الـدنيا، و الأـخرى: الشوق إلى الآـخرة، فـإن المحب لاـ محالـة مشـتاق، و معنى الشوق فى المحسوسات اسـتكمال الخيال بالترقى إلى المشاهدة، فإن المشـتاق إليه مدرك لا محالة بالخيال، و غائب عن الأبصار، و أحوال الآخرة و نعيمها، و جمال الحضـرة الربوبية، مدرك كل ذلك للعارف يعرفه كأنه نظر من وراء ستر رقيق فى وقت الإسفار و ضعف النور، فهو مشتاق إلى اسـتكمال ذلك بالتجلى و المشاهـدة، و يعلم أن ذلك لا يكون إلا بالموت؛ فلذلك لا يكره الموت، لأنه لا يكره لقاء اللّه تعالى. و لا سبب لإقبال الخلق على الـدنيا إلا قلـة التفكر فى الموت، و طريق الفكر فيه أن يفرّغ الإنسان قلبه عن كل فكر سواه؛ و يجلس فى خلوة و يباشر ذكر الموت بصميم قلبه، و يتفكر أولا فى أخدانه و أشكاله الذين مضوا، فيتذكرهم واحدا واحدا، و يتذكر حرصهم و أملهم و ركونهم إلى الجاه و المال، ثم يتـذكر مصارعهم عنـد الموت، و تحسـرهم على فوات العمر و تضـييعه، ثم يتفكر فى أجسادهم كيف تمزقت فى التراب و صارت جيفة يأكلها الديدان، ثم يرجع إلى نفسه و يعلم أنه كواحد منهم أمله كأملهم، و مصـرعه كمصـرعهم، ثم

ينظر فى أعضائه و ينظر كيف تتفتت، و إلى حدقته كيف يأكلها الدود، و إلى لسانه كيف يتهرأ و يصير جيفة فى فيه. فإذا فعلت ذلك تتنغص عليك الدنيا و كنت سعيدا، إذ السعيد من وعظ بغيره، فلذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «أيها الناس، كأن الموت فيها على غيرنا كتب، و كأن الحق فيها على غيرنا وجب، و كأن الذين نشيّع من الأموات سفر عن قريب إلينا راجعون نبوؤهم أجداثهم و نأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة و أمّنا كل جائحة».

## فصل أصل الغفلة عن الموت طول الأمل

## فصل أن العارف الكامل المستهتر بذكر اللّه تعالى مستغن عن ذكر الموت

[فصل أن العارف الكامل المستهتر بذكر اللّه تعالى مستغن عن ذكر الموت] اعلم أن العارف الكامل المستهتر بذكر اللّه تعالى مستغن عن ذكر الموت، بل حاله الفناء فى التوحيد، لا- التفات له إلى ماض و لا إلى مستقبل، و لا إلى حال من حيث أنه حال؛ بل هو ابن وقته، يعنى أنه كالمتّحد بمذكوره؛ لست أقول متحدا بالذات، فلا- تعقل فتغلط، و تسيء الظن. و كذلك يفارقه الخوف و الرجاء، لأنهما سوطان يسوقان العبد إلى هذه الحالة التى هو ملابسها بالذوق؛ و كيف يذكر الموت و إنما يراد ذكر الموت لينقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت. و العارف قد مات مرة فى حق الدنيا و فى حق كل ما يفارقه بالموت، فإنه ترفع و تنزه عن الالتفات إلى الآخرة أيضا، فضلا عن الدنيا، و قد تنغص عليه ما سوى اللّه تعالى، و لم يبق له من الموت إلا كشف الغطاء ليزداد به وضوحا، لا ليزداد يقينا، و هو معنى قول على- رضى اللّه عنه- «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا»، فإن الناظر إلى غيره من وراء ستر، لا يزداد برفع الستر يقينا، بل وضوحا فقط؛ فإذا ذكر الموت يحتاج إليه من لقلبه التفات إلى الدنيا، ليعلم أنه سيفارقها، فلا يعتكف بهمته عليها، و لذلك قال عليه السلام: «إن روح القدس نفث فى روعى أحبب ما أحببت، فإنك مفارقه، و عش ما عشت، فإنك ميت، و اعمل ما شئت، فإنك مجزىّ به».

## فصل حقيقة الموت و ماهيته

[فصل حقيقة الموت و ماهيته] لعلك تشتهى أن تعرف حقيقة الموت و ماهيته؛ و لن تعرف ذلك ما لم تعرف حقيقة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۶ الحياة، و لن تعرف حقيقة الحياة، ما لم تعرف حقيقة الروح و هى نفسك، و حقيقتك و هى أخفى الأشياء عنك، و لا- تطمع فى أن تعرف ربك قبل أن تعرف نفسك، و أعنى بنفسك روحك التى هى خاصية الأمر المضافة إلى اللّه تعالى فى قوله: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [الإسراء: ۸۵] و فى قوله: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى [الحجر: ۲۹، ص: ۷۲] دون الروح الجسمانى اللطيف، الذى هو حامل قوة الحسّ و الحركة، التى تنبعث من القلب، و تنتشر فى جملة البدن، فى تجاويف العروق الضوارب، فيفيض منها نور حس البصر على العين، و نور السمع على الأذن، و كذا سائر القوى و الحواس، كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت إذا أدير فى جوانبه؛ فإن هذه الروح تشارك البهائم فيها و تنمحق بالموت، لأنه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الأخلاط. فإذا انحل المزاج بطل كما يبطل النور الفائض من السراج عند انطفاء السراج؛ بانقطاع الدهن عنه، أو بالنفخ فيه. و بانقطاع الغذاء عن الحيوان تفسد هذه الروح؛ لأن الغذاء له كالدهن للسراج، و القتل له كالنفخ فى السراج. و هذه هى الروح التى يتصرف فى تعديلها و تقويتها علم الطب، و لا تحمل هذه الروح المعرفة و الأمانة، بل الحمّال للأمانة الروح الخاصة للإنسان، و نعنى بالأمانة تقلد عهدة التكليف، بأن يتعرض لخطر الثواب و العقاب بالطاعة و المعصية. و هذه الروح لا تموت و لا تفنى، بل تبقى بعد الموت، إما فى نعيم و سعادة، أو جحيم و شقاوة، فإنه محلّ المعرفة. و التراب لا- يأكل محل الإيمان و المعرفة أصلا كما نطقت به الأخبار، و شهدت له شواهد الاستبصار. و لم يأذن الشرع فى ذكر تحقيق صفته، إذ لا يحتمله إلا الراسخون فى العلم؛ و كيف يذكر، و له من عجائب الأوصاف ما

لم يحتمله أكثر عقول الخلق فى حق اللّه تعالى! فلا تطمع فى ذكر حقيقته، و انتظر تلويحا يسيرا فى ذكر صفته بعد الموت.

## فصل الروح لا تفنى البتة

[فصل الروح لا تفنى البتة] هذه الروح لا تفنى البتة، و لا تموت، بل تتبدل بالموت حالها فقط، و يتبدل منزلها، فتترقى من منزل إلى منزل. و القبر فى حقها إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، إذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن، و اقتناصها أوائل المعرفة به بواسطة شبكة الحواس. فالبدن آلتها و مركبها و شبكتها، و بطلان الآلة و المركب و الشبكة لا توجب بطلان الصائد؛ نعم، إن بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانه غنيمة، إذ يتخلص من ثقله و حمله، و لذلك قال عليه السلام: «الموت الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۷ تحفة المؤمن»؛ و إن بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت فيه الحسرة و الندامة و الألم، فلذلك يقول المقصّر: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ [المؤمنون: ۹۹، ۱۰۰]. بل إن كان ألف الشبكة و أحبها و تعلق قلبه بها، و حسّن صورتها و صنعتها، و ما يتعلق بها، كان له من العذاب ضعفان: أحدهما: حسرة فوات الصيد الذى لا يقتنص إلا بشبكة البدن، و الثانى: زوال الشبكة مع تعلق القلب بها و إلفه لها. و هذا مبدأ من مبادىء معرفة عذاب القبر، إن استقصيته تحققته قطعا.

## فصل فى أن معنى الموت زمانة البدن

[فصل فى أن معنى الموت زمانة البدن] لعلك تشتهى الاستقصاء المفضى إلى التحقيق؛ فاعلم أن هذا الكتاب لا يحتمله، فاقنع منه بأنموذج يسير، و افهم أن معنى الموت زمانة «۱» البدن. و أنت تعرف أن زمانة اليد خروجها عن طاعتك مع وجود شخصها ببطلان القوة التى بواسطتها تستعمل اليد. فافهم أن الموت زمانة مطلقة فى جميع الأعضاء ببطلان قواها، فيسلب الموت منك يدك و رجلك و عينك و سائر حواسك، و أنت باق، أعنى حقيقتك التى أنت بها أنت؛ فإنك الآن الإنسان الذى كنت فى الصّبا، و لعله لم يبق فيك من تلك الأجسام شىء، بل انحل كلّها و حصل بالغذاء بدلها، و أنت أنت، و جسدك غير ذلك الجسد. فإن كان لك معشوق تفتقر فيه إلى حواسك، عظم عذابك بفراق معشوقك. و جميع ملاذ الدنيا معشوق، و لا تنال إلا بالحواس، و لا فرق فى عذاب العاشق بين أن يحجب عنه معشوقه، و بين أن يفقأ عينه، أو يسلب هو عنه بأن يحمل إلى موضع حتى لا يراه، فإن ألمه من عدم الرؤية. و من أحب أهله و ماله و عقاره و فرسه و جاريته و ثيابه يألم بفراقها، سواء سلبت هذه الأشياء عنه، أو سلب هو عنها، بأن حمل إلى موضع آخر، و حيل بينه و بينها. فالموت يسلبك هذه الأشياء. و يحول بينك و بينها، فيكون عذابك بقدر عشقك لها. و الموت يخلى بينك و بين اللّه تعالى، و يقطع عنك هذه الحواس الشاغلة المشوّشة، فتكون لذّتك فى القدوم على اللّه تعالى بقدر حبك له و أنسك بذكره؛ و لأجل هذا نبّهك و قال اللّه تعالى: «أنا بدّك «۲» اللازم فالزم بدّك». و أجمع العبارات عن نعيم الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۸ الجنة: «إن لهم فيها ما يشتهون» «۱». و أجمع العبارات لعذاب الآخرة قوله: وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ [سبأ: ۵۴]. و لا ملذ إلا الشهوة، و لكن عند مصادمة المشتهى، و لا مؤلم إلا الشهوة، و لكن عند مفارقة المشتهى. و لا ينبغى أن تغتر الآن و تقول: إن كان هذا سبب عذاب القبر فأنا فى أمان منه، إذ لا علاقة بين قلبى و بين متاع الدنيا؛ فإن هذا لا تدركه بالحقيقة ما لم تطرح الدنيا و تخرج عنها بالكلية، فكم من رجل باع جارية على ظن أنه لا علاقة بينه و بينها، فلما أخذها المشترى اشتعل فى قلبه من نيران الفراق، و احترق بها احتراقا، و ربما ألقى نفسه فى الماء و النار ليقتل نفسه و يتخلص منها. فكذلك يكون حالك فى القبر فى كل ما يتعلق به قلبك من الدنيا؛ و لذلك قال المصطفى عليه السلام: «أحبب ما أحببت فإنك مفارقه». و وراء هذا عذاب أعظم منه، و هو حسرة الحرمان عن القرب من اللّه تعالى، و النظر إلى وجهه الكريم. و ينكشف بالموت عظم قدر ما فات منه، و إن كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت؛ لأن الموت سبب الانكشاف، ما لم تكن المكاشفة قبله، كما أن النوم سبب انكشاف الغيب بمثال أو غير مثال. و النوم أخ الموت، و لكنه دونه يكبر. فهذان عذابان يتضاعفان على كل ميت كأن غير اللّه تعالى أحب إليه من اللّه تعالى؛ و كأن أنسه

بغير اللّه تعالى، أكثر من أنسه باللّه؛ و هما ضروريان إن عرفت بالحقيقة الروح و بقاءه بعد الموت، و علائقه، و ما يضادّه بالطبع و ما يوافقه بالطبع.

## فصل أن الإنسان يعدم بالموت ثم يعاد

[فصل أن الإنسان يعدم بالموت ثم يعاد] لعلك تقول: المشهور عند أهل العلم، أن الإنسان يعدم بالموت ثم يعاد، و أن عذاب القبر يكون بنيران و عقارب و حيات، و ما ذكرته بخلاف ذلك. فاعلم أن من قال إن الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد و يفاع «۲» الاستبصار جميعا، أما حرمانه عن ذروة الاستبصار فلا تدركه ما لم تستبصر؛ و أما حرمانه عن التقليد فتعرفه بتلاوة الآيات و الأخبار، قال اللّه تعالى: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ ... [آل عمران: الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۶۹ ۱۶۹، ۱۷۰] الآية. هذا فى السعداء؛ و أما فى الأشقياء فقد ناداهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم بدر لما قتلوا، فكان يقول: «يا فلان يا فلان- يذكر واحدا واحدا من صناديدهم- فقد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّا»؟ فقيل يا رسول اللّه أ تناديهم و هم أموات؟ فقال عليه السلام: «و الذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لكلامى منهم، لكنهم لا يقدرون على الجواب». و قال عليه السلام: «الموت هو القيامة، و من مات فقد قامت قيامته» و أراد بهذه القيامة الصغرى، و القيامة الكبرى تكون بعده. و شرح قيامة الصغرى إن أردته فاطلبه من كتاب الصبر من كتب الإحياء. و الأخبار فى الدلالة على بقاء أرواح الموتى و شعورهم مما يجرى فى هذا العالم أيضا كثيرة.

## فصل فى إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران و العقارب و الحيات، صحيح

[فصل فى إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران و العقارب و الحيات، صحيح] أما قولك: إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران و العقارب و الحيات، فهذا صحيح، و هو كذلك؛ و لكنى أراك عاجزا عن فهمه و درك سره و حقيقته، إلا أنى أنبهك على أنموذج منه تشويقا لك إلى معرفة الحقائق، و التشمر للاستعداد لأمر الآخرة، فإنه نبأ عظيم أنتم عنه معرضون؛ فقد قال عليه السلام: «المؤمن فى قبره فى روضة خضراء قد فرّج له قبره سبعين ذراعا، و يضىء وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فى ماذا أنزلت فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم: قال: عذاب الكافر فى قبره، يسلّط عليه تسعة و تسعون تنّينا، هل تدرون ما التّنين؟ تسع و تسعون حية، لكل حية تسعة رؤوس ينهشونه و يلحسونه و ينفخون فى جسمه إلى يوم يبعثون». فانظر إلى هذا الحديث، و اعلم أن هذا حق على الوجه الذى شاهده أرباب البصائر ببصيرة أوضح من البصر الظاهر. و الجاهل ينكره إذ يقول: إنى أنظر فى قبره فلا أرى ذلك أصلا. فليعلم الجاهل أن هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت، أعنى ذات روحه لا ذات جسده، فإن الروح هى التى تتألم و تتنعم، بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه، لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فأحس بلدغه بعد الموت. و ليتحقق أن هذا التنين مركب من صفاته و عدد رؤوسه بقدر عدد أخلاقه الذميمة، و شهواته لمتاع الدنيا. و أصل هذا التنين حبّ الدنيا، و تتشعب عنه رؤوس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد و الحقد و الرياء و الكبر و الثروة و المكر و الخداع و حب الجاه و المال و العداوة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۰ و البغضاء. و أصل ذلك معلوم بالبصيرة، و كذلك كثرة رؤوسه اللداغة؛ أما انحصار عددها فى تسعة و تسعين، إنما يوقف عليه بنور النبوة فقط. فهذا التنين متمكن فى صميم فؤاد الكافر، لا بمجرّد جهله بالكفر، بل لما يدعو إليه الكفر، كما قال اللّه تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ [النحل: ۱۰۷]. و قال اللّه تعالى: أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها ... [الأحقاف: ۲۰] الآية. و هذا التنين لو كان كما تظنه خارجا من ذات الميت، لكان أهون، إذ ربما يتصور أن ينحرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه، لا بل هو متمكن من صميم فؤاده، تلدغه التنين لدغا أعظم مما تفهمه من لدغ التنين، و هو بعينه صفاته التى كانت معه فى حياته كما أن التنين التى تلدغ قلب العاشق إذا باع جاريته، هو بعينه الذى كان مستكنّا

فى قلبه استكنان النار فى الحجر و هو غافل عنه. فقد انقلب ما كان سبب لذّته سبب ألمه، و هذا سرّ قوله عليه السلام: «إنما هى أعمالكم ترد عليكم»، و قوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً، وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً، وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ [آل عمران: ۳۰]، بل سر قوله تعالى: كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ [التكاثر: ۵، ۶]، أى أن الجحيم فى باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين، لترونّها قبل أن تدركوها بعين اليقين؛ بل هو سر قوله تعالى: يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ [العنكبوت: ۵۴]؛ و لم يقل إنها ستحيط؛ بل قال: هى محيطة؛ و قوله تعالى: إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها [الكهف: ۲۹]، و لم يقل يحيط بهم، و هو معنى قول من قال: إن الجنة و النار مخلوقتان. و قد أنطق اللّه لسانه بالحق، و لعله لا يطلع على سر ما يقوله، فإن لم تفهم بعض معانى القرآن كذلك، فليس لك نصيب من القرآن إلا فى قشوره، كما ليس للبهيمة نصيب من البر «۱» إلا فى قشوره الذى هو التّبن. و القرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف أصنافهم، و لكن اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم؛ و فى كل غذاء مخّ و نخالة و تبن؛ و حرص الحمار على التبن أشد منه من الخبز المتخذ من اللّب. و أنت شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهيمة، و لا تترقى إلى رتبة الإنسانية، بل إلى الملكية، فدونك و الانسراح فى رياض القرآن، ففيه متاع لكم و لأنعامكم. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۱

## فصل فهل يتمثل التنين تمثلا يشاهده مشاهدة تضاهى إدراك البصر

[فصل فهل يتمثل التنين تمثلا يشاهده مشاهدة تضاهى إدراك البصر] فإن قلت: فهل يتمثل هذا التنين تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهى إدراك البصر، أم هو تألم محض فى ذاته كتألم العاشق إذا حيل بينه و بين معشوقه؟ فأقول: لا بل يتمثل لك حتى تشاهده، و لكن تمثلا- روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد فى عالم الشهادة إذا نظر فى قبره، فإن ذلك من عالم الملكوت. نعم، العاشق أيضا قد ينام فيتمثل له حاله فى المنام، فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده. لأنه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا، فيتمثل له حقائق الأشياء تمثلا محاكيا للحقيقة، منكمشا له من عالم الملكوت، و الموت أبلغ فى الكشف من النوم، لأنه أقمع لنوازع الحس و الخيال، و أبلغ فى تجريد الروح عن غشاوة هذا العالم. فلذلك يكون ذلك التمثل تامّا متحققا دائما لا يزول، فإنه نوم لا ينتبه منه إلا يوم القيامة: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [ق: ۲۲]. و اعلم أن المتيقظ بجنب النائم إن كان لا يشاهد الحية التى تلدغ النائم، فذلك غير مانع من وجود الحية فى حقه، و حصول الألم به؛ فكذلك حال الميت فى القبر.

## فصل فهل يتمثل التنين تمثلا يشاهده مشاهدة تضاهى إدراك البصر

[فصل فهل يتمثل التنين تمثلا يشاهده مشاهدة تضاهى إدراك البصر] فإن قلت: فهل يتمثل هذا التنين تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهى إدراك البصر، أم هو تألم محض فى ذاته كتألم العاشق إذا حيل بينه و بين معشوقه؟ فأقول: لا بل يتمثل لك حتى تشاهده، و لكن تمثلا- روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد فى عالم الشهادة إذا نظر فى قبره، فإن ذلك من عالم الملكوت. نعم، العاشق أيضا قد ينام فيتمثل له حاله فى المنام، فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده. لأنه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا، فيتمثل له حقائق الأشياء تمثلا محاكيا للحقيقة، منكمشا له من عالم الملكوت، و الموت أبلغ فى الكشف من النوم، لأنه أقمع لنوازع الحس و الخيال، و أبلغ فى تجريد الروح عن غشاوة هذا العالم. فلذلك يكون ذلك التمثل تامّا متحققا دائما لا يزول، فإنه نوم لا ينتبه منه إلا يوم القيامة: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [ق: ۲۲]. و اعلم أن المتيقظ بجنب النائم إن كان لا يشاهد الحية التى تلدغ النائم، فذلك غير مانع من وجود الحية فى حقه، و حصول الألم به؛ فكذلك حال الميت فى القبر.

## فصل فى العذاب الآخرة

[فصل فى العذاب الآخرة] و أما مطالبتك إياى بتفصيل عذاب الآخرة، و ذكر أصنافه، فلا تطمع بالتفصيل، فذلك داعية إلى الملال و التطويل، و اقنع بذكر الأصناف؛ فقد ظهر لى بالمشاهدة ظهورا أوضح من العيان، أن أصناف عذاب الآخرة ثلاثة: أعنى الروحانى منها حرمة المشتهيات، و خزى خجلة المفضحات، و حسرة فوات المحبوبات. فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية يتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا إلى أن ينتهى إلى مقامات النار الجسمانية، فإن ذلك يكون فى آخر الأمر، فخذ الآن شرح هذه الأوصاف. الصنف الأول: حرقة فرقة المشتهيات، فصورته المستعارة من عالم الحس و التخيل، التنين الذى وصفه الشرع، و عدد رؤوسه و هى بعدد الشهوات، و رذائل الصفات تلدغ صميم الفؤاد لدغا مؤلما، و إن كان البدن بمعزل عنه. فقدّر فى عالمك هذا ملكا مستوليا على جميع الأرض، متمكنا من جميع الملاذّ، متمتعا بها، مستهترا بالوجوه الحسان، متهالكا عليها، مشعوفا بالإمارة و استعباد الخلق بالطاعة، مطاعا فيهم، غافصه «۱» عدوه و استرقه و استعمله على ملأ من رعيته فى تعهد الكلاب، و صار يتمتع بنعمه و يتمتع بأهله و جواريه بين يديه، و يتصرف فى خزائنه و ذخائر أمواله، فيفرقها على أعدائه و معانديه. و انظر الآن هل ترى على قلبه تنّينا ذا رؤوس كثيرة، تلدغ صميم فؤاده و بدنه بمعزل عنه، و هو يريد أن يبتلى بدنه بأمراض و آلام ليتخلص منه! فتوهم هذا، فربما تشتم به قليلا من رائحة الحطمة «۲» التى فيها نار اللّه الموقدة التى لا تطلع إلا على الأفئدة، أعدت لمن جمع مالا و عدده يحسب أن ماله أخلده. و اعلم أن عذاب كل ميت بقدر رؤوس هذا التنين، و عدد الرءوس بقدر المشتهيات، فلهذا من كان أفقر و تمتعه فى الدنيا أقل، كان العذاب عليه أخف، و من لا علاقة له مع الدنيا أصلا فلا عقاب عليه أصلا. الصنف الثانى: خزى خجلة المفضحات؛ فقدّر رجلا خسيسا رذيلا فقيرا عاجزا، قرّبه ملك من الملوك و رفعه و قوّاه و خلع عليه، و سلم إليه نيابة ملكه، و مكنه من الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۵ دخول حريمه و جملة خزائنه اعتمادا على أمانته. فلما عظمت عليه النعمة، طغى و بغى، و صار يخون فى خزانته، و يفجر بأهل الملك و بناته و سريّاته، و هو فى جميع ذلك يظهر الأمانة للملك، و يعتقد أنه غير مطلع على خيانته. فبينما هو فى غمرة فجوره و خيانته، إذ لاحظ روزنة «۱» فرأى فيها الملك مطّلعا عليه منها، و علم أن الملك كان يطلع عليه كل يوم و ليلة، و لكنه كان يغض عنه و يمهله حتى يزداد خبثا و فجورا، و يزداد استحقاقا للنكال ليصب عليه فى الآخرة أنواع العذاب صبّا. فانظر الآن إلى قلبه كيف يحترق بنار الخزى و الخجلة، و بدنه بمعزل منه، و كيف يود أن يعذب بدنه بكل عذاب و ينكتم خزيه. فكذلك أنت تتعاطى فى الدنيا أعمالا- هى مشتهياتك، و لتلك الأعمال أرواح و حقائق خبيثة قبيحة، و أنت جاهل بها معتقد حسنها؛ فينكشف لك فى الآخرة حقائقها فى صورها القبيحة، فتختزى و تخجل خجلة تؤثر عليها آلاما بدنية. فإن قلت كيف ينكشف إلىّ أرواحها و حقائقها؟ فاعلم أن ذلك لا تفهمه إلا بمثال؛ فمن جملته مثلا أن يؤذّن المؤذّن فى رمضان قبل الصبح، فيرى فى المنام أن بيده خاتما يختم به أفواه الرجال و فروج النساء، فيقول له ابن سيرين: هذا رأيته لأذانك قبل الصبح. فتأمل الآن أنه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس الجسمانى، انكشف له روح عمله. لكن لما بعد فى عالم التخيل- لأن النائم لا يزول تخيله- غشاه الخيال بمثال متخيل، و هو الخاتم و الختم، و لكنه مثال أدل على روح العمل من نفس الأذان، لأن عالم المنام أقرب إلى عالم الآخرة، فالتلبيس فيه أضعف قليلا و ليس يخلو عن تلبيس، و لأجله يحتاج إلى التعبير. و لو قال قائل لهذا المؤذن: أما تستحى أن تختم أفواه الرجال و فروج النساء؟ لقال: معاذ اللّه أن أفعل هذا، فلأن أقدّم و يضرب عنقى أحب إلىّ من أن أفعل ذلك. فهو ينكره، لأنه يجهله، مع أنه فعله، لأن روحه قاصرة عن إدراك أرواح الأشياء. و كذلك لو أكلت لحما طيبا على اعتقاد أنه لحم طير، فقال قائل: أما تستحى أن تأكل لحم أخيك الميت فلان؟ لقلت: معاذ اللّه أن أفعل ذلك، و لأن أموت جوعا أهون علىّ من ذلك، فنظرت فإذا هو لحم أخيك الميت قد طبخ و قدّم إليك و لبّس عليك. فانظر كيف تختزى الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۶ و تفتضح به، و بدنك فى معزل من ألمه. فكذلك يرى المغتاب نفسه فى الآخرة، و لأنّ روح الغيبة تمزيق أعراض الإخوان و التفكه بها. و فى عالم الآخرة ينكشف أرواح الأشياء و حقائقها. و كذلك لو كنت ترمى حجارة إلى حائط، فقال لك قائل: أما تستحى أن تفعل ذلك، و الحجارة ترتد من الحائط و تقع فى دارك، و تصيب حدقة أولادك، فقد غيبت أحداقهم كلهم! قلت: معاذ اللّه أن أفعل ذلك. فقال: ادخل دارك. فدخلت فإذا هو كذلك. فانظر كيف تفتضح و يحترق

قلبك تحسّرا على عملك الذى ظننته هيّنا و هو عند اللّه عظيم. و هذا روح حسدك لأخيك، فإنك تحسده و لا تضره و ينعكس عليك و يهلك دينك، و ينقل حسناتك إلى ديوانه- و هى قرّة عينك- لأنها سبب سعادة الأبد، فهى أعز من حدقة الولد. فإذا انكشف لك هذه الروح، فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة و بدنك بمعزل عنه. فالقرآن كثيرا ما يعبّر عن الأرواح، و لذلك قال تعالى فى الغيبة: أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ [الحجرات: ۱۲]. و قال اللّه تعالى فى الحسد: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ [يونس: ۲۳]. فيكفيك من الأمثلة مثال الأذان و الغيبة و الحسد. فقس عليه كل فعل نهاك الشرع عنه، فذلك لقبح روح الفعل و حقيقته، و حسن ظاهره، أى ظاهره حسن للبصر الظاهر، و باطنه قبيح للبصيرة الناظرة فى مشكاة نور اللّه تعالى. و عن هذا عبر الشرع حيث قال: تعرض الدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شوهاء زرقاء، صفتها كيت و كيت، لا يراها أحد إلا و يقول أعوذ باللّه منها، فيقال هذه دنياكم التى كنتم تتهالكون عليها، فيصادفون فى نفوسهم من الخزى و الفضيحة ما يؤثرون النار عليه. و إن أردت أن تفهم كيفية هذه الخجلة، فاسمع حكاية رجل من أبناء الملوك، زوج بأجمل امرأة من بنات الملوك، فشرب تلك الليلة فسكر، و أخطأ باب الحجرة فخرج من الدار و ضلّ فرأى ضوء سراج فقصده على ظنّ أنها حجرته، فدخل الموضع فرأى جماعة نياما، فصاح بهم فلم يجيبوه، فظنّ أنهم نيام، فطلب العروس فرأى واحدا نائما فى ثياب جديدة فظن أنها العروس، فضاجعها و أخذ يقبلها و يغشاها، و يجعل لسانه فى فيها و يمتص ريقها متلذذا بذلك فى سكره غاية التلذذ، و يتمسح بالرطوبات التى تصيبه من جميع بدنها، على ظن أن ذلك عطر ادّخرته له. فلما أصبح أفاق فإذا هو الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۷ فى ناووس المجوس، و إذا النيام موتى. و هذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت، عليها الحنوط، و كفنها الجديد، فصادف فى فمه و أنفه من رطوبات ريقها و مخاطها، و على بدنه من قاذورات أسافلها، فإذا هو من قرنه إلى قدمه ممتلىء فى قاذوراتها، ثم تفكر فى غشيانه إياها و ابتلاعه ريقها، فهجم على قلبه من الخزى ما تمنّى أن يخسف اللّه به الأرض، حتى ينسى ما جرى عليه. و لا يزال يعاود ذكره و لا ينساه أصلا، بل تجد نفسه ما عمله من سوء محضرا يود لو أن بينها و بينه أمدا بعيدا، و بدنه بمعزل من هذه المخازى و الآلام، و هو فى عذاب دائم فى الغثيان و القىء، و تذكر تلك المخازى، و يحذر أن يطلع عليه أحد فيتضاعف حزنه، فإذا هو بأبيه و جميع حشمه قد جاؤوا فى طلبه، و اطلعوا على جميع مخازيه. فهذه حال من تمتع بالدنيا، ينكشف له كذلك فى الآخرة روحه و حقيقته، و هى معنى قوله تعالى: وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ [العاديات: ۱۰] أى يعرض عليها حاصلها أى روحها و حقيقتها، و هى معنى قوله تعالى: يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ [الطارق: ۹]. أى يكشف عن أسرار الأعمال و أرواحها القبيحة أو الحسنة. و كما أن ألذ الأطعمة رجيعه «۱» أقذر و أنتن، فألذ تنعمات الدنيا و حاصلها و سرها فى الآخرة أقبح و أفضح؛ و لذلك شبه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الدنيا بالطعام، و عاقبته بالرجيع. الصنف الثالث: حسرة فوات المحبوبات؛ فقدّر نفسك مع جماعة من أقرانك دخلتم فى ظلمة، فكان فيها حجارة لا يرى ألوانها، فقال أقرانك: احمل من هذا ما تطيق، فلعله يكون فيها ما ينتفع بها إذا خرجنا من الظلمة، فقلت فماذا أصنع بها؟ أتحمل فى الحال ثقلها، و أكدّ بنفسى فيها و أنا لا أدرى عاقبتها! ما هذا إلا جهل عظيم. فإن العاقل لا يترك الراحة نقدا بما يتوقعه نسيئة، و لا يستيقنه. فأخذ كل واحد من أقرانك ما أطاق أخذه، و أعرضت عن ذلك تستحمقهم و تسخر بهم، لأنهم ينوءون تحت أعبائه و ثقله، و أنت مرفّه فى الطريق تعدو و تضحك منهم. فلما جاوزوا الظلمة نظروا، فإذا هى جواهر و يواقيت يساوى كل واحد ألف دينار، فأقبلوا على بيعها و توصلوا بها إلى الجاه و النعمة و أصبحوا ملوك الأرض. فأخذوك فاستسخروك لتعهد دوابّهم لينفقوا عليك فى كل يوم قدرا يسيرا من فضلات الطعام. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۸ فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة فى قلبك، و بدنك بمعزل منه؟ و كم تقول: يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ [الزمر: ۵۶] و يا ليتنا نردّ و نعمل غير الذى كنا نعمل؟، فتقول لهم: أفيضوا علينا من الماء ممّا أفيض عليكم، فيقولون لك: هذا حرام عليك، أ لم تكن تسخر منّا و تضحك علينا، فلابد و أن نسخر اليوم منك كما سخرت منّا. فلا يزال ينقطع نياط «۱» قلبك من التحسر و لا ينفعك التحسر، و لكن تتسلى و تقول: الموت يخلصنى من هذا. فاعلم أن حال تارك الطاعات فى الآخرة كذلك ينكشف له، و لكن لا مطمع فى الموت المخلّص، بل هى حسرة أبدية دائمة، و الألم يتضاعف كل يوم، و إن كان

البدن بمعزل عنه، و عنه العبارة بقوله تعالى: أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، قالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ [الأعراف: ۵۰]. و كذلك يفيض على أهل المعرفة و الطاعة من أنوار جمال الوجه ما تحصل به من اللّذّة مبلغ لا يوازيه نعيم الدنيا، بل يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر، لا- بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة، بل بتضاعف الأرواح، كما أن الجوهر يكون عشرة أمثال الفرس لا- بالوزن و المقدار، بل بروح المالية، إذ قيمته عشرة أمثاله. و اعلم أن تحريم تلك اللذات و إفاضتها عليهم ليس من جنس تحريم الرجل نعمه على عبده بغضب أو باختيار، حتى يتصور تغييره، بل هو كتحريم اللّه تعالى على الأبيض أن يكون أسود فى حالة البياض، و على الحار أن يكون باردا فى حالة الحرارة؛ و ذلك لا يتصور فيه التبديل، بل مثال ذلك أن يقول للعالم الكامل رجل شيخ هرم من الجهال الذى كان بليدا فى أصل الفطرة و لم يمارس قطّ علما و لم يتعلم لغة: أفض على قلبى من دقائق علومك، فيقول: إن اللّه حرّمه على الجاهلين: معناه أن الاستعداد لقبوله إنما يكتسب بذكاء فطرىّ، و ممارسة طويلة للعلم، بعد تعلم اللغة العربية و أمور أخر كثيرة. و إذا بطل الاستعداد و فات استحالة الإفاضة، كما يستحيل إفاضة الحرارة على البرودة مع بقاء البرودة، فلا تظنن أن اللّه تعالى يغضب عليك فيعاقبك انتقاما، ثم تخدع نفسك الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۷۹ برجاء العفو فتقول: لم يعذبنى و لم يضره معصيتى بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السمّ. و اعلم أن هذه الحسرة دائمة لأن منشأها تضاد صفتين لا يزول تضادهما أبدا؛ مثاله أن الذى يعلّق بحبل فى عنقه أو رجله إنما يتألم لتضاد الصفتين، لا لصورة الحبل و التعلق؛ لكن صفته الطبعية تطلب الهوىّ إلى أسفل، و المنع القهرى بالحبل يمانع الطبعية فيتولد الألم فيه من تمانعهما، فكذلك الروح الإنسانى من الروح الروحانى الإلهى بأصل فطرته، فله بحكم الطبع حنين و شوق إلى عالم العلوّ، عالم الأرواح، و إلى مرافقة الملأ الأعلى؛ و لكن أغلال الشهوات و سلاسلها يجذبها إلى أسفل السافلين، و هى شهوات الدنيا، و هى صفة عارضة قهرت الصفة الطبعية، و منعتها عن نيل مقتضاها، و الألم يتولد من بينهما؛ و النار أيضا إنما تؤلم للمضادة، فإن الملائم للتركيب بقاء الاتصال. و النار تضاد الاتصال بالتفريق بين الأجزاء. و لو لم يكن قد رأيت النار، و سمعت بأن شيئا لطيفا ليّنا يماسّ بدنك فيؤلمك، لاستنكرته و قلت: شىء لا- صلابة فيه كيف يؤلم باللمس؟ و اعلم أن التضاد مؤلم، سواء كان بسبب خارج أو داخل؛ فإن سمّ العقرب فى العضو يؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن. فلا تظنن أن الآلام كلّها تدخل من خارج. فإن قلت: إن العقرب إنما لدغت من خارج فاعلم أن ألم السّن و ألم العين لا يقصر عنه، و إنما سببه انصباب خلط داخل مضادّ لمزاج العين و السن. و ليس ذلك بأهون من لدغ العقرب و الحية. و اعلم أن تضادّ الصفات فى القلب، يؤلم القلب إيلاما لا ينقص عما يؤلم السن و العين، و مثاله فى أضعف الصفات، أن البخيل المرائى إذا طلب منه عطية على ملأ- من الناس عند من يريد أن يعرفوه بالسخاء؛ يتألم قلبه لتضادّ صفتين، إذ البخل يتقاضاه أن لا يعطى، و حب الجاه يتقاضاه أن يعطى، و قلبه بين هاتين الصفتين كشخص ينشر بمنشار بنصفين. فهذا مثال حسرة الفوت و عظمها بقدر ما ينكشف من جلالة قدر الفائت، و لا تعلمه بالحقيقة فى هذا العالم بل فى عالم الكشف، و هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون. و اعلم أن هذه الأصناف الثلاثة، لها ترتيب: فالصنف الأول الذى يلقاه الميت المعذب، هو حرقة فرقة المشتهيات، و ذلك الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۰ تنين حب الدنيا و لذلك أضيف ذلك إلى القبر؛ و إنما سبق هذا لأن أغلب الأشياء على قلب الميت فى الحال فراق ما يفوته فى الدنيا من جاه و مال و منصب و نعمة، ثم بعد ذلك ينكشف له أرواح الأعمال و حقائقها القبيحة. و ذلك عند الانغمار التام فى الموت، و بعد العهد بغشاوة صفات الدنيا. و كل ما كان أعقابه بعد الموت أشد، فهو للكشف أقبل، فيفيض عنه ذلك عليه الخزى و الفضيحة، و لذلك أضيف هذا إلى القيامة، لأنه وسط بين منزل القبر و بين دار القرار؛ و لذلك قال اللّه تعالى: يَوْمَ لا- يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [التحريم: ۸]، أى يوم القيامة. و أما حسرة فوت المحبوبات، فيستولى عليه آخرا عند القرار فى النار، ففيها يقول: أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [الأعراف: ۵۰]. و ذلك أن بعد العهد عن الدنيا ربما يخفف عنه عذاب النزوع إليها. و طول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزى الافتضاح، فإن سورة عذاب الخزى تكون عند هجوم الافتضاح، ثم يألف الفضيحة و الخزى إلفا ما، ثم عند فتورهما قليلا، تنبعث حسرة الفوت، إذ يظهر جلالة الفوائت، ثم تبقى حسرة الفوت آخرا، و يشبه أن

يكون ذلك لا آخر له. و هـذا كله تعرفه قطعا، إذا عرفت نفسك، و عرفت أنك لا تموت، لكن تعمى عينك، و تصم أذنك، و تفلج أعضاؤك. فأما الحقيقـة التى أنت بها أنت، فلا تفنى بالموت أصـلا، بل يتغير حالك فقط، فيبقى معك جميع معارفك، و إدراكاتك الباطنـة، و شـهواتك، و إنمـا تعـذبك بفراق مـا أحببت، و افتضاحـك بظهور مـا ينكشف فى تلـك الحال، و تحسـرك على فوات ما تعرف عظم قدره بعد الموت لا قبله، و هذا كله مقدّمات العذاب الحسى البدنى، و ذلك أيضا حق و له ميعاد معلوم، كما ورد به الآى و الأخبار. فاقنع الآن بهـذا القـدر، فإن هذا الكلام يكاد يجاوز حد مثل هذا الكتاب، و لا بد و أن يحرك سلسـلة الحمقى الجاهلين؛ و لكنهم أخس من أن يلتفت إليهم؛ قـال اللّه تعـالى: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنـا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الـدُّنْيا، ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [النجم: ۲۹، ۳۰]. فلنقتصـر على هـذا و لنختم به أصول الأـربعين لنختم به كتاب جواهر القرآن. و من الاربعين فى اصول الـدين، ص: ۱۸۱ طلب مزيدا على هذا فليطلبه من كتاب ذكر الموت من كتب الإحياء. فالغرض الأظهر من هذا الكتاب، التلويحات مع التشويق إلى الاسـتقصاء المذكور فى ذلك الكتاب، ففيه تنكشف أسـرار علوم الدين، و لا يفتر عن طلبه إلا مشـغوف بالدنيا لا يطلب من العلوم إلا ما يتخذه شبكة للحطام، و آلة لكسب الحرام، فلا يناسبه علوم ذلك الكتاب أصلا البتّة. الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۳

## خاتمة فى مناظرة النفس

خاتمـة فى مناظرة النفس اعلم أنا قد نبهناك و شوقناك، فإن أعرضت عن الإصـغاء أو أصـغيت بظاهر قلبك، كما تصـغى إلى الكلام الرسـمى، فقد خبت و خسـرت، و ما ظلمت إلا نفسك: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَ نَسِـيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ، إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً، وَ إِنْ تَـدْعُهُمْ إِلَى الْهُـدى فَلَنْ يَهْتَـدُوا إِذاً أَبَداً [الكهف: ۵۷]، و إن أصغيت إصغاء ذى فطنة و بصـر حديد، و تفكرت تفكر من له قلب عتيد، و قد ألقى السمع و هو شهيد، فاخرج عن جميع ما يصدّك عن سلوك الصراط المسـتقيم، و مـا يصـدّ عنها إلا حب الـدنيا و الغفلـة عن اللّه تعالى و اليوم الآخر. و اجتهـد أن تفرغ قلبك كلّ يوم ساعـة عقيب صـلاة الصبح، و ذلك عند صفاء الذهن؛ فتتفكر فى شأنك و تنظر فى مبدئك و معادك، و تحاسب نفسك، و تقول لها: إنى مسافر و تاجر، و ربحى سـعادة الأبد و لقاء اللّه تعالى، و خسرانى شقاوة الأبد و الحجاب عن اللّه تعالى، و رأس مالى عمرى. و كل نفس من الأنفاس كنز من الكنوز، و جوهرة من الجواهر، إذ تجارته به سـعادة الأبـد، و أى كنز أعظم من هـذا! و إذا فنى العمر انقطعت التجارة و حصـل اليـأس. و هـذا اليوم يوم جديـد قـد أمهلنى اللّه تعالى فيه، و لو توفانى لكنت اشـتهى أن يرجعنى إلى الـدنيا لأعمل صالحا، فاحسبى يا نفسـى أنـك توفيت و رجعت إلى الـدنيا يومـا واحـدا، و اجتهـدى فى هـذا اليوم الواحـد، و انظرى لنفسـك، فإن لم تمهلى للغـد فقد اسـتوفيت ربـح هـذا اليوم و لم تتحسّـرى، و إن أمهلت فاسـتأنفى للغـد مثل ذلك و لا تخـدعى نفسك بتمنى العفو، فإن ذلك ظن قد يكذب و لا ينفع التحسّـر. ثم هب أنه قد عفى عنك، أ ليس قد فاتك ثواب المحسنين؟ و ناهيك به حسرة الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۴ و ندامـة! فـإذا قـالت نفسك ماذا أعمل و كيف أجتهـد؟ فتقول: اتركى ما يفارقك بالموت، و الزمى بـدّك اللّازم و هو اللّه تعـالى، و اطلبى الأنس بـذكره. فإذا قالت: فكيف أترك الـدنيا؟ فقـد اسـتحكمت علائقها فى قلبى فتقول: أقبلى على قطع علائقها من باطن القلب، كما أعلمناك فى الأصول العشـرة من المهلكات. ففتشـى عن أغلب علاقـة من علائقها من حب مال أو جاه أو حسب أو عـداوة أو شـهوة بطن أو فرج أو غير ذلـك من المهلكات. فليس إلا أن يتفكر فى عظم آفاتها و إهلاكها إياك، فتنبعث لمجاهـدتها و مخالفـة مقتضاها، فقـد تخلصت منها و أيـدك اللّه بتوفيقه و معونته. فقـدّرى أنك مريضـة العمر مدة الحياة، و قد أنبأك طبيب تظنين صـدقه أن ملاـذّ الأطعمـة تضـرك، و أن الأدويـة البشـعة تنفعـك، أ لست تتصبّرين بقوله على مرارة الـدواء طمعا فى الشـفاء؟ أ لسـت تتصبّرين على الكـدّ و التّعب فى السـفر الطويل طمعا فى الاستراحـة فى المنزل و أنت مسافرة و منزلك الآخرة؟ و المسافر لا يستريح و يتحمل التعب و الكـدّ، فإن استراح انقطع فى الطريق و هلك. و يقول يا نفس: ما الـذى تطلبين من الـدنيا إن طلبت المال و وجـدته، و هيهـات، فتكون فى اليهود جماعـة أغنى منـك. و إن طلبت الجـاه و نلت، و هيهات، فيكون فى أجلاف الأتراك و حمقى الأكراد من

يستولى عليك، و يكون جاهه أعظم من جاهك. فإن كنت لا تدركين آفة الدنيا و شدة عذابها فى الآخرة و بلائها، أ فلا تترفعين عنها لخسة شركائها؟ أما تعلمين أنك لو أعرضت عن الدنيا، و أقبلت على الآخرة، كنت وحيد الدهر فريد العصر لا يوجد فى الأقاليم نظيرك؟ و إن طلبت الدنيا كان فى اليهود و الحمقى من سبقك بها؛ فأفّ لدنيا سبقك بها حمير! فتفكرى يا نفس، و انظرى لنفسك، فلا ينظر لك أحد غيرك. و كذلك لا تزال تناظر نفسك حتى تطاوعك على سلوك الصراط المستقيم إلى اللّه تعالى. فهذه المناظرة أهم لك- إن كنت عاقلا- من مناظرة الحنفية و الشفعوية و المعتزلة و غيرهم. فلم تعاديهم و تجادلهم و لا يضرّك خطؤهم و لا خطأ غيرهم، و لا- هم يقبلون منك و لا- أنت تقبل منهم الصواب، و إن صار أظهر من الشمس، و تترك أعدى عدوّك بين جنبيك لا تنازعه و لا تناظره، بل تساعده على ما يطالبك به من شهواته الباطلة الباطنة، فتستنبط بالفكر الدقيق الحيل لقضاء الشهوة! هل هذا إلّا عين الانعكاس و الانتكاس الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۵ على قمة الرأس؟ فهل رأيت قط رجلا يشاهد تحت ثوبه حيات و عقارب أقبلت عليه لتهلكه، فأخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره؛ فهل يستحق من يفعل ذلك إلا الخزى؟ فاعلم أن هذا حالك فى اشتغالك بمناظرة غيرك، و إعراضك عن مناظرة نفسك. و فى هذا المعرض ينكشف لك روح عملك، يوم تبلى السرائر، كما نبهتك على كيفية مكاشفات الآخرة بأسرار الأعمال و أرواحها. و ما لم تناظر نفسك مدة طويلة، لا تخليك لمناجاة ربك و ذكره و الإقبال عليه. ثم طريقك مع النفس- إذا خالفتك- أن تعاقبها بما يزجرها، و تعلم أنها كالكلب، لا يتأدب إلا بالصرب. و إن أردت أن تتعلم طريق مناظرتها و مراقبتها و محاسبتها و معاقبتها، فاطلبه من كتاب المحاسبة و المراقبة، فإن هذا الكتاب لا يحتمله؛ و اللّه تعالى يوفقنا و إياك بفضله و جوده و كرمه. [انتهى] الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۷

## الفهرس الموضوع الصفحة

الفهرس الموضوع الصفحة المقدمة ۳ القسم الأول: فى جمل العلوم و أصولها و هى عشرة ۵ الأصل الأول: فى الذات ۵ الأصل الثانى: فى التقديس ۵ الأصل الثالث: فى القدرة ۶ الأصل الرابع: فى العلم ۶ الأصل الخامس: فى الإرادة ۶ الكلام فى المعتقدات القدرية و الجبرية و المعتزلة .. الخ ۸ الأصل السادس: فى السمع و البصر ۱۲ الأصل السابع: فى الكلام ۱۳ الأصل الثامن: فى الأفعال ۱۳ الأصل التاسع: فى اليوم الآخر ۱۴ الأصل العاشر: فى النبوة ۱۵ خاتمة فى التنبيه على الكتب التى تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة ۱۶ القسم الثانى: فى الأعمال الظاهرة و هى أيضا عشرة أصول ۱۸ الأصل الأول: فى الصلاة ۱۸ الأصل الثانى: فى الزكاة و الصدقة ۲۲ المحافظة فى الزكاة و الصدقة على خمسة أمور ۲۳ الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۸ الموضوع الصفحة الأول: الإسرار ۲۳ الثانى: أن تحذر من المن ۲۳ الثالث: أن تخرجه من أطيب أموالك ۲۴ الرابع: أن تعطى بوجه طلق ۲۴ الخامس: أن تتخير لصدقتك محلا تزكو به الصدقة ۲۴ الأصل الثالث: فى الصيام ۲۴ الكلام فى أن طب القلوب قريب من طب الأبدان ۲۵ الكلام فى درجات أسرار الصوم ۲۵ الأصل الرابع: فى الحج ۲۶ آداب الحج سبعة ۲۶ الأول: أن ترتاد للطريق رفيقا صالحا و نفقة طيبة حلالا ۲۶ الثانى: أن يخلى يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره ۲۶ الثالث: أن يوسع فى الطريق بالطعام و يطيب الكلام مع الرفقاء و المكارى ۲۶ الرابع: أن يترك الرفث و الجدال ۲۶ الخامس: أن يركب راحلة دون المحمل ۲۷ السادس: أن ينزل عن الدابة أحيانا ترفيها للدابة ۲۷ السابع: أن يكون طيب النفس بما أنفق من نفقة ۲۷ الأصل الخامس: فى قراءة القرآن ۲۸ آداب قراءة القرآن الظاهرة ۲۸ أسراره الباطنة ۲۹ الأصل السادس: ذكر اللّه عز و جل فى كل حال ۳۳ الأصل السابع: فى طلب الحلال ۳۹ فصل فى أن طيب المطعم له خاصية عظيمة فى تصفية القلب ۴۰ فصل إياك أن تشدد على نفسك فتقول أموال الدنيا كلها حرام ۴۳ الأصل الثامن: فى القيام بحقوق المسلمين و حسن الصحبة معهم ۴۵ فصل من أصل الدين فى أمر الصحبة اتخاذ الاخوان فى اللّه ۵۱ الاربعين فى اصول الدين، ص: ۱۸۹ الموضوع الصفحة الأصل التاسع: فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ۵۳ فصل كل من شاهد منكرا و لم ينكره و سكت عنه فهو شريك فيه ۵۳ فصل عمدة الحسبة شيئان ۵۴ أحدهما: الرفق و اللطف و البداية بالوعظ ۵۴ العمدة الثانية: أن يكون المحتسب قد بدأ بنفسه فهذبها

۵۵ الأصل العاشر: فی اتباع السنة ۵۵ فصل السبب المرغب فی الاتباع فی هذه الأفعال ۵۶ فصل التحریض الذی ذکر إنما هو فی العادات ۵۹ خاتمة فی ترتیب الأوراد و تنعطف علی الأمور العشرة ۶۱ القسم الثالث: فی تزکیة القلب عن الأخلاق المذمومة و هی أیضا عشرة أصول ۶۳ الأصل الأول: شره الطعام ۶۳ فصل السر فی تعظیم الجوع و مناسبته لطریق الآخرة ۶۴ فصل کیفیة ترک عادة الشبع و الإکثار ۶۵ الأصل الثانی: شره الکلام ۶۷ فصل أن للسان عشرین آفة ۶۷ فصل تفصیل بعض الآفات ۶۸ الآفة الأولی: الکذب ۶۸ فصل الکذب حرام فی کل شیء إلا لضرورة ۶۸ الآفة الثانیة: الغیبة ۶۹ فصل یرخص فی الغیبة فی ستة مواضع ۷۱ فصل علاج النفس فی کفها عن الغیبة ۷۱ الآفة الثالثة: المراء و المجادلة ۷۲ الآفة الرابعة: المزاح ۷۲ الآفة الخامسة: المدح ۷۳ فصل حق علی الممدوح أن یتأمل فی خطر الخاتمة ۷۴ الأصل الثالث: فی الغضب ۷۴ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۹۰ الموضوع الصفحة فصل علیک فی صفة الغضب وظیفتان ۷۴ الأصل الرابع: فی الحسد ۷۶ فصل الحسد من الأمراض العظیمة للقلب ۷۶ فصل لعل نفسک لا تطاوعک علی التسویة بین عدوک و صدیقک الخ ۷۷ الأصل الخامس: فی البخل و حب المال ۷۸ فصل فی أن أصل البخل حب المال ۷۸ فصل فی أن المال لیس مذموما من کل وجه ۷۹ فصل فی معرفة مقدار الکفایة ۸۰ فصل فی أن الذی ذکر تقریب یمکن الزیادة علیه و النقصان منه ۸۱ فصل فی معرفة حد البخل ۸۲ فصل فی معرفة علاج البخل ۸۲ الأصل السادس: الرعونة و حب الجاه ۸۳ فصل حقیقة الجاه هی ملک القلوب لتتسخر لذی الجاه علی حسب مراده ۸۴ فصل لم کان طلب الرفعة مذموما الخ ۸۵ فصل فی أن طریق علاج حب الجاه هو قمع هذا الحب ۸۶ فصل من البواعث علی طلب الجاه حب المدح ۸۷ الأصل السابع: حب الدنیا ۸۷ فصل فی أن هذه الدنیا المذمومة هی بعینها مزرعة الآخرة ۸۸ فصل فی أن من عرف نفسه و عرف ربه عرف وجه عداوة الدنیا للآخرة ۸۹ فصل فی أن من ظن أنه یلابس الدنیا ببدنه و یخلو عنها بقلبه فهو مغرور ۹۱ الأصل الثامن: فی الکبر ۹۲ فصل حقیقة الکبر أن یری نفسه فوق غیره فی صفات الکمال ۹۲ فصل فی أن العلاج الجملی لقمع رذیلة الکبر أن یعرف الانسان نفسه ۹۳ فصل فی علاج الکبر علی التفصیل ۹۴ الأصل التاسع: العجب ۹۷ فصل فی أن حقیقة العجب استعظام النفس و خصالها الخ ۹۸ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۹۱ الموضوع الصفحة فصل العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض ۹۸ فصل من العجائب أن یعجب بعلمه و عقله ۹۸ الأصل العاشر: فی الریاء ۹۹ خاتمة فی مجامع الأخلاق و مواقع الغرور فیها ۱۰۸ القسم الرابع: فی الأخلاق المحمودة و هی أیضا عشرة أصول ۱۱۵ الأصل الأول: التوبة ۱۱۵ فصل فی حقیقة التوبة ۱۱۵ فصل فی وجوب التوبة علی کل أحد ۱۱۶ فصل فی أن علاج التوبة حل عقدة الإصرار ۱۱۷ الأصل الثانی: فی الخوف ۱۲۰ فصل فی حقیقة الخوف ۱۲۰ فصل فی علاج الخوف و تحصیله ۱۲۱ الأصل الثالث: فی الزهد ۱۲۳ فصل فی أن للزهد فی الدنیا حقیقة و أصل و ثمرة ۱۲۳ فصل فی أن الزهد علی درجات ۱۲۶ الأصل الرابع: فی الصبر ۱۲۸ فصل فی حقیقة الصبر ۱۲۸ فصل فی درجات الصبر ۱۲۹ الأصل الخامس: الشکر ۱۳۲ فصل فی مقام الشکر ۱۳۲ الأصل السادس: الاخلاص و الصدق ۱۳۶ أرکان الاخلاص ۱۳۶ الرکن الأول: النیة ۱۳۶ الرکن الثانی: فی إخلاص النیة ۱۴۰ الرکن الثالث: الصدق ۱۴۱ الأصل السابع: التوکل ۱۴۳ الاربعین فی اصول الدین، ص: ۱۹۲ الموضوع الصفحة فصل فی حقیقة التوکل و هی ثلاثة أرکان ۱۴۴ الرکن الأول: المعرفة ۱۴۴ الرکن الثانی: حال التوکل ۱۴۷ الرکن الثالث: فی الأعمال ۱۴۸ الأصل الثامن: فی المحبة ۱۵۰ الأصل التاسع: الرخاء بالقضاء ۱۵۹ الأصل العاشر: ذکر الموت و حقیقته و أصناف العقوبات الروحانیة ۱۶۳ فصل فی أن أصل الغفلة عن الموت طول الأمل ۱۶۴ فصل فی معرفة حقیقة الموت و ماهیته ۱۶۵ فصل فی عذاب الآخرة و ذکر أصنافه ۱۷۴ خاتمة فی مناظرة النفس ۱۸۳ الفهرس ۱۸۷

## تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی

تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹